جامعة قطر

كليَّة الشريعة والدِّراسات الإسلاميَّة

مَنهجيَّةُ القُرآنِ الكَريمِ في الرَّدِّ على الشُّبُهاتِ المتعلِّقةِ بالتَّوحيدِ من خِلالِ سورةِ الأنعامِ

إعداد

هيا محمد مبارك المطوع الخيارين

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلَّبات

كليَّة الشريعة والدِّراسات الإسلاميَّة

للحصول على درجة الماجستيرفي التفسير وعلوم القرآن

يونيو 2021م/1442هـ

© 2021م. هيا محمد مبارك المطوع الخيارين

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدَّمة من الطالبة هيا محمد مبارك المطوع الخيارين بتاريخ 2021/05/19م، وَوُفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاءَ اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قَبول رسالة الطالبة المذكور اسمُها أعلاه، وحسب معلومات اللَّجنة فإن هذه الرسالةَ تتوافق مع متطلَّبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالبة.

أ. د. محمد آيدين

مشرف

أ. د. أحمد خالد شكري

مشرف مشارك

أ. د. عبد الله الخطيب

مناقش

د. رمضان خميس

مناقش

تمَّت الموافقة:

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كليَّة الشريعة والدِّراسات الإسلاميَّة.

المُلخَّص

هيا محمد مبارك المطوع الخيارين، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن :

يونيو 2021م.

العنوان: مَنهجيَّةُ القُرآنِ الكَريمِ في الرَّدِّ على الشُّبُهاتِ المتعلِّقةِ بالتَّوحيدِ من خِلالِ سورةِ الأنعام

المشرف على الرسالة: أ. د. محمد آيدين مشرف رئيس، أ. د. أحمد شكري مشرف مشارك،

الناظر في الشبهات المثارة اليوم حول الإسلام يجد أخطرها تلك التي تستهدف أصل العقيدة باستهدافها التوحيد؛ لذلك كان اللجوء إلى القرآن الكريم، بحثاً عن منهجية قرآنية في الرد على الشبهات.

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في سورة الأنعام، والوقوف على معالم منهجية قرآنية للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في السورة.

اتبعت هذه الدراسة ثلاثة مناهج، وهي: المنهج الاستقرائي: في استخراج الآيات القرآنية التي ردّت على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في السورة، ثم المنهج الوصفي: بالتعريف بمصطلحات البحث، وبسورة الأنعام، ووصف المنهج العام للرد القرآني على الشبهات، ثم المنهج التحليلي: في تحليل آيات الدراسة للوصول إلى ملامح لكل مجموعة من الآيات، ثم استخلاص منهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في السورة من مجموع الملامح التي توصلت إليها.

وقد خلصت الدراسة إلى رسم معالم منهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات المثارة حول التوحيد في سورة الأنعام، وتتجلى في عدة أمور، أولها: العناية بالأدلة العقلية، ثانيها: التدرج في الاستدلال، ثالثها: التنويع في الاستدلال على القضية الواحدة، رابعها: تقديم الأصول على الفروع، خامسها: المفاصلة على أساس العقيدة.

ABSTRACT

Quranic methodology in refute of suspicions and doubts regarding *Tawḥīd* in *Suraht Al-ʾanʿām*

Among the suspicions and doubts raised against Islam today, those that target *ʿAqīdah* (or creed), through targeting *Tawḥīd* (Islamic monotheism), are by far the most dangerous; hence, was the resort to the Holy Quran in seek of a Quranic methodology to refute such suspicions and doubts.

This paper aims to study refute to suspicions and doubts raised against *Tawḥīd* in *Suraht Al-ʾanʿām*, and to identify prominent features of the Quranic methodology in refute of suspicions and doubts in the surah.

The paper concluded to distinguishing prominent features of the Quranic methodology in refute of suspicions and doubts in *Suraht Al-ʾanʿām,* which can be conveyed through the following items: 1.consideration and significance of intellectual and logical evidence, 2.gradual progression of reasoning, 3.diversity in evidence and methods, 4.introducing foundations before sections, 5.separation and segregation on the basis of *ʿAqīdah*.

شكر وتقدير

أحمد الله تعالى أن وفقني لإتمامِ هذه الرسالةِ بمنّهِ وفضلهِ وكرمهِ، ثم أتقدمُ بالشكرِ الجزيلِ لكلِ من وقفَ بجانبي وكانَ عوناً لي–بعد اللهِ–في إخراجِ هذا العملِ المتواضعِ، وأخصُّ بالذكرِ الأستاذ الدكتور/ محمد آيدين، الذي تكرّمَ بالإشرافِ على هذهِ الرسالةِ، فأغناها بالملاحظاتِ القيّمةِ والآراءِ السديدةِ، وما قدّمه لي من نصحٍ وتوجيهٍ، كان لهُ كبيرُ الأثرِ في رسالتي، كما أتوجهُ بالشكرِ الجزيلِ للأستاذِ الدكتور/ أحمد خالد شكري، الذي لم يبخل عليَّ– رغمَ كثرةِ انشغالهِ– بتوجيهاتهِ ونصائحهِ الحكيمةِ، بصبرٍ وحلمٍ ورفقٍ؛ مما كانَ لهُ كبيرُ الأثرِ في عملي هذا؛ فجزاهما اللهُ تعالى عني خيرَ الجزاء.

ولا أنسى أن أشكرَ أساتذتي في البرنامجِ الذينَ تتلمذتُ على أيديهم، وأخصُ بالشكرِ الأستاذَ الدكتورَ/ محمد عبد اللطيف، الذي كانَ عوناً وسنداً لي طيلةَ التحاقي بالبرنامج، فجزى اللهُ كلَ أساتذتي عني خيرَ الجزاء.

كما أتوجه بجزيل الشكرِ إلى صديقتي كوثر سامي التايه التي جادت عليَ بنصائحها وتوجيهاتها فجزاها اللهُ خيرَ الجزاء.

الإهداء

إلى صاحبةِ الفضلِ–بعدَ الله–فيما وصلتُ إليهِ.. إلى التي ما انفكّت تدعو لي... إلى والدتي الغالية... حفظكِ اللهُ وأعلى قدرك....

وإلى من علَّمني معانيَ الإخلاصِ والاجتهادِ... إلى والدي الغالي... أسألُ اللهَ أن يحفظكَ ويعليَ قدرك...

إلى الذي كان نعمَ السندُ والمشجّعُ أثناءَ إعدادِ الرسالةِ... إلى زوجي... أسأل اللهَ أن يجزيَكَ خيرَ الجزاء...

وإلى الذي ما برحَ يذللُ ليَ الصعابَ ويحثني على المثابرةِ والنجاحِ... إلى أخي الأكبرِ عبدَ الرحمن... وإلى جميعِ إخوتي وأخواتي... عبدِ الله وهاجر وسعيد وسارة... جزاكم الله عني خيرَ الجزاء...

وأخيراً إلى اللذيّنِ أرى فيهما مستقبلي... إلى اللذيّنِ أرى فيهما حملةَ القرآن وقادةَ الإسلام... إلى ولدَيَّ: مقبل وعلي... قرةِ العينِ ومهجةِ الروحِ... أسألُ اللهَ أن يجعلكما من عبادهِ المخلَصين....

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... هـ

الإهداء .....و

فهرس المحتويات.....ز

قائمة الرسوم التوضيحية..... ك

قائمة الجداول .....ل

المقدِّمة 1

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث والتعريف بسورة الأنعام 11

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث 12

المطلب الأول: التعريف بمصطلح المنهجية والقرآن الكريم والشبهات 12

المطلب الثاني: تعريف التوحيد، وأنواعه، والانحرافات عنه..... 15

المبحث الثاني: نظرة عامة حول التعريف بسورة الأنعام 20

الفصل الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في القسم الأول من سورة الأنعام، والرد القرآني عليها 28

المبحث الأول: شبهات التوحيد في الآيات (1– 3) والرد القرآني عليها 29

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات..... 29

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني 30

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني..... 33

المبحث الثاني: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (11– 19) والرد القرآني عليها..... 42

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات..... 42

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني 42

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني..... 45

المبحث الثالث: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (40– 47) والرد القرآني عليها 58

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات..... 58

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني 59

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني..... 62

المبحث الرابع: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (56– 67) والرد القرآني عليها 72

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات..... 72

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني 73

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني..... 76

الفصل الثاني: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في القسم الثاني من سورة الأنعام، والرد القرآني عليها.....86

المبحث الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (71– 83) والرد القرآني عليها 87

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عيلها الآيات..... 87

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني 88

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني..... 90

المبحث الثاني: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (95– 103) والرد القرآني عليها 100

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات..... 100

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني 101

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني..... 103

المبحث الثالث: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (136– 153) والرد القرآني عليها 116

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات..... 117

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني 118

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني..... 120

المبحث الرابع: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (161– 165) والرد القرآني عليها 132

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات..... 132

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني 132

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني..... 135

الفصل الثالث: معالم منهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد من خلال سورة الأنعام

143.....

المبحث الأول: العناية بالأدلة العقلية 145

المطلب الأول: خصائص الأدلة العقلية وأهميتها في الرد القرآني على الشبهات..... 145

المطلب الثاني: مظاهر العناية بالأدلة العقلية في الآيات 149

المبحث الثاني: التدرج في الاستدلال..... 157

المطلب الأول: أهمية التدرج في الرد القرآني على الشبهات 157

المطلب الثاني: صور التدرج في الآيات 160

المبحث الثالث: التنويع في الاستدلال على القضية الواحدة 169

المطلب الأول: أهمية التنويع في الرد القرآني على الشبهات 169

المطلب الثاني: صور التنويع في الرد القرآني في الآيات 171

المبحث الرابع: تقديم الأصول على الفروع..... 178

المطلب الأول: أهمية تقديم الأصول على الفروع في الرد القرآني على الشبهات..... 178

المطلب الثاني: صور تقديم الأصول على الفروع في الآيات..... 181

المبحث الخامس: المفاصلة على أساس العقيدة..... 185

المطلب الأول: أهمية المفاصلة على أساس العقيدة في الرد القرآني على الشبهات 185

المطلب الثاني: نماذج من مواقف المفاصلة المختلفة في الآيات 187

الخاتمة..... 189

المطلب الأول: النتائج: 189

المطلب الثاني: التوصيات: 192

قائمة المصادر والمراجع 194

المراجع باللغة العربية..... 194

الشبكة العنكبوتية (الانترنت) 209

المراجع باللغة الانجليزية..... 210

قائمة الرسوم التوضيحية

الشكل رقم 1 خلاصة ما تناوله المبحث الأول من الفصل الأول. 41

الشكل رقم 2 خلاصة ما تناوله المبحث الثاني من الفصل الأول. 57

الشكل رقم 3 خلاصة ما تناوله المبحث الثالث من الفصل الأول.....71

الشكل رقم 4 خلاصة ما تناوله المبحث الرابع من الفصل الأول. 85

الشكل رقم 5 خلاصة ما تناوله المبحث الأول من الفصل الثاني. 99

الشكل رقم 6 خلاصة ما تناوله المبحث الثاني من الفصل الثاني. 115

الشكل رقم 7 خلاصة ما تناوله المبحث الثالث من الفصل الثاني. 131

الشكل رقم 8 خلاصة ما تناوله المبحث الرابع من الفصل الثاني. 142

الشكل رقم 9 مظاهر العناية بالأدلة العقلية في الآيات. 148

الشكل رقم 10 صور التدرج في الآيات. 159

الشكل رقم 11 التدرج العام للرد القرآني. 165

الشكل رقم 12 صور التنويع في الآيات. 170

الشكل رقم 13 صور تقديم الأصول على الفروع في الآيات..... 180

الشكل رقم 14 نماذج من مواقف المفاصلة المختلفة في الآيات. 186

قائمة الجداول

الجدول رقم 1 تمايز بداية الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد عن نهايته 161

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، الهادي إلى الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، والداعي إلى الحق المبين، نبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أتم التسليم، أمَّا بعد؛

أنزل الله تعالى القرآن دستوراً للأنام على مر الأزمان، يستقي الناس من مَعينه هداية دينهم ودنياهم، ولما كان من سنن الله في الكون تدافُعُ الحق والباطل، ومن هذا التدافع إثبات الحق وبيانه، وإبطال الباطل وتفنيده، جاء هذا المبدأ منهجاً متأصلاً في القرآن الكريم، فهو لا يكتفي بمجرد عرض الحق، إنما يدافع عنه ويُفند ما أُلبس عليه من شبهات، ويجابه الخصوم بألوان من الحجج والأدلة والأساليب دفعاً بهم إلى الحق ونبذ الباطل.

وإن من أخطر الشبهات التي تثار اليوم حول الإسلام تلك المتعلقة بأصل العقيدة التي تستهدف التوحيد، تحاول التشكيك فيه وإبطال قواعده، حتى أضحت هذه الشبهات اليوم بحراً يغرق فيه قليلو العلم والإيمان؛ لذلك كان اللجوء إلى القرآن الكريم، بحثاً عن منهجية قرآنية في الرد على الشبهات.

والقرآن تتميز كل سورة فيه بشخصية فريدة، وروح مستقلة، تميزها عن غيرها من السور، تنعكس على منهجيتها في التعامل مع القضايا المختلفة؛ لذلك آثرتُ أن تكون هذه الرسالة في سورة الأنعام؛ كونها من أكثر سور القرآن مقارعة لأهل الجاهلية واحتجاجاً على سفاهة أحوالهم، ونزولها في المرحلة المكية–المرحلة التأسيسية للدين– التي كانت تثار فيها الشبهات من كل مكان، جعلتها تمتاز بكثرة الردود على الشبهات المتعلقة بالتوحيد.

وقبل الحديث في مضمون البحث، أستعرض خطة البحث من خلال العناصر الآتية:

فكرة البحث

تقوم فكرة البحث على تحليل ودراسة الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي حفلت بها الآيات للوقوف على معالم منهجيته في الرد على هذه الشبهات، تلك المنهجية التي تقيم الحجة على الخصم وتبطل شبهاته.

إشكالية البحث

يجيب هذا البحث عن سؤال رئيس وهو: هل ثمة منهجية للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في سورة الأنعام، ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الآتية:

1. ما مفهوم منهجية الرد على الشبهات؟
2. ما الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها سورة الأنعام، وما ملامح الرد القرآني على تلك الشبهات؟
3. ما معالم منهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في سورة الأنعام؟

أهمية البحث ودواعي الكتابة فيه

تكمن أهمية هذا البحث في النقاط الآتية:

1. أهمية الانطلاق في الدراسات التي تُعنى بالرد على الشبهات المتعلقة بالإسلام والقرآن الكريم من القرآن نفسه– وليس من العلوم الإنسانية الحديثة أو القديمة– فهو كتاب الله المحفوظ من النقصان والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
2. ضرورة وجود آلية واضحة ومنهجية تنظم عملية الرد على المخالف وترتبها، فالباحث في الدراسات الإسلامية، وبالأخص في دراسة الردود على الشبهات، يجد أمامه نوعاً من التشتت في محاولة استيعاب تعدد الردود على الشبهات واختلافها من شبهة إلى أخرى، لِمَا يجد أمامه–في أغلب الأحيان–من ردود متفرقة أو عشوائية تعالج كل شبهة على حدة.
3. أهمية الانطلاق من منهجية قرآنية في وضع خطوات لتفنيد الشبهات وتأسيس نظام دفاع عند المتلقي، يرسم له خارطة طريق، ويحصنه من الانزلاق خلف الشبهات.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

أ. تسليط الضوء على الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في سورة الأنعام.

ب. بيان معالم منهجية سورة الأنعام في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد.

حدود البحث

اقتصرت في هذا البحث على الشبهات المتعلقة بالتوحيد الواردة في سورة الأنعام، ولطبيعة الآيات القرآنية في الجمع بين الرد على أكثر من شبهة ومعالجة أكثر من قضية، ولأن استنباط منهجية قرآنية من الآيات–وليس منهجية معدّة مسبقاً يُسقَط عليها أمثلة انتقائية من السورة– يستدعي اختيار آيات لدراستها والتعمق فيها والنظر في سياقها؛ اجتهدت في اختيار مجموعات الآيات التي جاء فيها الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد بارزاً وواضحاً، والتي شملت الشبهات المتعلقة بالتوحيد الواردة في السورة؛ ولم أدرس الآيات التي وردت في سياق الرد على شبهات غير التوحيد، كالتي وردت في سياق الحديث عن الشبهات المتعلقة بالوحي أو الرسالة ولو كانت تتعرض لشبهات التوحيد.

إن اختيار دراسة مجموعات من الآيات على آيات مفردة، لما في ذلك من مراعاة للسياق الذي جاء فيه الرد، وهذا يُعين على فهم طريقة القرآن في الرد على الشبهة، والوصول لمنهجية واضحة؛ لذلك فإن الآيات التي شملتها الدراسة استقصائية في شمولها لمواضيع الشبهات المتعلقة بالتوحيد، ولكن انتقائية من ناحية اختيار الآيات المدروسة.

الدراسات السابقة

من خلال اطلاعي على الأبحاث المتعلقة بالرد على الشبهات، وفي حدود ما وقفت عليه من دراسات، لم أجد من الدراسات والأبحاث التي تلتقي مع موضوع بحثي إلاّ ما تناولت بعض جوانبه الموضوعية، من ذلك ما يأتي:

1. **العقائد في سورة الأنعام**، لمحمد المديميغ، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام 1983م-1403هـ، وهذه الرسالة جاءت في ثلاثة أبواب: الأول: سورة الأنعام وقضية التوحيد، الثاني: سورة الأنعام وقضية الوحي والرسالة، الثالث: سورة الأنعام وقضية البعث، والبحث غير متوفر على الشبكة العنكبوتية، ولم يتيسر لي الاطلاع إلا على المقدمة وقائمة المحتويات.

يختلف هذا البحث عن بحثي- فيما يمكن ملاحظته من العناوين فقط- أنه عام في كل مواضيع العقيدة وليس خاص باستخلاص أو ملاحظة منهجية القرآن في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد.

2. **أساليب الحجاج في القرآن الكريم في سورتي المائدة والأنعام**، لمحمد بن سعد الشهراني، أطروحة دكتوراه، كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية، عام 2011م-1432هـ، وتتضمن هذه الرسالة ثلاثة أبواب: تناولت في الباب الأول: المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بعنوان البحث، وفي الثاني: سورة المائدة (منزلتها وموضوعاتها وأساليب الحجاج فيها)، وفي الثالث: سورة الأنعام (منزلتها وموضوعاتها وأساليب الحجاج فيها).

يختلف هذا البحث عن بحثي في أنه يُعَدِّدُ أساليب الحجاج في السورة، ويتناول الآيات بالتحليل الوصفي لاستخلاص تلك الأساليب منها، ولا يتجاوز ذلك إلى استنباط منهجية قرآنية للرد على الشبهات.

3. **المسألة العقدية من خلال سورة الأنعام: دراسة وصفية تحليلية**، لراسوان ريو أوتومو، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا بجامعة أم درمان الإسلامية، عام 2015م، وتتضمن هذه الرسالة ثلاثة فصول: تناولت في الفصل الأول: المسائل المتعلقة بالإلهيات في سورة الأنعام، وفي الثاني: المسائل المتلقة بالنبوات في سورة الأنعام، وفي الثالث: المسائل المتعلقة بالغيبيات في سورة الأنعام.

يختلف هذا البحث عن بحثي في أنه يتناول التعريف بأقسام التوحيد وذكر أمثلة عليها من سورة الأنعام وتحليلها، ولا يُعنى باستخلاص منهجية قرآنية للرد على الشبهات، وما عرض له من شبهات فلم يلتزم باستخراج الردود القرآنية عليها، ولم يلتزم بالاستشهاد بسورة الأنعام فكان يستشهد كثيراً بآيات من سور أخرى.

4. **منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة**، لمجاهد محمود، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية، عام 2003م-1424هـ، وتتضمن هذه الرسالة ثلاثة فصول: الأول: الدليل والاستدلال في القرآن، الثاني: الحجة في القرآن ومنهجه في إقامتها، الثالث: دراسة تحليلية لأدلة القرآن في إثبات بعض القضايا العقدية.

وتختلف عن بحثي إذ إن صاحبها يعتني بتفصيل طرق الاحتجاج ومراتبه: من مناظرة وجدل وقصة وحوار وغيرها، وتعداد لأساليب الاحتجاج: من تحدٍّ واستدراج وغيرها من أساليب، وأما ما يتعلق بإثبات التوحيد فجاء في مبحث واحد -في عشر صفحات- في الفصل الثالث تحت تحليل حجج القرآن في إثبات بعض القضايا الغيبية، ويصنف المؤلف حجج القرآن في إثبات توحيد الله عز وجل إلى مسلكين: الإثبات والنفي، ويذكر لهما أمثلة من القرآن الكريم، كما أن بحثي يُعنى باستخراج منهجية قرآنية للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد، وليس تصنيفاً أو تعداداً لطرق الحجاج وأساليبه.

5. **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، لسعود العريفي، أصلها أطروحة دكتوراة، كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، عام 1417هـ، وتتضمن الرسالة بابين: الأول: الاستدلال العقلي النقلي على أصول الاعتقاد، والثاني: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد.

وتختلف عن بحثي إذ إن صاحبها يسعى لإثبات أن القضايا العقدية في الإسلام مبنية على أسس عقلية متينة، وأن القرآن متضمن لتلك الأسس على أكمل وجه، كما يسعى إلى فهم منهج السلف في الاعتقاد وحقيقة موقفهم من العقل ودلالته.

6. **الأدلة العقلية على توحيد الله في القرآن الكريم من خلال سورة الأنعام**، لعيسى سعود، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، عام 2013م، وتتضمن الرسالة فصلين: الأول: سورة الأنعام دراسة موضوعية، والثاني: الأدلة العقلية في سورة الأنعام.

وتختلف عن بحثي في أنها معنية بدراسة الأدلة العقلية، وهي جزء من منهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد، فبينها وبين بحثي عموم وخصوص.

7. **منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الملحدين**، لأفنان الغماس، أصلها رسالة ماجستير، كلية أصول الدين بجامعة أم القرى، عام 1437هـ، وتتضمن هذه الرسالة ستة فصول: الأول: بين الإلحاد والقرآن، الثاني: الأدلة القرآنية على وجود الله تعالى، الثالث: دحض شبهات الملحدين عن الله، الرابع: دحض شبهات الملحدين عن النبوة والأنبياء، والخامس: دحض شبهات الملحدين عن اليوم الآخر، السادس: شبهات متفرقة.

وتختلف عن بحثي إذ إن صاحبتها تركز على مسألة تعرّض القرآن الكريم لشبهات الإلحاد بشكل خاص، وطريقة تناول القرآن الكريم مختلف صور الإلحاد، أما بحثي فهو دراسة سورة الأنعام للكشف عن منهجيتها في الرد على الشبهات المثارة حول التوحيد.

8. **منهجية الحوار في القرآن الكريم**، لمحمد عبد اللطيف، مقال منشور في مجلة الشريعة والقانون بجامعة الإمارات العربية المتحدة، عدد 35، عام 2008م-1429هـ، جاء في ثلاثة مباحث: الأول: مصطلحات ودلالات، والثاني: ضرورة الحوار وجدواه في نظر المسلمين، والثالث: منهجية الحوار في القرآن الكريم. يختلف عن بحثي كونه متعلقاً بالحوار لا بموضوع رد الشبهات المتعلقة بالتوحيد، أمّا وجه التشابه فهو استخراج منهجية من القرآن الكريم.

منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المناهج الآتية:

المنهج الاستقرائي: استخراج الآيات القرآنية التي ردّت على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في السورة، وتقسيمها وفق ترتيبها وتسلسلها في السورة إلى ثمانية أمثلة.

المنهج الوصفي: وذلك بالتعريف بمصطلحات البحث، وبسورة الأنعام، ووصف المنهج العام للرد القرآني على الشبهات.

المنهج التحليلي: ويظهر ذلك في أمرين:

أولاً: تحليل آيات الدراسة للوصول إلى ملامح لكل مجموعة من الآيات، من خلال الآتي:

أ. سرد آيات المثال في أول المبحث.

ب. استخراج الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

ت. استخراج ملامح الرد القرآني على الشبهات من الآيات.

ث. إعطاء تصوراً عامًّاً لما تناوله المبحث من خلال خريطة ذهنية.

ثانياً: استخلاص منهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في السورة من مجموع الملامح التي توصلت إليها، وبينتا من خلال:

أ. رسم توضيحيٍّ يعطي تصوراً عامّاً لكل مَعلم.

ب. بيان أهمية كل مَعلم في الرد على الشبهات.

ت. بيان صور كل مَعلم، مع توضيح الشواهد عليها من الآيات، والإشارة إلى موضع تفصيلها في الدراسة.

والتزمت في ذكر الآيات الطريقة الآتية:

1. في الفصل الأول والثاني: أسرد الآيات في بداية المبحث وأذكرها عند أول ورود لها، ثم إذا تكررت أكتفي بأرقامها أو مضمونها إلا إذا كانت الآيات قصيرة فأذكرها.
2. في الفصل الأخير: أشير إلى الآيات في الهامش، إلا إذا كانت قصيرة أذكرها في المتن.
3. عند الاستشهاد بآيات سورة الأنعام لا أذكر اسمها تخفّفاً وتجنباً لكثرة التكرار، وأكتفي بذكر اسم السورة عند ورود آيات من سور أخرى.

هيكل البحث

اشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس، وجاءت على النحو الآتي:

المقدمة، وتشتمل على فكرة البحث، وإشكالية البحث وأسئلته، وأهميته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه، وهيكله.

التمهيد، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمصطلح المنهجية والقرآن الكريم والشبهات

المطلب الثاني: تعريف التوحيد، وأنواعه، والانحرافات عنه

المبحث الثاني: نظرة عامة حول التعريف بسورة الأنعام: اسمها، وعدد آياتها، ومن حيث هي مكية أم مدنية، وفضائلها، ومقصد السورة وأبرز مواضيعها، وعلاقتها بالسورة التي قبلها والتي بعدها.

الفصل الأول:دراسة الشبهات المتعلقة بالتوحيد في القسم الأول من سورة الأنعام، والرد القرآني عليها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: شبهات التوحيد في الآيات (1–3) والرد القرآني عليها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الثاني: شبهات التوحيد في الآيات (11–19) والرد القرآني عليها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الثالث: شبهات التوحيد في الآيات (40–47) والرد القرآني عليها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الرابع: شبهات التوحيد في الآيات (56–67) والرد القرآني عليها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

الفصل الثاني: دراسة الشبهات المتعلقة بالتوحيد في القسم الثاني من سورة الأنعام، والرد القرآني عليها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: شبهات التوحيد في الآيات (71-83) والرد القرآني عليها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الثاني: شبهات التوحيد في الآيات (95-103) والرد القرآني عليها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الثالث: شبهات التوحيد في الآية (136-153) والرد القرآني عليها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الرابع: شبهات التوحيد في الآية (161-165) والرد القرآني عليها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

الفصل الثالث: معالم منهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد من خلال سورة الأنعام

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: العناية بالأدلة العقلية، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: خصائص الأدلة العقلية وأهميتها في الرد القرآني على الشبهات.

المطلب الثاني: مظاهر العناية بالأدلة العقلية في الآيات.

المبحث الثاني: التدرج في الاستدلال، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية التدرج في الرد القرآني على الشبهات .

المطلب الثاني: صور التدرج في الآيات.

المبحث الثالث: التنويع في الاستدلال على القضية الواحدة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية التنويع في الرد القرآني على الشبهات.

المطلب الثاني: صور التنويع في الرد القرآني في الآيات.

المبحث الرابع: تقديم الأصول على الفروع، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية تقديم الأصول على الفروع في الرد القرآني على الشبهات.

المطلب الثاني: صور تقديم الأصول على الفروع في الآيات.

المبحث الخامس: المفاصلة على أساس العقيدة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية المفاصلة على أساس العقيدة في الرد القرآني على الشبهات.

المطلب الثاني: نماذج من مواقف المفاصلة المختلفة في الآيات.

الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج وبعض التوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث والتعريف بسورة الأنعام

تناول التمهيد مبحثين: المبحث الأول عرفتُ فيه مصطلحات البحث: المنهجية، والقرآن الكريم، والشبهات، وبينتُ المقصود بمنهجية الرد على الشبهات، ثم عرفت التوحيد، وبينتُ أنواعه، وعرضت بعض الانحرافات عنه، أما المبحث الثاني فتناولت فيه نظرة عامة حول التعريف بسورة الأنعام: اسمها، وعدد آياتها، ومن حيث هي مكية أم مدنية، وفضائلها، ومقصد السورة وأبرز مواضيعها، وعلاقتها بالسورة التي قبلها والتي بعدها.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول: التعريف بمصطلح المنهجية والقرآن الكريم والشبهات

المطلب الثاني: تعريف التوحيد، وأنواعه، والانحرافات عنه

المبحث الثاني: نظرة عامة حول التعريف بسورة الأنعام

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول: التعريف بمصطلح المنهجية والقرآن الكريم والشبهات

أولاً: تعريف المنهجية

لغة: نسبة إلى المنهج والمنهاج وهما بمعنى واحد: الطريق الواضح البيّن، وجمعه مناهج، ويقال طريق ناهج واضح بيّن، والمنهاج الخطة المرسومة ومنهاج الدراسة ومنهاج التَّعْلِيم وَنَحْوهمَا.[1]

جاء ذكر المنهاج في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(المائدة:48)، فسر الطبري المنهاج بأنه الطريق البيّن الواضح.[2]

اصطلاحاً: عُرف المنهج بتعريفات عديدة، منها:

- وسيلة محددة تؤدي إلى غاية محددة.[3]
- أسلوب منظم ومثمر، يؤدي بالانتقال من المشكلة إلى حلها، والانتقال من المقدمات إلى الغاية.[4]
- الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة سلسلة من الأفكار

---

[1] يُنظر: الفراهيدي: الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت)، ج3، ص392؛ ابن فارس: أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.م: دار الفكر، د.ط، 1399هـ/1979م)، ج5، ص361؛ ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصطفى: إبراهيم، والزيات: أحمد، وعبد القادر: حامد، والنجار: محمد، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008م)، ج2، ص975؛ وعمر: أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (د.م: عالم الكتب، ط1، 2008م)، ج3، ص2291.

[2] يُنظر: الطبري: محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: محمود وأحمد شاكر، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2، د.ت)، ج10، ص384.

[3] يُنظر: مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ط، 1983م)، ص195- 196.

[4] يُنظر: الخولي: يمنى طريف، **مفهوم المنهج العلمي**، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، د.ط، 2020م)، ص26.

المنظمة أو طائفة من القواعد العامة، للوصول إلى نتيجة معلومة.[1]

- خطة منظمة للوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها، عن طريق عمليات ذهنيّة أو حسّيّة، من ذلك: مناهج التعليم: أي برامج الدراسة، ووسائلها، وأساليبها.[2]

الملاحظ أن مضمون التعريفات السابقة لا تبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي، من حيث إن المنهج هو طريق واضح موصل إلى غاية مطلوبة.

الفرق بين المنهج والمنهجية: المنهجية مصدر صناعي من المنهج، يدل على الجانب التطبيقي للمنهج، مثل المعجمية كتطبيق لعلم المعجم، فعلى ذلك تكون المنهجية: "التطبيق الفعلي للمنهج ... أو يمكن القول: إنَّ المنهجية هي آليات المنهج وإجراءاته التي يُستعان بها في تحقيق الأهداف".[3]

ثانياً: تعريف القرآن الكريم

لغة: اختُلف في أصل لفظ (القرآن)، على رأيين:

1. أنه اسم جامد غير مشتق، يطلق على القرآن الكريم، مثل إطلاق اسم التوراة والإنجيل، فهو غير مهموز.[4]
2. أو أنه مشتق، فقيل من:

- قَرَن: أي قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته، أو من القرائن، جمع قرينة، لأن آياته قرائن،

---

[1] يُنظر: بدوي: عبد الرحمن، **مناهج البحث العلمي**، (الكويت: وكالة المطبوعات، ط3، 1977م)، ص4- 5.

[2] يُنظر: عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج3، ص2291.

[3] يُنظر: فاروق: عصام، المنهج والحاجة إليه في البحث العلمي، شبكة الألوكة، 2017/12/28م، https://www.alukah.net/culture/0/124139/#ixzz6q0IexkTA، استعرض بتاريخ 2021/3/23م؛ وعمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج3، ص2291.

[4] يُنظر: الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان الداودي، (بيروت: دار القلم، ط1، 1991م)، ص668- 669؛ والسيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1974م)، ج1، ص181.

تصدق بعضها بعضاً، وتشابه بعضها بعضاً، وعلى هذا القول فهو غير مهموز.[1]

- أو قرأ: يقال (قرأ) الكتاب (قراءة) و(قرآنا)؛ بمعنى الجمع والضم، ويقال قرأت الشيء بالشيء إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها، أو بمعنى قراءته فيكون مصدراً لـ(قرأت)، من (قرأ) بمعنى تلا، دال على ما يُقرأ، كالقربان اسم لما يُتقرب به إلى الله تعالى، وهذا الذي يترجح بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18)﴾(القيامة)، أي قراءته، وعلى هذا القول فهو مهموز[2].

اصطلاحاً: "اللفظ المنزل على النبي ﷺ المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته"[3].

ثالثاً: تعريف الشبهات

لغة: الشُبُهات مفردها شُبْهة، من شبه، والشَّبَهُ: نوع من النحاس، يُلقى عليه دواء فيصفرّ، وسُمّي شَبَها، لأنه شُبّهَ بالذّهب، والمُشْبِهاتُ من الأمور، أي المُشْكلاتُ، واشتَبَهَ الأمرُ، أي: اختلط الأمر، والشبهة: الالتباس، والغموض، وأمور مشتبهة ومشبهة: مشكلة يشبه بعضها بعضا.[4]

اصطلاحاً: الشبهات: "ما يشتبه فيه الحق والباطل، والحلال والحرام، على وجه لا يكون فيه دليلٌ على

---

[1] يُنظر: القرطبي: محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: حمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1964م)، ج1، ص6؛ والفيروزآبادى: محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، 1996م)، ج1، ص84؛ والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص181.

[2] يُنظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص668- 669؛ والزركشي: محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، (د.م: دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م)، ج1، ص277؛ والفيروزآبادى، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ج1، ص84؛ وزين الدين الرازي: محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف محمد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط5، 1999م)، ص249؛ والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص181؛ والمجالي: محمد خازر، **الوجيز في علوم الكتاب العزيز**، (عَمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط10، 2016م)، ص12.

[3] يُنظر: الزرقاني: محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (د.م: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، د.ت) ج1، ص20.

[4] يُنظر: الفراهيدي، **كتاب العين**، ج3، ص404؛ وابن منظور: محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1993م)، ج13، ص504؛ وعمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج2، ص1162.

أحد الجانبين...".[1]

مما سبق يمكن تحديد المقصود بالشبهات في البحث: ما أشكل وألتبس على الخصم، وربما أدى إلى الوقوع في الباطل.

رابعاً: المقصود بمنهجية الرد على الشبهات:

يمكن من خلال التعريفات السابقة أن نُعرف منهجية الرد على الشُبُهات بأنها: آلية أو منظومة إجراءات يُستعان بها للرد على الشبهات.

المطلب الثاني: تعريف التوحيد، وأنواعه، والانحرافات عنه

أولاً: تعريف التوحيد

لغة: مصدر وحَّدَ يوحِّد، توحيدًا، فهو مُوحِّد، ويدل أصل الكلمة على الانفراد، وحَّدَ: أي جعل الشيء واحداً، أو الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد، يقال وحَّد المناهج المدرسية: أي جعلها واحدة، ومنها توحيد الكلمة: أي الإجماع بالاتفاق على كلمة واحدة.[2]

اصطلاحاً: "الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو التوحد والوحدانية"[3] أو الاعتقاد أن "الله واحد لا شريك له"[4].

ثانياً: أنواع التوحيد

تنوعت التقسيمات التي وضعها العلماء لأنواع التوحيد، ولكنها تتفق في المضمون، ولعل ذلك يرجع إلى

---

[1] ابن القيم: محمد بن أبي بكر، **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، تحقيق: محمد شمس، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط1، 2011م)،ج1، ص302.

[2] يُنظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج6، ص90؛ والجرجاني: علي بن محمد، **كتاب التعريفات**، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1983م)، ص60؛ ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، ج2، ص1016؛ وعمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج3، ص2409.

[3] الفراهيدي، **كتاب العين**، ج3، ص281.

[4] ابن أبي العز: محمد بن علاء الدين، **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط10، 1997م)، ج1، ص21.

أن تلك التقسيمات مأخوذة من استقراء النصوص، فمن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين:[1]

الأول: توحيد في المعرفة والإثبات: يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، لأنهما يُشكّلان جانب العلم بالله ومعرفته.

الثاني: توحيد في المطلب والقصد: وهو توحيد الألوهية لأنه يُشكّل العمل لله تعالى، بالتوجه إليه بعبادته وحده لا شريك له، يُقصد بذلك وجه الله سبحانه.

ومنهم من اقتصر القسمين على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وجعل توحيد الأسماء والصفات داخلاً في توحيد الربوبية.[2]

---

[1] يُنظر: ابن القيم: محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد البغدادي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1996م)، ج3، ص417- 418؛ وابن أبي العز، **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**، ج1، ص42؛ والتميمي: محمد بن خليفة، **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**، (الرياض: أضواء السلف، ط1، 1999م)، ص38- 39.

[2] يُنظر: التركي: عبد الله بن عبد المحسن، **مجمل اعتقاد أئمة السلف**، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط2، 1996م)، ص135.

ومنهم من فصَّل التقسيم السابق، فجعل التوحيد ثلاثة أقسام:[1]

1. توحيد الألوهية: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، وعدم صرف أي نوع منها لغيره تعالى، فهذا التوحيد متعلق بأفعال العباد.[2]
2. توحيد الربوبية: وهو الإقرار بربوبيته تعالى على جميع الخلق، فهو الرب "...المالك المدبر المعطي المانع الضار النافع الخافض الرافع المعز المذل..."، فهذا التوحيد متعلق بأفعال الرب،[3] ويدخل فيه الإيمان بوجود الله تعالى.
3. توحيد الأسماء والصفات: وهو "إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا الواردة في القرآن والسنة، والإيمان بمعانيها وأحكامها".[4]

والذي يَعنينا من التقسيمات السابقة هو الوصول إلى تصور عام للتوحيد وأنواعه بإجمال.

إن تعدد التصنيفات والاحتجاجات التي يمكن استنباطها من العلاقة بين هذين التوحيدين في الرد القرآني، يبرز قوة الالتحام والتلازم بينهما، ويرشد إلى ضرورة التركيز عليها في معرض الرد على الشبهات؛ لذلك تلحظ كثرة ورودهما في الفصل الأخير تحت تصنيفات متعددة، كلها صور صحيحة تعبر عن منهجية القرآن في تناولهما رداً على شبهات الخصم.

ثالثاً: الانحرافات عن التوحيد

إن أساس التوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة وترك عبادة من سواه، ويضاده الشرك بالله تعالى أو الشرك في الألوهية وهو: "أن يجعل لله ندا – أي: مثلا في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته..."، ومن الأمثلة على شرك الألوهية: اتخاذ المشركين الأصنام آلهة يعبدونها، وأما شرك الربوبية فهو: نسبة أفعال الله

---

[1] يُنظر: ابن أبي العز، **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**، ج1، ص24؛ والتميمي، **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**، ص38– 39.

[2] ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن محمد، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، 1995م)، ج1، ص91– 92.

[3] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج1، ص91– 92.

[4] التميمي، **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**، ص29.

تعالى إلى غيره، من ملك أو تدبير أو نفع أو ضر أو غيرها، كاعتقاد وجود شريك مع الله يدبر الكون، كما فعل النصارى في التثليث، وبعض مشركي العرب الذين يعتقدون نفع الآلهة وضرها، أو نسبة أفعال الرب إلى الإنسان نفسه، كمن يعتقد أن الإنسان يخلق أفعال نفسه.[1]

ومن الناس من انحرف عن التوحيد حتى وصل إلى إنكار الربوبية جملة:[2] كمن اعتقد بوجود مدبر لهذا الكون غير الله تعالى،[3] ومنهم من أنكر وجود الله سبحانه وتعالى؛ كمن نسب الخلق إلى الدهر،[4] ومنهم من قال بقدم العالم وخلوده،[5] ومنهم من نسب الخلق إلى الطبيعة، ومنهم من أنكر وجود إله واعتبر أن الحياة مجرد مادة وهم الملاحدة[6].

---

[1] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج1، ص91- 92؛ ويُنظر: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد سالم، (المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1991م)، ج7، ص390- 391؛ وابن أبي العز، **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**، ج1، 38؛ وبن جبرين: عبد الله بن عبد العزيز، **تسهيل العقيدة الإسلامية**، (د.م، دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط2، د.ت)، ص25.

[2] يُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص266؛ والشهرستاني، **الملل والنحل**، ج1، ص45، وج2، ص61؛ وابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، ج7، ص390- 391؛ وأبو حيان: محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 2010م)، ج4، ص430؛ وابن كثير: إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، (د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م)، ج7، ص268- 269؛ وابن أبي العز، **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**، ج1، ص25، 138؛ والسميع: محمد علي، **الشيوعية في الميزان**، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة، ع2، 1977م)، ص109.

[3] مثل الثنوية من المجوس والمانوية الذين يقولون إن العالم صدر عن أصلين النور والظلمة، فعبد المجوس النار، وعبد المانوية النور.

[4] الدهريون الذين يعتقدون أنه لا عالم وراء العالم المحسوس لا معاد ولا قيامة، وأنكروا وجود الله تعالى وجعلوا الدهر هو المتصرف فيهم.

[5] هم ملاحدة هذا الزمن والفلاسفة الأولون، قال سبحانه عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(الجاثية:24).

[6] تقوم على إنكار وجود الله، واعتقاد أن العالم وجد بطريق الصدفة أو التفاعل.

أما الانحرافات التي وقعت في الأسماء والصفات، فهي: إما تحريف في اللفظ أو المعنى، أو تعطيل، أو تكييف، أو تمثيل[1].

يواجه القرآن الكريم هذه الانحرافات بإقامة الدلائل البيّنة على التوحيد، ولما كانت الآيات تخاطب المشركين الذين نزل فيهم القرآن في المقام الأول، فلم تكن تعالج شبهة إنكار وجود الله تعالى أو إنكار الربوبية، لأنهم كانوا يؤمنون بأن الله هو خالق السماوات والأرض[2]، ولكن هذا لا يعني عدم صلاحية دلائل التوحيد لمواجهة منكري وجود الله تعالى، بل الآيات القرآنية تتضمن إثبات وجود الصانع الإله الحق المدبر الرازق، ويشير ابن تيمية إلى أهمية إثبات وجود الله بطريق الآيات، فيقول: إن:"...إثبات الصانع بطريق الآيات هو الواجب، كما نزل به القرآن، وفطر الله عليه عباده..."[3]، ويبيّن سيد قطب صلاحية أدلة التوحيد لمواجهة الإلحاد في قوله: "ودليل الخلق ودليل الحياة كما أنهما صالحان لمواجهة المشركين لتقرير الوحدانية، ولتقرير الحاكمية فهما كذلك صالحان لمواجهة اللوثات الجاهلية الحديثة التافهة في إنكار الله"[4].

---

[1] من أمثلة التحريف: من فسر "اليد" لله تعالى بالقوة أو النعمة، والتعطيل: كنفي صفة من صفات الله تعالى، والتكييف: تحديد كيفية صفات الله كقولهم يده: كذا وكذا، والتمثيل: التشبيه كمن يقول وجهه تعالى كوجوهنا، يُنظر: التميمي، **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**، ص59- 70.

[2] ورد في آيات كثيرة الإشارة إلى إيمان المشركين بتوحيد الربوبية في إيمانهم بتفرد الله تعالى بالخلق والتسخير، منها: الآية الأولى من سورة الأنعام، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (84) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (85) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (86) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (87) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (88) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (89)﴾(المؤمنون:84- 89)، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(العنكبوت: 61)، فهم يقرّون بأنه تعالى خالق السموات والأرض، ثم يصرفون العبادة لغيره، ويشير أبو السعود إلى هذا التناقض بقوله: " فكيفَ يُصرفون عن الإقرارِ بتفرُّدِه تعالى في الإلهية مع إقرارِهم بتفرُّدِه تعالى فيما ذكر من الخلق والتَّسخيرِ..."، أبو السعود: محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج7، ص46.

[3] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج1، ص48.

[4] قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط32، 2003م)، ج7، ص1032.

المبحث الثاني: نظرة عامة حول التعريف بسورة الأنعام

أولاً: تسمية السورة

تسمية السورة بالأنعام لما جاء فيها من تفصيل لأحوال الأنعام ما لم يذكر في غيرها، كما أن لفظ الأنعام تكرر فيها ست مرات[1]، وذكر الأنعام في السورة كان لبيان عقائد المشركين الباطلة فيها، فهي تمثل أحد النماذج لشبهات المشركين في العقيدة والأحكام التي عُنيت السورة بإبطالها وإقامة الحجة على المشركين بها، وقد أشار إلى ذلك الزجاج بقوله: "...أن أكثرها احتجاج على مشركي العرب..."[2].

ثانياً: عدد آيات السورة

عدد آياتها مئة وسبع وستون في العدّ المدني والمكي[3]، ومئة وخمس وستون في الكوفي، ومئة وست وستون في الشامي والبصري[4].

ثالثاً: مكية السورة أو مدنيتها

أغلب الروايات على أن السورة كلها مكية[1]، وقيل بمدنية بعض الآيات[2]، وأنها نزلت جملة واحدة، يؤيد هذا موضوع السورة المحوري[3]، وهو العقيدة، والذي لا تكاد تنفك عنه آية من آياته، إذ هو موضوع أغلب السور المكية، كما يؤيد هذا مجموعة من الأحاديث التي يقوي بعضها بعضا[4]، منها:

---

[1] يُنظر: السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1988م)، ج2، ص277؛ وابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ت، 1984م)، ج7، ص121.

[2] الزجاج: إبراهيم بن السري، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1988م)، ج2، ص227.

[3] اختلاف عدد الآي لا يقصد به زيادة أو نقصان الآيات؛ وإنما هو اختلاف في مواضع الوقف على رؤوس الآيات، وجاء هذا الاختلاف من اختلاف الروايات عن الرسول ﷺ في الوقف على رؤوس الآي، يُنظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص231.

[4] يُنظر: الداني: عثمان بن سعيد، **البيان في عدّ آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري، (الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ط1، 1994م)، ص151.

1. عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: "نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة، ونزل معها سبعون ألف ملك يجأرون حولها بالتسبيح"[5].

---

[1] نقل ابن عبد البر الإجماع على مكيتها، ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، 1967م)، ج1، ص146؛ ونقل القرطبي أن الأكثرين مجمعون على مكيتها، القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج6، ص382؛ وممن قال بمكيتها الزجاج، يُنظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**،ج2، ص227.

[2] ممن قال بذلك: الثعلبي، والزمخشري، وابن عطية، والرازي وغيرهم، واختلفوا في تحديد تلك الآيات، منها قوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره(91)﴾ إلى تمام ثلاث آيات، ومنها قوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم(151)﴾ إلى تمام ثلاث آيات، وقد دافع بعض المفسرين عن مكية السورة برد آراء من قال بمدنية بعض الآيات كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...(91)﴾، فضعّف الطبري رأي من قال بمدنيتها وأنها نزلت في اليهود لسببين: أن سياق الخبر عن مشركين مكة ولم يأت ذكر لليهود فلا يصح أن يكون عنهم، كما أن إنكار إنزال الكتب ليس من دين اليهود، يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج11، ص528؛ والثعلبي: أحمد بن محمد، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، ونظير الساعدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م)، ج4، ص131؛ والزمخشري: محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1987م)، ج2، ص3؛ وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص265: والرازي: محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1981م)، ج12، ص471، وعن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ(23)﴾، رد ابن كثير الرأي القائل بمدنية الآية، يُنظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص246، ولمزيد تفصيل في مسألة مكيتها و مدنيتها يُنظر: أحمد: عبد الرزاق حسين، **المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات- من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء**، رسالة ماجستير، (القاهرة: دار ابن عفان، ط1، 1999م)، ص287، وقد أجاد الباحث في عرض أدلة الفريقين والترجيح بينهما؛ ويُنظر: الاطرش: عطية، "نزول سورة الأنعام جملة واحدة أو نزولها على أسباب متفرقة دراسة وتحليل"، **مجلة جامعة الخليل للبحوث**، م4، ع1، 2009م، ص85- 119.

[3] لسيد قطب ترجيح مقنع عن وقت نزولها، حيث يرجح أنها في السنة الخامسة أو السادسة، وذلك بالنظر إلى سعة الموضوعات في السورة، وطريقة عرضها للقضايا العقدية في الدعوة والجدل مع المشركين الذي يُشعر بطول الإعراض منهم والتكذيب للرسول ﷺ، يُنظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص1020.

[4] السيوطي بعدما ذكر شواهد على نزول السورة جملة واحدة، قال: "فهذه شواهد يقوي بعضها بعضا" (السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، ص94- 95).

[5] أخرجه القاسم بن سلام في **فضائل القرآن**، ص366؛ وأخرجه ابن الضُريس في **فضائل القرآن**، ج3، ص94؛ وأخرجه الطبراني في **المعجم الكبير**، ج12، ص215، رقم (12930)؛ وحكم عليه أحمد شاكر في **عمدة التفسير**، ج1، ص761، وقال: إسناده صحيح.

2. وعن أسماء بنت يزيد أم سلمة الأنصارية رضي الله عنها أنها قالت: "نزلت الأنعام على النبي ﷺ جملة واحدة، وأنا آخذة بزمام ناقة النبي ﷺ أن كانت من ثقلها لتكسر عظم الناقة"[1].

رابعاً: فضائل سورة الأنعام

تتمايز سور القرآن الكريم عن بعضها بفضائل خاصة، ومن الفضائل التي تتميز بها سورة الأنعام:

1. أنها من السبع الطوال[2].
2. **نزلت جملة واحدة:** وهذا يدل على أهمية أن تؤخذ أصول الدين دفعة واحدة على الفور[3].
3. **تشييع الملائكة لها عند نزولها بأعداد هائلة:** كما مر في حديث ابن عباس وابن عمر[4]، وتشييع الملائكة لها – إن صح– فيه بيان لعظم ما تحتويه هذه السورة؛ إذ فيها إثبات دلائل العقيدة من توحيد ونبوة ومعاد وغيره بحجج ساطعة ينبغي لكل مسلم تعلمها، وفيها إبطال لعقائد أهل الباطل، وهذا يدل على رفعة علم أصول الدين وشرفه[5].
4. **أنها ابتدئت بالحمد[6]:** والحمد في الأنعام فرع من حمد الفاتحة، وبيان ذلك أن الفاتحة جاءت بأبلغ الحمد وأشمله وأتمّه– فهي أم الكتاب– فوصفت الله تعالى بأنه رب العالمين، أي رب كل موجود سوى الله، وابتدأت الأنعام بحمده على خلق السماوات والأرض والظلمات والنور في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ...(1)﴾، وهذه المخلوقات هي جزء من العالمين وليس كله، فالحمد المذكور في الأنعام صار فردا من أفراد الحمد المذكور في

---

[1] أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير**، ج24، ص178، رقم (449)؛ وحكم عليه أحمد شاكر في **عمدة التفسير**، ج1، ص761، وقال: إسناده صحيح.

[2] مما جاء في فضل السبع الطوال: أن النبي ﷺ قال: "أعطيت مكان التوراة السبع وأعطيت مكان الزبور المئين وأعطيت مكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصل"، أخرجه الطيالسي في **مسنده**، ج2، ص351، رقم (1105)؛ وأخرجه أحمد في **مسنده**، ج28، ص188، رقم (16982)؛ وذكره ابن كثير في **تفسيره** فصل "ذكر ما ورد في فضل السبع الطوال"، ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص154.

[3] يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص149.

[4] يُنظر: الأحاديث السابقة في مكية السورة.

[5] يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص149.

[6] السور التي ابتدأت بالحمد هي: الفاتحة، والأنعام، والكهف، وسبأ، وفاطر.

الفاتحة[1]، ولما كان مقصود السورة في محاجة الكفار وإثبات التوحيد أتبع الحمد بقوله: ﴿...ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾، تعجباً من وضوح دلائل توحيده التي تقتضي الحمد، مع شدة عنادهم وشركهم وكفرهم فكان كالمقدمة لمحاجتهم وجدالهم[2]، وجاء ب(ثم) للدلالة على استبعاد أن يمتروا بعد كل هذا الوضوح لدلائل وحدانيته[3].

خامساً: مقصد السورة وأبرز مواضيعها

عُنيت سورة الأنعام بحفظ أهم المقاصد في حياة الإنسان وهو الدين، لبناء العقيدة الصحيحة في الشخصية المسلمة – شأنها شأن السور المكية– وحملت آياتها فيضاً من الدلائل الناصعة لتقرير عقيدة التوحيد وأصول التشريع بالأدلة القاطعة، وسورة الأنعام أصل في محاجة المشركين والمبطلين ونقض معتقداتهم وشرائعهم الباطلة، وهي زاد للدعاة ومنهج للمحاورين[4].

ويمكن اعتبار سورة الأنعام دليلاً إرشادياً لمحاجة الكفار[5]؛ ذلك أن شبهات الكفر اليوم قد تبدو في ظاهرها مختلفة عن الماضي، ولكن بالنظر الدقيق لها يُعرف أن أصل الفساد والانحراف هو هو لم يتغير، فكذلك

---

[1] يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج1، 188– 187، وج12، ص149؛ والسيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج3، ص387.

[2] وجدت الطبطبائي ذكر كلاما قريبا من هذا حيث قال: "افتتح بالثناء على الله وهو كالمقدمة لما يراد بيانه من معنى التوحيد ، وذلك بتضمين الثناء ما هو محصل غرض السورة ليتوسل بذلك إلى الاحتجاج عليه تفصيلا، وتضمينه العجب منهم ولومهم على أن عدلوا به غيره والامتراء في وحدته ليكون كالتمهيد على ما سيورد من جمل الوعظ والإنذار والتخويف"، الطباطبائي: محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن** (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، 2002م)، ج7، ص6.

[3] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج2، ص4.

[4] يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص471؛ والبقاعي: إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت)، ج7، ص2؛ والزحيلي: وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط2، 1997م)، ج7، ص127؛ ونخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، (الشارقة: جامعة الشارقة– كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1، 2010م)، ج2، ص396–398.

[5] ذكر الرازي ما نسبه للرسول ﷺ قوله: «ما نزل علي سورة من القرآن جملة غير سورة الأنعام، وما اجتمعت الشياطين لسورة من القرآن جمعها لها، وقد بعث بها إلي مع جبريل مع خمسين ملكا أو خمسين ألف ملك

ما جاء في هذه السورة من أساليب شاملة وردود على شبهات الكفر والأفكار المنحرفة صالحة لمواجهتها لكل زمان، وقد أشار صاحب الأساس إلى شمولية الحوار في هذه السورة لشبهات الكفر الرئيسة بقوله: "إن السّورة حوار شامل مع الكافرين في كل الاتجاهات الرئيسة للكفر، سواء كانت نظرية، أو كانت عملية؛ ولذلك فإن على الداعية إلى الله أن يتملّى حججها ويعرف كيف يقرع بها"[1]، ويُنقل عن أبي إسحاق الإسفراييني قوله إن سورة الأنعام فيها كل قواعد التوحيد.[2]

سادساً: علاقة سورة الأنعام بالسورة التي قبلها والتي بعدها

تنتظم سور القرآن الكريم في عقد فريد، تتلألأ سوره الواحدة تلو الأخرى في ترتيب وتناسق عجيب، فسُوره محبوكة أحسن الحبك وأجوده، مع أن نزولها لم يكن بهذا الترتيب بل تقدم نزول ما أُخر في المصحف، وتأخر نزول ما قُدم.

ارتباطها بسورة المائدة:

المائدة التي تأخرت عن الأنعام في ترتيب النزول، قد تقدمت عنها في ترتيب المصحف، ولعل ذلك يرجع إلى اشتمال المائدة على أغراض تشبه تلك التي اشتملت عليها سورة النساء، فجاءت بعدها لتبين إحداهما الأخرى،[3] ومن وجوه التناسب بينهما:

أولاً: تضمنت سورة المائدة تفصيلاً لكثير من التشريعات والأحكام الشرعية، وعُنيت سورة الأنعام بتقرير أصول العقيدة التي بُنيت عليها تلك الأحكام، والمتأمل في نزول الأنعام قبل المائدة، يدرك أهمية التأسيس العقدي قبل التشريع التفصيلي، كما أن سورة الأنعام حوت إجمالاً لبعض الأحكام التي فُصلت فيما بعد في المائدة:

يزفونها ويحفونها حتى أقروها في صدري كما أقر الماء في الحوض، ولقد أعزني الله وإياكم بها عزا لا يذلنا بعده أبدا، فيها دحض حجج المشركين ووعد من الله لا يخلفه»، الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص149، ولم أجد له سندا ولا عاضداً يقويه.

[1] حوى: سعيد، **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط1، 1985م)، ج3، ص1661.

[2] الشهاب الحفاجي: أحمد بن محمد، **عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت) ج3، ص307.

[3] يُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص72.

كأحكام الذبائح والأطعمة المحرمة في دين الله، وهذا التدرج في تفصيل الأحكام مهم في التمهيد لتطبيق أحكام الشريعة في المجتمع.[1]

ثانياً: السورتان تدحضان وجوه الشرك؛ جاءت سورة المائدة في محاجة أهل الكتاب ودحض شبهاتهم، فناسب أن يأتي في خاتمتها إبطال ألوهية عيسى عليه السلام، ثم جاءت سورة الأنعام في محاجة المشركين ودحض شبهاتهم والإكثار من أدلة إثبات الصانع ودلائل توحيده؛ لذلك تضمنت إبطالاً لألوهية غير الله تعالى، وكلتا السورتين تضمنت الرد على من شرع من دون الله تعالى.[2]

ثالثاً: جاء في آخر المائدة إبطال ألوهية عيسى وأمه عليهما السلام، وإثبات سلطان الله الكامل وقدرته الشاملة،[3] في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...}[المائدة: 116] وقوله: { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[المائدة: 120]، وأعقب في مقدمة الأنعام[4] ببيان أن لله الحمد المطلق، فلا يمكن أن يكون معه شريك في الألوهية يصرف له الحمد معه- سواء أكان عيسى عليه السلام أم أمه أم غيرهما- وبيّن العلة في كمال سلطانه وكمال قدرته واختصاصه بالحمد وحده وهو: خلقه السموات والأرض وخلقه الإنسان في قوله عز وجل: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2)}.[5]

---

[1] يُنظر: رضا: محمد رشيد، **تفسير المنار**، (القاهرة: دار المنار، ط2، 1947م)، ج7، ص241؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج6، ص72؛ وحوى، **الأساس في التفسير**، ج3، ص1559.

[2] يُنظر: الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م)، ج4، ص73؛ ومصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ج2، ص401-402.

[3] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾(المائدة:116)، وقوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(المائدة: 120).

[4] قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ... ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾(1- 2).

[5] يُنظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص428؛ وأبو زهرة: محمد بن أحمد، **زهرة التفاسير**، (د.م: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج5، ص2429.

ارتباطها بسورة الأعراف:

تقع سورة الأعراف بعد سورة المائدة والأنعام في ترتيب المصحف، وقد سبقتهما نزولاً، ومن وجوه التناسب بين الأنعام والأعراف: أولاً: أنها تعرض لنا المنهج القرآني وإنزاله على الواقع البشري، في تفاعل المنهج القرآني في سورة المائدة وأحكامها الشرعية التفصيلية، بما جاء في سورة الأنعام من مظاهر الاستدلال على وحدانية الله تعالى وإبطال لمظاهر الشرك والكفر، وظهوره في الأعراف في بيان كيف طُبق شرع الله في الأرض، ومعارك الحق والباطل في الواقع الإنساني، حيث طافت بنا على مختلف الشعوب والأقوام وحال الرسل والأنبياء معهم.[1]

ثانياً: تشابه الأنعام والأعراف في موضوعهما الرئيس وهو العقيدة، فسورة الأنعام أشد سور القرآن مقارعة لأهل الجاهلية واحتجاجاً على سفاهة أحوالهم، ولما كانت سورة الأنعام تعالج العقيدة في ذاتها في مواجهة الجاهلية العربية المشركة، كانت سورة الأعراف تعالج موضوع العقيدة في مجال التاريخ البشري متمثلة في قصص الأنبياء والرسل[2].

ثالثاً: كثير مما أجمل في سورة الأنعام فُصّل في الأعراف، من ذلك[3]: إجمال سورة الأنعام لقضية خلق الإنسان، في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ(2)﴾، وبسطها في الأعراف بذكر قصة خلق آدم[4]، وإجمال الأنعام لذكر إهلاك القرون، في قوله تعالى: ﴿...كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ...(6)﴾، وبسط الأعراف لحال تلك القرون بذكر قصص الأنبياء والأمم وكيفية إهلاكهم،[5] ولما جاء ذكر الخلافة في آخر الأنعام في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ...(165)﴾،

---

[1] الحمداوي، "سورة الأنعام جذع مشترك ومرجع لفهم أحكام العقيدة"، شبكة الألوكة، 2014/9/24م، https://www.alukah.net/sharia/0/76410/#ixzz6TMQgj1ws.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1244.

[3] السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، **أسرار ترتيب القرآن**، تحقيق: عبد القادر أحمد، ومرزوق علي، (القاهرة: دار الفضيلة، د.ط، د.ت)، ص86.

[4] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ... إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(الأعراف:11- 27).

[5] منه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ... وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾(59- 93).

فصل في الأعراف بذكر قصة بدء الخلافة في خلق آدم عليه السلام وإنزاله خليفة في الأرض، ثم تعاقبت القصص الأخرى التي تضمنت إشارات إلى قضية الخلافة، منها: في قصة عاد: ﴿...جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ...﴾(الأعراف:69)، وفي قصة ثمود: ﴿...جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ...﴾(الأعراف:74).

الفصل الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في القسم الأول من سورة الأنعام، والرد القرآني عليها

المبحث الأول: شبهات التوحيد في الآيات (1–3) والرد القرآني عليها

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الثاني: شبهات التوحيد في الآيات (11–19) والرد القرآني عليها

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الثالث: شبهات التوحيد في الآيات (40–47) والرد القرآني عليها

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الرابع: شبهات التوحيد في الآيات (56–67) والرد القرآني عليها

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الأول: شبهات التوحيد في الآيات (1- 3) والرد القرآني عليها

افتتح الله تعالى سورة الأنعام بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ(3)﴾.

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات

1. شبهة الشرك في الألوهية[1]: وذلك بمساواة الخالق بالمخلوق، في نسبة الشريك إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿...ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾[2].
2. شبهة الشك في صحة التوحيد: في قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ(2)﴾.
3. والآيات صالحة للرد على شبهات أخرى، وإن لم تكن الشبهات الرئيسة التي تتعرض لها، منها:[3]

أ. شبهات تتعلق بالربوبية: من إنكار الربوبية جملة، كمن يعتقد بوجود مدبر لهذا الكون غير الله تعالى، أو الشرك في الربوبية، كاعتقاد وجود شريك مع الله يدبر الكون، أو نسبة الخلق إلى غير الله تعالى.

ب. شبهة إنكار وجود الله تعالى.

---

[1] سبق الحديث في التمهيد عن أنواع التوحيد والانحرافات التي وقعت فيه فليراجع.

[2] معنى يجعلون له عدلاً: "...أي نداً في الإلهية، وإن كانوا يعلمون أنه ليس من جنس الرب سبحانه"، ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج17، ص137، و"...هذه هي التسوية التي أثبتها المشركون بين الله وبين آلهتهم"، ابن القيم، **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، ج1، ص102، كما ضعّف ابن القيم الرأي القائل بأن الباء في (بربهم يعدلون) بمعنى "عن"، أي: أن الذين كفروا عن ربهم يعدلون، عن عبادته إلى عبادة غيره، محتجاً بأن العرب لا تقول عدلت بكذا، أي عدلت عنه، يُنظر: ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج3، ص22.

[3] سبق الحديث عن صلاحية أدلة التوحيد في مواجهة إنكار الربوبية وإنكار وجود الله في التمهيد.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني

الفرع الأول: محور الاحتجاج في الآيات ومضمون الرد على الشبهات الواردة فيها

محور الاحتجاج: الاستدلال بربوبيته في الخلق والتدبير، وكمال علم الله وقدرته لإثبات التوحيد.

مضمون الرد على الشبهات الواردة فيها: والشبهات هي:

1. شبهة الشرك في الألوهية، بمساواة الخالق بالمخلوق، في نسبة الشريك إلى الله تعالى، ومعالجتها كانت من خلال: التفريق بين الخالق والمخلوق، بتقرير أن الله هو الخالق لأعظم المشاهدات في الوجود وهما السماوات والأرض، وأعظم الظواهر الكونية ارتباطاً بحياة الإنسان وهما الظلمات والنور، ثم الإنكار على الخصم استمراره على الشرك بعد ظهور الدلائل ووضوحها.
2. شبهة الشك في صحة توحيد الألوهية، ومعالجتها كانت من خلال: الاحتجاج على الخصم باختصاص الله تعالى بالقدرة على إحيائه وإماتته، واختصاصه بمعرفة آجاله، للإنكار عليه الشك بعد ظهور ووضوح الدلائل.
3. شبهات إنكار أو الشرك في الربوبية، ومعالجتها كانت من خلال: إثبات أن الله هو خالق معبوداتهم، وخالقهم من طين، واختصاصه بالخلق دون غيره، إثباتاً لتوحيد الربوبية.
4. شبهة إنكار وجود الله تعالى، ومعالجتها كانت من خلال: الابتداء بالمقدمة المسلّمة التي لا تقبل الشك بل تستوجب الحمد والشكر، وهي اختصاص الله تعالى بخلق السماوات والأرض، وخلق حياة الإنسان وتدبيرها، وهي ذاتها أدلة التوحيد.

الفرع الثاني: المنهج العام للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات

الآيات في فاتحة سورة الأنعام تبطل شبهات الخصم بطريقين؛ طريق مباشر وطريق غير مباشر.

أولاً: تقرير توحيد الألوهية بطريق غير مباشر: في الآيات (1– 2)، بإثبات توحيد الربوبية الذي يوجب توحيد الألوهية، من خلال تقديم صفات الربوبية الدالة على أفعال الرب والتي ينفرد بها الله عز وجل، وإقرار العبد بها يلزم منه أن يفرد المتصف بهذه الصفات بالعبادة، وكان إثبات توحيد الربوبية من خلال:

أ. الاحتجاج بأدلة كونية حسّية مُشاهدة: في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ...(1)﴾، ابتدأت الآية بتقرير أن الله تعالى هو المستحق- دون غيره- لجميع المحامد لاختصاصه بخلق هذه الأدلة الكونية، وهذا ما دل عليه تعريف الحمد في قوله تعالى: (الحمد لله)، إذ أفاد استغراق الحمد كله لله تعالى[1]، وجاءت الأدلة الحسّية الكونية على صنفين، هما[2]:

- دليل الخلق: في خلق الله تعالى لأعظم الأجرام الكونية المشاهدة وهي السماوات والأرض.
- دليل الإتقان: في تسيير هذه الأجرام وحركتها وتفاعلها مع بعضها، والذي نراه في الظواهر الكونية الناتجة عن تلك الأجرام، وهي الظلمات والنور.

وختمت الآية بالتعريض بموقف المشركين، بالإنكار عليهم إقامتهم على الشرك بربهم بعد الإقرار بتوحيد الربوبية في اختصاص الله تعالى بالخلق، فقال تعالى: ﴿...ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾، والعدل هو مساواة الشيء بالشيء، "...وعدلت فلانا بفلان إذا سويت بينهما"[3]، فمع وضوح الأدلة وظهورها يجعلون له شريكًا، والعطف بـ"ثم" لمزيد توبيخ وتشنيع عليهم[4].

---

[1] لم يقل (احمدوا الله)، بل جاء الحمد بصيغة الخبر الذي أفاد عدة أمور، منها: أفاد الأمر بالحمد، وأفاد تعليم اللفظ والمعنى،: ولو قال (احمدوا الله) لأفاد المعنى دون اللفظ، وقد يفيد احمدوا الله مع غيره، وأفاد أنه المستحق للمحامد كلها سواء حمده الخلق أم لم يحمدوه، كما أن سياق إقامة الحجة على المشركين يناسبه صيغة الخبر، يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص473- 475.

[2] للمزيد حول رد الشبهات والأدلة على وجود الله تعالى الرجوع إلى: العجيري: عبد الله بن صالح، **شموع النهار**، المملكة المتحدة: تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 2016م)، وكتبه: **ميليشيا الإلحاد، وينبوع الغواية الفكرية**؛ والغماس: أفنان، **منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الملحدين**، (الرياض: مركز دلائل، ط1، 2017م)؛ وعامري: سامي، **براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم**، (المملكة المتحدة: تكوين، ط1، 2018م)، وكتابه: **مشكلة الشر ووجود الله الرد على أبرز شبهات الملاحدة**؛ والسيد: أحمد، **سابغات**، (المملكة العربية السعودية: الدار العربية للطباعة والنشر، ط3، 2017م).

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، ص432.

[4] يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج11، ص252؛ وأبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2432.

ب. الاحتجاج بدليل حسّي في ذات الإنسان وبصفة من صفات الرب: في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ(2)﴾، والأدلة التي تضمنتها الآية هي:

- دليل الخلق: بخلق هذا الإنسان المفكر الناطق من طين[1]، ثم تدبير حياته وإحكامها بتقدير وقضاء الآجال المختلفة التي لايعلمها إلا الخالق سبحانه، منها ما تنقضي بها حياته بالموت في قوله:﴿...ثُمَّ قَضَى أَجَلًا...(2)﴾، ومنها إعادة خلقه من جديد للبعث في قوله:﴿...وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ...(2)﴾[2].
- صفة القدرة على البعث: وهي صفة من صفات الربوبية، للرد على من أنكر البعث واستبعده على الله، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ(2)﴾، تمترون أي تَشكّون[3]، فإن كان أصله من طين فلا عجب أن يعود إليه[4].

ثانياً: تقرير التوحيد بطريق مباشر: ثبت في الآيتين السابقتين تفرده سبحانه باستحقاق الحمد على نعمة الخلق والتدبير، لَزم من ذلك تفرده بالألوهية، وهو ما وضحته الآية الثالثة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي

---

[1] معنى خلق الإنسان من طين: "أن الله خلق آدم من طين، فخوطب الخلق بذلك، لأنهم ولده، وهو أصل لهم"، مكي بن أبي طالب: مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي- جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، (جامعة الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 2008م)، ج3، ص1958، ومن فوائد الإشارة إلى أصل الإنسان في خلقه من طين: الإشارة إلى عظمة الخالق الذي خلق هذا الإنسان العظيم من هذه المادة الحقيرة، وتذكير الإنسان بأصله لئلا يتكبر ويتجبر ويغتر، يُنظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2433.

[2] قيل: أن الأجل الأول هو ما بين خلق الإنسان إلى موته، والأجل المسمى ما بين أن يموت إلى أن يبعث، وقيل الأول قضاء الدنيا والأجل المسمى الآخرة، وقيل الأول قبض الروح عند النوم والأجل المسمى قبضها عند الموت، (يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج11، ص256- 259).

[3] الشك إما في صحة توحيد الألوهية أو في صحة البعث والمعاد، يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص479- 481.

[4] يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج11، ص252؛ والرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص479- 481.

السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ...(3)﴾، "يعني: وهو إله السموات والأرض"[1]، بعدما ذكر تفرده بخلق السماوات والأرض في الآية الأولى، بيّن هنا أنه هو الإله المتفرد فيهما، لا ينبغي أن يُشرك معه أحد في ألوهيته، ولما ذكر سابقاً خلق الإنسان من طين ذكر هنا حال هذا الإنسان، وأن خالقه هو العليم بسره وجهره، وكسبه ورزقه، لا يخفى عليه شيء من أمره، فعلمه يحيط بالخلق في جميع أمورهم[2].

تجدر الإشارة إلى أن مقدمة سورة الأنعام لم يأت فيها التصريح بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وهذا من براعة الاستهلال وإقامة الحجة على الخصم، إذ لم تبدأ الآيات بمواجهته إلا بما يقرّه، لتبني على هذا الإقرار قضايا بدهية لا يملك الخصم إنكارها؛ لذلك جاء الحديث عن توحيد الألوهية بأسلوب الإثبات في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ...(3)﴾، ولم تأتِ بكلمة الوحيد التي تضمنت النفي، لئلا ينفر الخصم من الاستماع إلى الدلائل التي تقيم الحجة عليه.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني

ظهرت في الآيات ملامح الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد، منها:

1. **ابتداء السورة بإثبات التوحيد بطريق غير مباشر:**[3] افتتحت الآيات الحوار مع الخصم في السورة بطريق غير مباشر، فأخذت تجول بالخصم في آفاق الكون، ترشده للنظر في مخلوقات الله العظيمة، وتفاصيلها المعجزة، تذكره بما يقرّ هو به من ربوبية الله تعالى في الخلق والإنشاء، في الآيات (1-2)، لتنتقل به إلى ما يرفض الاعتراف به من توحيد الإله، في الآية (3)، وهذه طريقة القرآن في توجيه التفكير إلى النظر في الكون: في آفاق السماء، وما فيه من ظواهر بديعة، ثم في جنبات الأرض وما

---

[1] البغوي: الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1999م)، ج2، ص109.

[2] يُنظر: الماتريدي: محمد بن محمد، **تأويلات أهل السنة**، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005م)، ج4، ص15؛ وأبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2435.

[3] سيأتي التفصيل عنه في مبحث التدرج في الاستدلال في الفصل الأخير.

فيها من مخلوقات مسخرة للإنسان، باعتبار هذا الكون مادة حية للتفكير الذي يؤدي- بأقرب طريق- إلى الإيمان بوجود الله وتوحيده.[1]

[1] يُنظر: فضل الله: محمد حسين، **الحوار في القرآن**، (لبنان: دار الملاك، ط5، 1996م)، ص108.

2. **تقديم الأصول على الفروع:**[1] ومن ذلك:

أ. **تقديم أدلة توحيد الربوبية:** وهو ما سبق التطرق له في النقطة الأولى، حيث قدمت أدلة توحيد الربوبية من تفرده بالخلق والتدبير، لمعالجة الخلل الرئيس والأخطر عند المشركين، في شركهم في الألوهية، وأهمية ذلك في الرد على الشبهات[2]: أنه احتجاج على الخصم بما يقرّه؛ فالمشركون يؤمنون بالربوبية في أن الله هو خالق السماوات والأرض[3]؛ لذلك احتج عليهم به لإثبات ما أنكروه من توحيد الألوهية، وأيضاً فإن توحيد الربوبية أعظم دليل لتوحيد الألوهية: "ولا سبب للعبودية أحق وأعظم من الخالقية..."[4].

ب. **تقديم تقرير قضية التوحيد وتأخير ذكر موقف المخالف:** تنبيه للقارئ ليتبنى الفكرة، فإذا وصل للقول الباطل نبذه ورآه شاذاً مستهجناً، وهذا ظهر في الآية الأولى: بتقرير أن الله تعالى هو المتفرد بالخلق قبل نقد موقف المشركين، وفي الآية الثانية: بتقرير خلقه سبحانه الإنسان من طين قبل التطرق لموقف الممترين الشاكّين، ولما كان محور الآية حول خلق الله في عظمته وضخامته ثم انتهى إلى شرك المشركين وظلمهم، ظهر تفاهة شركهم مقابل وضوح دلائل التوحيد وقوتها، وهذا التناقض أمعنت الآية في إظهاره باستعمال "ثم" بدل الـ"واو"[5].

---

[1] إن المقصود من استعمال مصطلحيّ الأصول والفروع في البحث؛ توضيح كيفية تناول السياق القرآني الاحتجاج بقضايا على أخرى، وليس للتفريق بين أجزاء الدين وجعل بعضها أهم من بعض، وسيأتي التفصيل حول أهمية تقديم الأصول على الفروع في الفصل الأخير.

[2] سيأتي التفصيل في أهمية وأنواع تقديم الأصول على الفروع في الرد على الشبهات في الفصل الأخير.

[3] سبق بيان ذلك في التمهيد.

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص151.

[5] إن العطف بـ(ثم) فيه معنى الترتيب والتراخي، أي بعد ظهور كل هذه الأدلة ظهوراً بيّناً على فترات زمنية طويلة يعدلون بربهم، "...فهذا كما تقول: يا فلان أعطيتك وأكرمتك وأحسنت إليك ثم تشتمني..."، ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص266، ولو أنه عطف بالواو لما كان بقوة هذا التوبيخ، ويحتمل أن يكون التعبير بـ(ثم) لإظهار البعد ما بين الحقيقتين، حقيقة الأدلة التي توجب توحيد الله، والثانية ما يقع من المشركين من شرك، ويُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج11، ص252؛ وأبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2432.

3. **الابتداء بالدلائل الحسّية المشاهدة في مخاطبة العقل بعيداً عن الطرق الفلسفية والكلامية:**[1] إن هذه المقدمة لا تواجه العقل البشري بالجدل النظري العقيم، بل تواجهه بتقرير الوحدانية بحركة الخلق والإحياء والإماتة، وحركة التدبير والهيمنة الخارجة عن قدرة المخلوقات وتصرفها؛ لذلك بدأت الآيات بالاستشهاد بما يحيط بالإنسان من أدلة يراها بعينه في حياته اليومية، مما لا يقدر عليه إلا الخالق تعالى، لإثبات تفرده بصفات الربوبية ومن أخصّها القدرة على الخلق والتدبير[2].

وجاءت الأدلة الحسّية في الآيات على النحو الآتي:[3]

- دلائل الوجود الكوني: تقرر الآية الأولى توحيد الربوبية بدليل الخلق والإنشاء في الكون، بخلق الله تعالى لأكبر وأعظم ما يُرى بالعين المجردة: السماوات والأرض[4]، ثم أعظم

---

[1] سيأتي التفصيل عن أهمية وأنواع الأدلة العقلية في الرد على الشبهات في الفصل الأخير، والتفريق بين علم الكلام والفلسفة في ص145.

[2] والدلائل الحسّية كما أنها دلائل على إثبات التوحيد، فهي دلائل على إثبات وجود الله، والأسلوب القرآني في إثبات وجود الله هو من خلال الكون وأسرار الطبيعة، فلا يعرض للقضية بطريقة فلسفية مجردة، وأسلوب عقلي جاف، بل يتحدث عنها من خلال حركة الحياة التي تشير إليه، وتدعو الإنسان إلى شكر خالقه وعبادته والتعرف عليه من خلال حاجة ذلك الإنسان إلى الشكر والعبادة، فتصير معرفة الله غاية في نفسها، ووسيلة إلى الشكر والعبادة، لأن الإنسان لا يستطيع أن يشكر أو يعبد من لا يعرف، فهذا الكون وما فيه من عظمة وإتقان هو دليل على وجود الله من جهة ونعمة للإنسان من جهة أخرى ينبغي الشكر عليها، يُنظر: فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص111.

[3] يُنظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج4، ص15؛ وقطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص1030؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص132.

[4] لا تقتصر عظمة هذه المخلوقات على مجرد عظم حجمها، فإن العلم الحديث يكشف لنا وجوهاً كثيرة من وجوه الإتقان والإبداع فيها، من ذلك: قانون الجاذبية في السماء، والذي يربط بين الأجرام السماوية ويحفظ تماسكها وانتظامها في مداراتها، (يُنظر: عبد العليم: خضر، **الإنسان في الكون بين القرآن والعلم**، (جدة: عالم المعرفة، ط1، 1983م)، ص219)، ومن ذلك المسافة بين الأرض والشمس والقمر، فالأرض تبتعد عن الشمس 92 مليوناً ونصف مليون ميل، وتبلغ حرارة الشمس 12 ألف درجة فهرنهيت، وتبتعد الأرض عن القمر 240 ألف ميل، وهذه المسافات هي المناسبة لتهيئة البيئة الصالحة للحياة على الأرض، ولو اقتربت الشمس من الأرض لأدى ذلك إلى احتراق الكائنات الحية عليها، وانعدام مظاهر الحياة، ولو ابتعدت الشمس قليلاً لأصيبت الأرض بالتجمد، ولانعدمت الحياة عليها، يُنظر: نوفل: عبد الرزاق، **الله والعلم الحديث**، (القاهرة: دار الشروق، د.ط، 1998م)، ص24.

الظواهر الطبيعية: الظلمات والنور؛ لتقرير ارتباط الألوهية بقضية الخلق في المقام الأول.

- دلائل الوجود الإنساني: تقرر الآية الثانية توحيد الربوبية بدليل تفرد الله تعالى بالقدرة على إحياء الإنسان وإماتته، والإنسان يعلم من نفسه العجز عن هذه الأمور العظيمة– وهو أذكى وأشرف الكائنات الحية من ناحية التركيبة العقلية– فغيره من المخلوقات أو الجمادات أعجز، إبطالاً لاستحقاقهم للعبادة، وإثباتاً لاستحقاق الله تعالى وحده للعبادة.
- دلائل الوجود الكوني والإنساني: وتقرر الآية الثالثة تفرد الله تعالى في السماوات والأرض بإعمال العقل في الدلائل السابقة، فإذا كان هو المتفرد بخلقهما، لم يشركه أحد في ذلك، كان هو الإله المتفرد بالألوهية فيهما، لم يشركه أحد في ألوهيته، وإذا كان هو المتفرد بإحياء الإنسان وإماتته، كان هو المستحق للعبادة دون غيره.

4. **التدرج مع الخصم من الدليل الحسّي إلى الدليل العقلي:**[1] مثال ذلك: التدرج من أدلة الربوبية الحسّية في الآيات (1– 2)، للانتقال إلى الدليل العقلي في تفرد الله تعالى بالألوهية في السماوات والأرض بدليل خلقه لهما، في الآية الثالثة، إذ إن العقل السليم يدرك أن القدرة على الخلق هي من أخص خصائص الألوهية، "فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً..."[2]، فلما انتفت قدرة الأصنام على الخلق انتفى استحقاقها للألوهية، وثبت بذلك استحقاق الله تعالى وحده للألوهية[3].

5. **الانطلاق من قضايا مشتركة يقرّها الخصم:**[3] ويلاحظ أن آيات سورة الأنعام نزلت تخاطب المشركين ابتداء، فهم الذين أشارت إليهم الآية في قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾، تعجباً منهم كيف يعترفون بأن الله هو الخالق والمدبر لهذا الكون، ثم لا يُخلِصون له العبادة، ومحل التعجب:

---

[1] سيأتي التفصيل عن أهمية التدرج وأنواعه في الرد على الشبهات في الفصل الأخير.

[2] يُنظر: ابن أبي العز، **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**، ج1، ص41.

[3] هذا من أنواع التدرج في الاستدلال، سيأتي تفصيل أهميته وأنواعه في الفصل الأخير.

"أنه يخلقهم ويخلق معبوداتهم فلا يهتدون إليه بل ويختلقون إلهية غيره"[1]؛ لذلك انطلقت الآيات من الاحتجاج على المشركين بما يثبتونه من توحيد الربوبية في الخلق والإنشاء، والخلق "...أعظم الأفعال التي تدل على الخالق وتفرده بهذه القدرة التي هي أعظم من أي قدرة، وليس لها نظير ولا مماثل من قدر المخلوقين"[2]، للاستدلال على توحيد الإله، "فأنت لو سألتهم: من خلق السماوات والأرض؟ ومن نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها؟ ومن بيده تدبير جميع الأشياء؟ ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ وحده، ولاعْتَرَفُوا بعجز الأوثان ومن عبدوه مع الله على شيء من ذلك"[3].

6. **غزارة المعاني القرآنية في الجمع بين الأدلة المختلفة والرد على الشبهات المتعددة والطوائف المتنوعة بإيجاز ووضوح:**[4] فالقرآن الكريم بحججه الواضحة والميسرة، التي تدركها كل العقول، يجمع في آياته معاني غزيرة، تدحض عدداً من الشبهات وتزُدُّ عليها، بكل قوة ووضوح ويسر، ومن ذلك:

   أ. **الاستدلال بالدليل الواحد على أكثر من قضية في آية واحدة:** مثال ذلك: الجمع بين تقرير التوحيد وإثبات البعث: في الآية الثانية استدلت الآية بقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة للاحتجاج على التوحيد وعلى صحة البعث والمعاد بدليل الخلق الأول، فمن خلق هذا الإنسان أول مرة هو القادر على إعادة خلقه من جديد.[5]

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص128- 129.

[2] ابن تيمية، **تفسير ابن تيمية**، ج7، ص121.

[3] السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن معلا، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م)، ص635.

[4] سيأتي الحديث عن التنويع في الاستدلال، أنواعه وأهميته في الرد على الشبهات في الفصل الأخير.

[5] يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص479- 480؛ وأبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص433.

ب. **الاستدلال بأكثر من دليل على القضية الواحدة:** مثال ذلك:

- الجمع بين أدلة وجود الله:[1]
  - خلق هذا الكون بضخامته الهائلة ودقته المعجزة، الذي لا يمكن أن يكون مجرد صدفة.
  - عجز الإنسان أمام ظاهرة الموت والحياة تلفت نظر الإنسان إلى وجود من يملك هذه الظواهر وهو الله تعالى.
  - الإتقان لما يجري في الكون من تدبير وتصريف، من ذلك حركة الأجرام السماوية التي تنتج ظواهر مهمة وضرورية للإنسان، بحساب دقيق وتناظم عجيب.
- الجمع بين أدلة كمال الإله: وهي كمال القدرة والعلم؛ فأما كمال القدرة فظهر في خلقه السماوات والأرض والإنسان، وأما كمال العلم فجاء في الآية الثالثة بإحاطة علمه بالإنسان"...وحينئذ يكمل العلم بالصفات المعتبرة في حصول الإلهية..."[2].

ت. **الجمع بين الاستدلال بمصادر المعرفة الثلاثة:**[3] دليل الحس بذكر خلق السماوات والأرض والإنسان في الآية(1– 2)، ودليل العقل في إعمال العقل في الدلائل الحسية

---

[1] يُنظر: قطب: **محمد، ركائز الإيمان،** (القاهرة: دار الشروق، ط1، 2001م)، ص15؛ وينبه ابن رشد إلى أهمية أن تكون أدلة وجود الله قريبة الفهم غير معقدة، فيقول: "الأدلة التي تستخدم في إثبات وجود الله يجب أن تكون بدهية وغير معقدة ... كما ينبغي ألا تثير الشبهات، وأن تكون أدلة العقل والشرع في آن واحد؛ إذ الحقيقة واحدة، وبذا تتجه هذه الأدلة في يسر إلى الناس جميعاً عامة وخاصة"، ابن رشد: **محمد بن أحمد، مناهج الأدلة في عقائد الملة،** تحقيق: محمود قاسم، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1964م)، ص26، ولمزيد تأمل وتفكر يرجع لكتاب مفتاح دار السعادة لابن القَيم.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب،** ج12، ص481.

[3] وطرق المعرفة ترجع إلى: الطريق الأول: الإدراك الحسّي بالحواس الظاهرة أو الباطنة، والطريق الثاني: "إدراك ما تتضمنه شهادات الآخرين وأخبارهم من معارف"، والطريق الثالث: "إدراك قوانين العقل الذاتية، وإدراك ما يستنبطه العقل من معارف مما ورد إليه عن الطريقين السابقين"، حبنكة الميداني: عبد الرحمن حسن، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة،** (دمشق: دار القلم، ط15، 2018م)، ص134.

للوصول إلى أن القادر على الخلق هو المستحق للعبادة، ودليل الخبر الصادق بطريق الوحي من السماء في إخبار الله تعالى عن نفسه، في الآية (3).

الشكل رقم 1 خلاصة ما تناوله المبحث الأول من الفصل الأول.

المبحث الثاني: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (11- 19) والرد القرآني عليها

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (11) قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (12) وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (13) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (16) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18) قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (19)﴾.

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات

1. شبهة الشرك بالله تعالى واتخاذ غير الله وليًّا، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا...(14)﴾، وقوله: ﴿...وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14)﴾، وقوله ﴿...أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى...(19)﴾
2. شبهة نسبة النفع والضر إلى غير الله تعالى والتي ذكرتها الآيات في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ...(17)﴾.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني

الفرع الأول: محور الاحتجاج في الآيات ومضمون الرد على الشبهات الواردة فيها

محور الاحتجاج: الاستدلال بربوبيته تعالى في كمال الملك والقدرة، والإشارة إلى ربوبيته في الخلق، للاحتجاج على التوحيد وإبطال الشرك.

مضمون الرد على الشبهات الواردة فيها: والشبهات هي:

1. شبهة الشرك بالله تعالى في اتخاذ غير الله وليّاً، ومعالجتها كانت من خلال: إنكار اتخاذ غير الله وليّاً مع ظهور دلائل كماله، والاحتجاج بأن الله تعالى هو من أمر نبيه بالتوحيد ونهاه عن الشرك، التخويف بعذاب الله تعالى، والترغيب برحمته.
2. شبهة نسبة النفع والضر إلى غير الله تعالى، ومعالجتها كانت من خلال: تقرير أن الله تعالى هو من يملك النفع والضر وحده، والاستدلال بقهر الله تعالى عباده، ثم إقامة موقف الإشهاد والمفاصلة مع الخصم فيه إعلان التوحيد والتبرؤ من الشرك.

الفرع الثاني: المنهج العام للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات

اختلف أسلوب هذه الآيات عن مقدمة السورة، فجاءت الآيات سلسلة من الأسئلة والأجوبة والأقوال المأمور ﷺ بقولها رداً على إصرار المشركين على الشرك والتكذيب الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ(8)﴾، "...فكانت منحلة إلى شبه كثيرة أريد ردُّها وتفنيدها فكانت هاته الردود كلها مفتتحة بكلمة قل عشر مرات"[1]، وتمحورت هذه الردود حول ثلاثة محاور رئيسة، هي: إثبات كمال الملك وكمال الصفات لله سبحانه، ثم إعلان عام لما أُمر به الرسولﷺ، ثم الاشهاد والمفاصلة.

أولاً: إثبات كمال الملك وكمال الصفات له سبحانه: وتضمن:

أ. إثبات قهر الله تعالى عباده مهما كانت قوتّهم، من خلال الأمر بالسير، ثم استعمال حاسة النظر وإعمال العقل للاعتبار بمصير المكذبين، في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(11)﴾.

ب. إثبات كمال ملك الله تعالى لمن في السماوات والأرض، من خلال الأمر بطرح سؤال تقريري – لا يسع المخالف إنكاره– عمن يملك ما في السماوات والأرض، في قوله: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص149.

وَالْأَرْضِ...(12)﴾، والتعقيب بالجواب بأن ملك ما في السماوات والأرض هو لله تعالى، فقال تعالى: ﴿...قُلْ لِلَّهِ...(12)﴾، تمهيداً لإثبات التوحيد،

ج. استنكار اتخاذ غير الله وليًّا، في قوله تعالى:﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا...(14)﴾، وهو المتصف بصفات الكمال المطلق، وقد تهيأ المخالف لهذا، فلا يسعه إنكاره، إذ قد استقر عنده أن الله تعالى هو الرب الخالق المدبر لأمور خلقه، وأعقب السؤال بذكر صفات كمال الله تعالى لإبطال الشبهة فقال تعالى: ﴿...فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ...(14)﴾، والولي: هو من يُستنصر ويُستعان به ويُلجأ إليه في النوائب والحوادث، وفاطر السماوات والأرض: أي خالقها ومبدعها على غير مثال سابق، وهكذا خاطبت الآية العقول ببيان امتناع أن يكون الولي الحقيقي إلا المتصف بصفات الكمال من خلق السماوات والأرض والاستغناء عن الخلق مع شديد حاجتهم إليه، وشدد على غناه تعالى عن خلقه فجعل الفعل مبنياً للمجهول في قوله: (يُطعِم ولا يُطعَم)، إشارة إلى أنه "...لا يبلغ أحد بوجه من الوجوه أن يطعمه"[1]، وفي هذه الآية عود إلى بداية السورة في قوله تعالى: ﴿...ثم الذين كفروا بربهم يعدلون(1)﴾، فهم عدلوا بربهم باتخاذ غيره وليًّا يدعونه ويعبدونه.[2]

ثانياً: إعلان عام لما أُمر به الرسول ﷺ: وتضمن:

- الدخول في الإسلام مباشرة والنهي عن الشرك، فقال سبحانه: ﴿...قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14)﴾.
- إعلان خوفه من العذاب، فقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(15)﴾، وأعقبه ببشارة برحمة الله في قوله: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ(16)﴾.

---

[1] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج7، ص35.

[2] يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج11، ص282؛ والزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج2، ص233؛ والزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج2، ص9؛ والبقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج7، ص35– 37؛ ورضا، **تفسير المنار**، ج7، ص276.

ثالثاً: الإشهاد والمفاصلة:

1. أُمِر بسؤالهم سؤالاً تقريرياً عن أعظم شهيد في الكون، والاستشهاد بالعظيم سبحانه تعظيماً لما سيفصح عنه المتكلم وهي كلمة التوحيد، فقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً...(19)﴾، ثم أمر بالجواب بأن أعظم شهيد هو الله تعالى، وهو الشهيد بين الرسول وبينهم، والإشارة إلى الإنذار بالقرآن الكريم، ثم إعذار الخصم بسؤاله عن موقفه، في قوله تعالى: ﴿...قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى...(19)﴾.
2. إعلان رفضه لموقف الخصم: ﴿...قُلْ لَا أَشْهَدُ...(19)﴾، وهذا الإعلان عن رفضه لموقفهم أُخر لنهاية الحوار أو المناظرة وهي النتيجة المنطقية لكل ما تم عرضه من دلائل لا يمكن لعاقل إنكارها،
3. إعلان موقفه بالتصريح بكلمة التوحيد، فقال تعالى: ﴿...قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ...(19)﴾، ولأن الموقف موقف مفاصلة، لا مجال فيه للمداهنة، ولأن المقام مقام وضوح وبيان، أمر الله تعالى نبيه ﷺ زيادة على إعلان كلمة التوحيد، بأن يكون موقفاً معادياً للمشركين ولاعتقادهم الفاسد، بإعلان التبرؤ من الشرك في قوله: ﴿...وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19)﴾، وجُعل هذا البيان خاتمة للحوار، وكأنها وضحت وضوح الشمس، ولا يردها إلا جاحد معاند.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني

ظهرت في الآيات ملامح الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد، منها:

1. **تقديم الأصول على الفروع:** من ذلك:

أ. **الاعتناء بتقرير الأصول:** اعتنى السياق القرآني بتقرير دلائل الربوبية في الملك والخلق والرزق، قبل أن يتطرق لتوحيد الألوهية، فبدأ بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ...(12)﴾، وذلك ليوجد الأصل الذي يبني عليه قضايا بدهية يتوصل بها إلى إثبات التوحيد، فالذي مَلَكَ السماوات والأرض وما فيهما هو الملِك، ومن فيهما عبيد له، إذا هو المستحق لعبادتهم؛ لذلك نجد السياق يصرّح بالتوحيد بعد ذلك في قوله: ﴿...قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ

مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14)﴾، وقوله: ﴿...قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19)﴾[1].

ب. **تأخير التعرض لشبهة الخصم:** جاء بتقرير ملك الله تعالى لمن في السماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ...(12)﴾، قبل الإنكار في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا...(14)﴾، ولم يبدأ الحوار بالإنكار بل أُخر لئلا ينفر الطرف الآخر فلا تُقام عليه الحجة، ثم أعقب بذكر ربوبيته في الخلق وصفات الكمال الإلهي في قوله: ﴿...فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ...(14)﴾، فكأنه يقول لهم توبيخاً: "...أغير هذا الذي هذه صفاته أتخذ وليًّا؟!..."[2].

2. **التدرج مع الخصم من الدليل الحسّي إلى الدليل العقلي:** مثال ذلك: نقلهم من أمر حسي يشاهدونه بأعينهم في آثار السابقين في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(11)﴾، إلى أمر فكري وعقلي هو ثمرة التأمل والتفكير في الإنسانية كلها، وهو أن ما في السماوات والأرض لله تعالى، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ...(12)﴾، واستعمل الاستفهام لاستثارة عقولهم إلى حقيقة ملك الله تعالى للسماوات والأرض.[3]

3. **ضرب الأمثلة لما يذكره من قواعد وتقريرات:** كان الاحتجاج على التوحيد في هذه الآيات بالاستدلال بمُلك الله لما في السماوات والأرض، فمثل لذلك بذكر إهلاك من سبق من الأمم المكذبة على قوتهم وجبروتهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(11)﴾، وأيضاً لما استنكر اتخاذ غير الله تعالى وليًّاً أعقب بذكر أمثلة لصفات الولي الحقيقي، في قوله: ﴿...فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ...(14)﴾.

---

[1] يُنظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج6، ص395؛ وأبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص446.

[2] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص273.

[3] يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**،، ج7، ص30.

4. **اعتماد النظر العقلي في سعة ملك الله وشموله:** من ذلك:

- دليل سعة ملك الله تعالى بشموله الظاهر والخفي: بدأ بالأظهر والأعظم من ملكه وقدرته، إهلاك الأمم المكذبة، وسعة ملكه لمن في السماوات والأرض، ثم أعقب بذكر الأخفى والأدق في ملكه لما سكن في الليل والنهار، ليُعلم أن "...ملكه شمل الظاهرات والخفيات..."، وأن له سبحانه التصرف المطلق في هذه الخفايا، إرشاداً إلى توجيه النظر العقلي فيها، "...وما في إخفائها من دلالة على سعة القدرة وتصرفات الحكمة الإلهية"[1].
- دليل شمول ملك الله تعالى المكان والزمان:[2] لما كانت الأماكن كلها لا تخرج عن السماوات والأرض، ولما كان الزمان محصوراً في الليل والنهار، جمعت الآيات الاستدلال بالمكانيات والزمانيات، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ...(12)﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...(13)﴾، وقدم المكان على الزمان لأنه الأظهر، "والتعليم الكامل هو الذي يبدأ فيه بالأظهر فالأظهر مترقيا إلى الأخفى فالأخفى"[3].

5. **الابتداء بطريق غير مباشر والتدرج إلى الطريق المباشر في إعلان كلمة التوحيد:** فبدأ بتقرير الخصم على دلائل الربوبية، التي تثبت عبودية من في السماوات والأرض لله تعالى وحده، في قوله: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(12)﴾، فالنتيجة اللازمة من كون الله تعالى مالكاً لما في السماوات والأرض؛ هي وجوب إفراده بالعبادة، إذ المالك "...له حق التصرف في مملوكه، بأن يشرع له ما شاء وينظم له ما شاء، فما شرعه حتماً على المملوكين"[4]، ثم يستمر بمواجهة الخصم بأسلوب غير مباشر من خلال التعريض، حيث أُمر النبي ﷺ بالإنكار على نفسه والتبرؤ من عبادة غير الله تعالى، إنكاراً

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص155.

[2] يُنظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج7، ص33.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص490.

[4] ابن عثيمين: محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم- سورة الفرقان**، (القصيم: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط1، 2015م)، ص20- 21.

على المشركين الذين عبدوا غير الله تعالى، في قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ...(14)﴾، ثم الإعلان العام للرسالة في قوله تعالى: ﴿...قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14)﴾، ويختم الحوار بالإعلان الصريح لكلمة التوحيد والتبرؤ من الشرك، رداً على الخصم بأسلوب مباشر، في قوله: ﴿...قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19)﴾.

6. **رعاية الجانب النفسي للمتصدي لشبهات الشرك والكفر:** لما اتسم منهج رد الشبهات في هذه الآيات بالمفاصلة والحدة في المواجهة مع الخصم، ولما مهّدت السورة في بدايتها إلى الحقائق، ناسب مجيء الحدة والشدّة هنا ليُواجه بها المعاند والمكابر، وهكذا يكون التدرج مع المخالف في تقرير الحق وبيان الباطل، وإبطال شبهات الخصم وشركه بهذه الحدّة قد يثير عداوته وانتقامه، مما قد يُقلق المسلم المتصدي للشبهات؛ لذلك كانت رعاية الجانب النفسي للمتصدي للشبهات والشرك والكفر واضحة في الآيات.

بعدما أمرت الآيات بالإعلان والتبليغ في قوله تعالى: ﴿...قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14)﴾، أشارت إلى أن أمر المؤمن من نفع أو ضر هو بيده سبحانه في قوله:﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (18)﴾، القهر: الغلبة والتّذليل معاً، والقاهر هو الغالب[1] "ومجيء الآية الأخيرة في سياق الأمر بالتّبليغ والأمر بالإعلان واضح الحكمة؛ إذ قد يترتب على البيان أو الإعلان ضرر، فوضّح أنّ النّفع والضر بيد الله وحده، فليطمئن رسول الله ﷺ ومن بعده المؤمنون"[2].

---

[1] يُنظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج5، ص35؛ والراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص687.

[2] حوى، **الأساس في التفسير**، ج3، ص1575.

7. **الإنذار بالقرآن الكريم في معرض الرد على الشبهات:**[1] لما ذكر الله تعالى على لسان نبيه ﷺ أن دليل صدقه هي شهادة الله سبحانه في قوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...(19)﴾ والدليل على شهادة الله سبحانه على التوحيد هي بيّناته التي ينطق بها القرآن الكريم؛ لذلك أعقب بذكر القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿...وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...(19)﴾، واكتفى بذكر الإنذار عن ذكر البشارة لأنه المناسب للمقام، وقيل: إن الكلام مع الكفار وليس فيهم من يبشر، واكتفى بجعل علة نزول القرآن النذارة دون البشارة، لأن الكلام في مخاطبة الكفار وليس فيهم من يبشر، وقوله (وَمَنْ بَلَغَ) إشارة إلى أن الحجة قائمة على كل من بلغه القرآن الكريم في أي عصر من العصور، "...فكل من بلغه القرآن فقد أنذره محمد ﷺ. ونبين هنا أن النذارة ليست مختصة بمن شافههم بالخطاب، بل ينذرهم به وينذر من بلغهم القرآن..."[2]، وفي هذا إرشاد إلى مخاطبة المخالفين بهذا القرآن، فهو الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبه الأدلة البيّنات التي تبطل الباطل[3].

8. **تنويع الأساليب في إقامة الحجة:**[4] من الأساليب المستعملة: طرح الأسئلة على الخصم، والأمر بالقول، واقتران الترهيب بالترغيب، والمفاصلة بين التوحيد والشرك، وتوظيف التعبيرات المتقابلة، وتفصيلها في النقاط الآتية.

أولاً: توظيف أسلوب طرح الأسئلة على الخصم: كان مضمون وترتيب الأسئلة يصب في إثبات القضية الرئيسة وهي التوحيد وإبطال الشرك وما يتعلق به من شبهات، وهي:

---

[1] هذا من صور الاستدلال بالخبر الصادق، وهو يرجع إلى التنوع في الاستدلال في الرد القرآني، وسيأتي التفصيل عن أهميته وأنواعه في الفصل الأخير.

[2] ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي حسن، وعبد العزيز إبراهيم، وحمدان محمد، (المملكة العربية السعودية: دار العاصمة، ط2، 1999م)، ج1، ص383.

[3] يُنظر: الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج4، ص113؛ وأبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2462.

[4] سيأتي التفصيل عن أهميته وأنواعه في مبحث التنويع في الاستدلال في الفصل الأخير.

السؤال الأول: ابتدأ بسؤال لتقرير الخصم على ملك الله تعالى لمن في السماوات والأرض، ولما كان السؤال لتبكيت المشركين وإلجائهم إلى الإقرار بما يبطل شركهم، وأعقب السؤال بالجواب مباشرة، قال تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ...(12)﴾[1].

السؤال الثاني: انتقل إلى إنكار اتخاذهم وليّاً غير الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا...(14)﴾.

السؤال الثالث: انتقل إلى الإشهاد والمفاصلة بسؤالهم عن أعظم شهادة على الإطلاق، جذباً لأسماعهم وتمهيداً لمفاصلتهم على أساس العقيدة، و"غلبت شهادة الحقّ- سبحانه- كلّ شهادة"[2]؛ لذلك أعقب السؤال بالجواب، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...(19)﴾، ثم أورد سؤالا آخر، جمعاً بين الإعذار والإنكار على الخصم، في قوله تعالى: ﴿...أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى...(19)﴾، لينتهي بعد هذه الأسئلة إلى إعلان التوحيد والتبرؤ من الشرك.

إن استعمال الأسئلة في هذه الآيات له فوائد، منها:[3]

أ. تنويع الأساليب: جذباً لانتباه الخصم، وتنبيهاً لهم بما تقرره تلك الأسئلة من ملك الله لما في السماوات والأرض، وشناعة قولهم باتخاذ وليًّا غير الله تعالى.

ب. تكثير المعاني: إذ لو جاءت هذه الآيات بغير أسلوب الاستفهام لكانت مفيدة للخبر، دون المعاني الأخرى، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...(12)﴾، فلو كانت الآية (أن لله ما في السماوات والأرض)، لأفاد ذلك مجرد التنبيه إلى ملكه، أما مجيئه

---

[1] يُنظر: البيضاوي: عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1997م)، ج2، ص155؛ والقاسمي: محمد جمال الدين بن محمد، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م)، ج4، ص 322.

[2] القشيري: عبد الكريم بن هوازن، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، د.ت)،ج1، ص465.

[3] يُنظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج2، ص9؛ وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص115؛ وأبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2448- 2461.

بصيغة الاستفهام فصار سبباً لتكثير المعاني، وهي: التنبيه إلى ملكه تعالى، وتبكيت المشركين في مُلك الله تعالى لما هو أعظم وأكبر منهم، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...(19)﴾، حمل الاستفهام معنيين هما: التنبيه إلى جلال وعظمة الشاهد سبحانه، والتنبيه إلى سلامة دعوى محمد ﷺ بدليل شهادة الله تعالى له.

ج. الإنكار والإعذار: في قوله تعالى: ﴿...أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى...(19)﴾ حمل الاستفهام الإنكاري استقصاءً في الإعذار، كأنه أراد إمهالهم أو إلجاءهم إلى رفض هذا المعتقد الباطل، وهذا إرشاد إلى أسلوب الإعذار والإمعان في إقامة الحجة على الخصم، وعدم الاستعجال في إلقاء التهم، وبالغ في الإنكار بتأكيد الخبر ب(إن) ولام الابتداء"...ليفيد أن شهادتهم هذه مما لا يكاد يصدق السامعون أنهم يشهدونها لاستبعاد صدورها من عقلاء".[1]

تكرر في الآيات إيراد الإجابة بعد السؤال مباشرة، ولذلك فوائد في معرض الرد على الشبهات، منها:

- تقرير الحقائق والاحتجاج بها على الخصم: لما كانت إجابات الأسئلة الموجهة إلى الخصم من الوضوح بمكان بحيث لا يملك إنكارها، كان الهدف من إيرادها تقريره عليها احتجاجاً عليه، وقد ذكر مثل ذلك ابن عطية في قوله: "...والوجه في المحاجة إذا سأل الإنسان خصمه، بأمر لا يدافعه الخصم فيه، أن يسبقه بعد التقرير إليه مبادرة إلى الحجة، كما تقول لمن تريد غلبته بآية تحتج بها عليه، كيف قال الله في كذا؟ ثم تسبقه أنت إلى الآية فتنصها عليه، فكأن النبي ﷺ قال لهم: يا أيها الكافرون العادلون بربهم لمن ما في السماوات والأرض؟ ثم سبقهم فقال: لله، أي لا مدافعة في هذا عندكم ولا عند أحد..."[2].

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص169.

[2] ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص271.

- التوبيخ والتبكيت: لما كان المشركون في مقام العناد ولم يذعنوا بعد ظهور الأدلة، أعقب السؤال المطروح بالإجابة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ...(19)﴾، "...معرضاً عن انتظار جوابهم توبيخاً لهم بعدم النصفة التي يدعونها..."[1]، وأما التبكيت فلأن سياق الكلام في إقامة الحجة على المشركين، وسواء أقروا بالحقيقة أم عاندوا وكابروا؛ فقد حصل المقصود بإقامة الحجة عليهم.[2]

ثانياً: تصدير الآيات بالأمر بـ(قل) هو تصريح قرآني بالمنهج السليم المناسب لعلاج شبهات الكفار والجاحدين: جاء الأمر بـ(قل) في تسعة مواضع في الآيات السابقة، واتسمت هذه الأقوال بالتدرج في مواجهة الخصم بالتوحيد ونبذ الشرك: من إرشاده إلى النظر والاعتبار في دلائل ربوبية الله تعالى، في مظاهر قدرة الله في الكون من حوله، فمرة تأمر بالنظر في مصير الأمم المكذبة الهالكة، ومرة تأمر بسؤاله عمن يملك السماوات والأرض، حتى إذا جاء الإنكار على اتخاذ غير الله تعالى وليًّا، إذا بالحقائق كلها تدفع به إلى الإقرار بها، وبعد الإنكار على الشرك، تزداد حدة الأقوال المأمور بتبليغها إلى الخصم، حتى تصل ذروتها في موقف الإشهاد والمفاصلة، الذي يظهر فيه انفصال الحق عن الباطل جلياً واضحاً بإعلان كلمة التوحيد والتبرؤ من الشرك.

ثالثاً: اقتران الترغيب بالترهيب: من أسباب قبول الخصم للقضية المراد إثباتها، اقتران الترغيب بالترهيب، وقد تجلى هذا في أكثر من موضع، مثال ذلك: لما كان بيان سعة ملك الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ...(19)﴾ مُشعراً بالاستعلاء والقوة والترهيب، أعقبه بالترغيب في قوله: ﴿...كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...(12)﴾، تأنيساً للخصم وإطماعاً برحمة الله تعالى، يشير إلى التعقيب بكمال الرحمة الرازي بقوله: "لما بين بهذا الطريق كمال إلهيته وقدرته ونفاذ تصرفه في عالم المخلوقات بالكلية، أردفه بكمال رحمته وإحسانه إلى الخلق فقال: كتب على نفسه الرحمة"[3]، ومثال

---

[1] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج7، ص30– 31.

[2] يُنظر: الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج4، ص98؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص150.

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص489.

آخر: لما أراد الإنكار عليهم في اتخاذ غير الله تعالى وليّاً، لم يباشرهم الاتهام، مع إقرارهم بهذا الجرم، ولكن أُمر النبيﷺ بالإنكار على نفسه، تنزلاً مع الخصم طمعاً في قبوله الحق، قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا...(14)﴾[1].

رابعاً: المفاصلة بين التوحيد والشرك:[2] إن تقديم دلائل الربوبية في الآيات السابقة، وتأخير موقف المفاصلة مع الخصم، إرشاد إلى أهمية التدرج في محاورة الخصم وصاحب الشبهة قبل الوصول إلى إعلان المفاصلة بين التوحيد والشرك، لئلا ينفر الخصم من سماع دلائل التوحيد التي تقيم الحجة عليه، وإن التصريح بمخالفة رأي الخصم ركن أساس في معرض الرد على الشبهات، ومن ملامح موقف الإشهاد والمفاصلة في الآيات السابقة ما يأتي:

أ. **التدرج في حدة التصريح بمخالفة الخصم للوصول إلى موقف الإشهاد والمفاصلة:** بدأ بمجرد الإنكار في قوله تعالى: ﴿...قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا...(14)﴾، ثم إعلان محتوى الرسالة: الإسلام، والنهي عن الشرك، في قوله تعالى: ﴿...قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14)﴾، ثم الانتقال إلى إعلان المفاصلة مع الخصم.

ب. **تدرج الموقف نفسه:**

- بدأ بإقرار مبدأ تحكيم الله في القضية في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...(19)﴾، فلما تقرر المبدأ، أعلن أن هذا القرآن هو شهادة الله تعالى "...الذي أوحاه إليه لينذرهم به، وينذر به كل من يبلغه في حياته ﷺ أو من بعد، فهو حجة عليهم وعلى من يبلغه غيرهم..." :﴿...وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...(19)﴾.
- إقرار الخصم على موقفه في قوله تعالى: ﴿...أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى...(19)﴾.

---

[1] يُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص272؛ والبقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج7، ص34.

[2] سيأتي تفصيل الكلام حول أهمية مفاصلة الخصم على أساس العقيدة في مبحث المفاصلة على أساس العقيدة في الفصل الأخير.

- ثم إعلان موقف معاكس لموقف الخصم في قوله تعالى: ﴿...قُلْ لَا أَشْهَدُ...(19)﴾.
- ثم التصريح بكلمة التوحيد في قوله تعالى: ﴿...قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ...(19)﴾.
- ثم التبرؤ من موقف الخصم في قوله تعالى: ﴿...وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19)﴾.

ج. **الوضوح في مضمون هذا الإعلان:** من ذلك: عدم الاكتفاء بإعلان كلمة التوحيد وإنما مواجهة الخصم بالتبرؤ من الشرك، إذ لا يكفي في رد الشبهات إقرار الحق فقط، بل لا بد من إنكار الشبهة والمغالطة، ويتجلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿... قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19)﴾، حيث تضمن إثبات التوحيد والبراءة من الشرك بأبلغ وجوه التأكيد، وجاءت في ثلاثة أوجه: الأول: في قوله (قُلْ لَا أَشْهَدُ) إنكاره لما أثبتوه من شركاء، والثاني: (قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ) إنما أفادت الحصر، ولفظ واحد صريح في التوحيد ونفي الشركاء، والثالث: قوله: (وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) تصريح ببراءته ﷺ مما يزعمون من إثبات الشركاء[1].

خامساً: توظيف التعبيرات المتقابلة: الضد يُظهر حسنَه الضدُ، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿...الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(12)﴾، عُلم من ضده أن الخسارة والإيمان لا يجتمعان، وقوله تعالى: ﴿...وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ...(14)﴾، عُلم من ضده أن الألوهية والحاجة إلى الإطعام لا يجتمعان، وقوله تعالى:﴿...قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14)﴾، عُلم أن الضدين الايمان والشرك لا يجتمعان، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(17)﴾، ذكر الضدين، ومن مفهوم المخالفة عرفنا أن من يعجز عن كشف الضر وجلب الخير ليس بإله.

---

[1] يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص499.

9. **غزارة المعاني القرآنية في الجمع بين الأدلة المختلفة والرد على الشبهات المتعددة والطوائف المتنوعة بإيجاز ووضوح:** منها:

أ. **الاستدلال بالدليل الواحد على أكثر من قضية في آية واحدة:** مثال ذلك: الجمع بين تقرير التوحيد وإثبات البعث: فأثبت التوحيد بتقرير ملك الله تعالى لمن في السماوات والأرض، وإذا كان مالكهم فهم عبيده، وهو المستحق أن يوحدوه، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ...(12)﴾، وبنفس الدليل أثبت البعث والمعاد في قوله تعالى: ﴿...لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ...(12)﴾، فالذي خلقكم أول مرة، هو القادر على أن يعيدكم إلى يوم القيامة، وهكذا أسلوب القرآن في الاستدلال بالدليل الواحد على أكثر من قضية.

ب. **الاستدلال بأكثر من دليل على القضية الواحدة:** مثال ذلك: إثبات التوحيد بأكثر من دليل، ومنها:

- استحقاقه تعالى للعبادة بالاستدلال بعبودية الخلق لله، فهو الذي له ملك من في السماوات والأرض، فهو الملك وسواه عبيد له، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ...(12)﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...(13)﴾.
- كمال ألوهيته وربوبيته تعالى: والمستلزمة: أنه تعالى له صفات الكمال المطلق، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ...(14)﴾، فتضمنت الآية وصفه تعالى بالغني عن الخلق، وباحتياجهم إليه، "...ومن كان كذلك وجب أن يتخذ ربًّا وناصراً ووليًّا ومعبوداً".[1]
- انفراده بكشف الضر وجلب الخير، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(17)﴾.

ج. **الجمع بين الاستدلال بمصادر المعرفة الثلاثة:** بدأ بدليل الحس في الأمر بالنظر في مصير الأمم الهالكة للاستدلال بقدرته وملكه سبحانه، وما يلزم ذلك من إثبات وحدانية الله تعالى، في

---

[1] الخازن: علي بن محمد، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م)، ج2، ص102.

قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(11)﴾، ثم أثبت التوحيد بإبطال الشرك بدليل العقل في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ...(14)﴾، إذ النظر العقلي السليم لا يقبل أن يكون الولي غير من فطر السماوات والأرض، ولا يقبل أن يكون الولي غير من يُطعِم ولا يُطعَم، ثم أثبت التوحيد بإبطال الشرك بدلالة الخبر الصادق بطريق الوحي من السماء في قوله: ﴿...قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14)﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿...وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...(19)﴾.

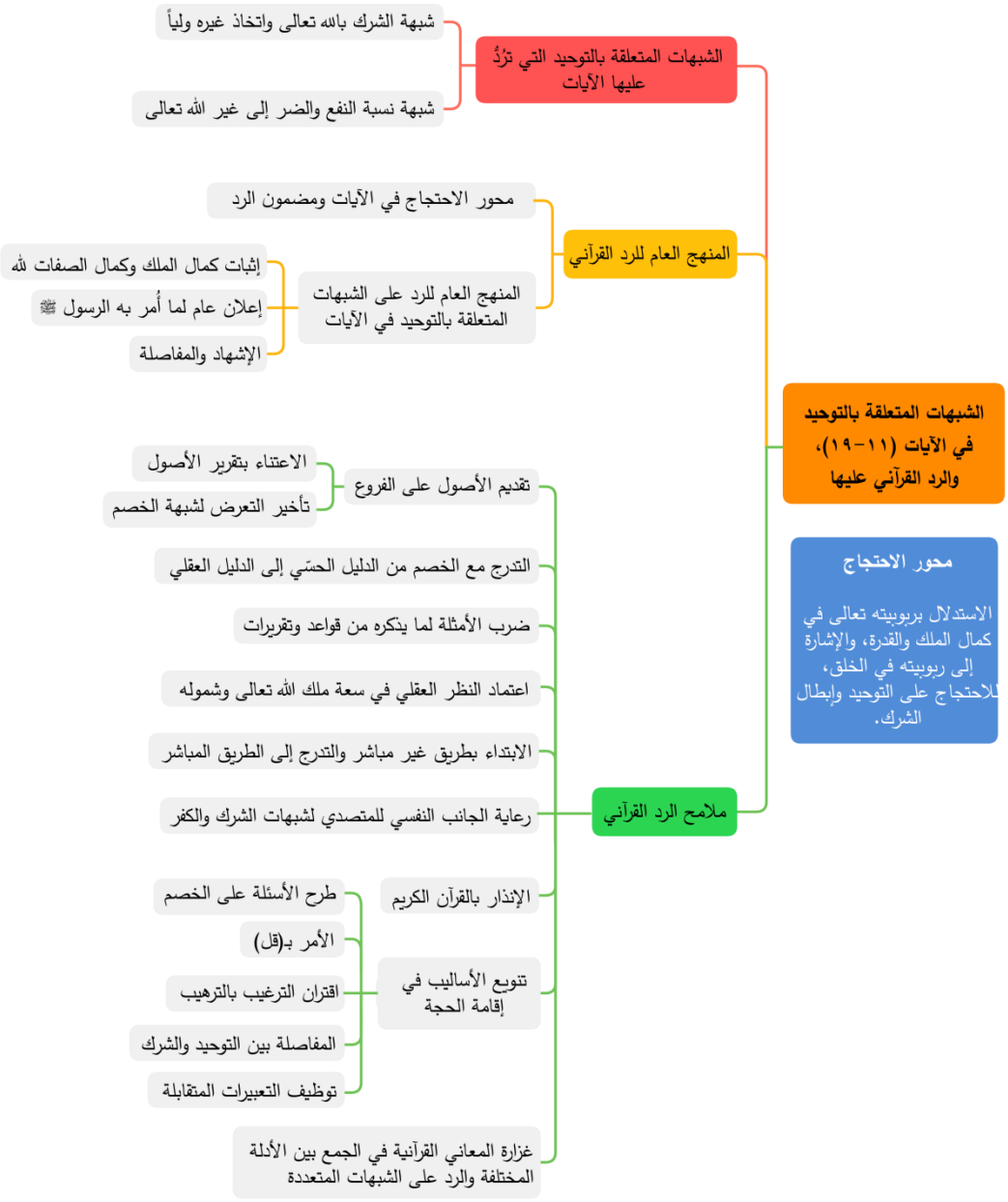

الشكل رقم 2 خلاصة ما تناوله المبحث الثاني من الفصل الأول.

المبحث الثالث: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (40- 47) والرد القرآني عليها

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (41) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (46) قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (47)﴾.

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تُرُدُّ عليها الآيات

1. شبهة الشرك في الألوهية[1]، ومن ذلك الشرك بالله في الدعاء والالتجاء والتضرع إلى غيره تعالى، في قوله تعالى:﴿...أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (41)﴾.

[1] سبق الحديث في التمهيد عن أنواع التوحيد والانحرافات التي وقعت فيه فليراجع.

2. هذه الآيات صالحة للرد على شبهات أخرى، وإن لم تكن الشبهات الرئيسة التي تتعرض لها الآيات، منها:[1]

أ. شبهة الشرك في الربوبية، كنسبة الخلق –من سمع وأبصار وأفئدة– إلى غيره تعالى، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ(46)﴾.

ب. شبهة المبالغة في الأدلة الحسّية المادية[2]، ومنها شبهة إنكار وجود الله تعالى.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني

الفرع الأول: محور الاحتجاج في الآيات ومضمون الرد على الشبهات الواردة فيها

محور الاحتجاج: الاستدلال على الخصم بفطرته التي تعرف ربها في الشدّة، احتجاجاً بذلك على التوحيد وإبطالا للشرك.

مضمون الرد على الشبهات الواردة فيها: والشبهات هي:

1. الشرك في الألوهية، ومن ذلك الشرك بالله في الدعاء والالتجاء والتضرع، وشبهة إنكار وجود الله تعالى، ومعالجتها كانت من خلال: الاحتجاج بفطرة الخصم في معرفته بلجوئها إلى الله تعالى في الشدّة، بتقديم مشاهد تخيلية لأحوال يُخلص فيه لله تعالى، والتهديد بما حلّ بالأمم المكذبة من هلاك.

---

[1] سبق الحديث عن صلاحية أدلة التوحيد في مواجهة إنكار الربوبية وإنكار وجود الله في التمهيد.

[2] في الإنسان نزعتان فطريتان متكاملتان: إحداهما تنزع إلى الإيمان بالمحسوس، وهو ما يمكن إدراكه بالحواس النظر أو السمع أو الشمّ أو الذوق أو اللمس، والأخرى تنزع إلى الإيمان بالغيب، ومن الأمراض التي تصيب فطرة الإنسان هو أن يغفل عن غير المحسوس، ويبدأ شيئاً فشيئاً يحصر اهتمامه في دائرة المحسوس، حتى يصل لمرحلة إنكار ما وراء الحس إنكاراً كاملاً؛ والمراحل الأولى من هذه الغفلة لا ينكر المشرك وجود الله، ولكنه يتلمس صورة محسوسة قريبة في خياله يضفي عليها بعض خصائص الألوهية، من نفع وضر، وعلم للغيب، وتصريف للأمر بالمشاركة مع الله، وهذه الصورة التي كان العرب عليها في جاهليتهم، ثم تتطور الغفلة حتى يتصور المحسوس هو الله سبحانه، ويضفي عليه كل خصائص الألوهية، ثم إن بعضهم كان يضيف إلى الشرك لوناً آخر فيزعم أن فلاناً من البشر هو ابن الله سبحانه، والدرجة القصوى من هذه الغفلة، تؤدي إلى إنكار وجود الله تعالى، يُنظر: قطب، **ركائز الإيمان**، ص115– 117.

2. شبهة الشرك في الربوبية، كنسبة الخلق –من سمع وأبصار وأفئدة– ونسبة كشف الضر وجلب النفع إلى غيره تعالى، شبهة إنكار وجود الله تعالى، ومعالجتها كانت من خلال: الاحتجاج عليهم بفطرهم التي تعرف عجز غير الله تعالى عن خلق تلك الأعضاء.

الفرع الثاني: المنهج العام للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات

يعتمد المنهج العام للرد على الشبهات في هذه الآيات على المشاهد التصويرية لعرض أحوال يُخلص فيها الخصم اللجوء إلى الله سبحانه، استنهاضاً لفطرته التي تعرف ربها في الشدّة، وجاءت في أربعة محاور:

أولاً: الاحتجاج بإخلاص الخصم الدعاء لله تعالى في مواجهة بأسه: تواجه الآيات الخصم برسم مشهد تصويري مفزع في مخيلته؛ مشهد وقوع العذاب العظيم، أو مجيء الساعة وأهوالها التي ترعب النفس وتذهل العقل، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(40)﴾، واشتراط الصدق في الجواب على هذا السؤال، لأنهم لو صدقوا في جوابهم لاعترفوا ببطلان شركهم، وأعقب السؤال بالإجابة في قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ(41)﴾، إظهاراً لشدّة إخلاصهم الدعاء لله وحده وتخلّيهم ونسيانهم لمعبوداتهم التي أشركوها معه؛ لذلك ابتدأ الجواب بـ(بل) ليفيد الإضراب عن دعاء غير الله تعالى المستفهم عنه في قوله: (أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ)، وجيء بالضمير (إِيَّاهُ) لإظهار تخصيصهم الله وحده بالدعاء دون غيره، وزاد على ما سبق قوله: (وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ)، إبطالاً لعقيدة الشرك في تخليهم عن معبوداتهم في موضع هم في أشدّ الحاجة إليها[1].

وهكذا تقرر الآيات أن "الفزع إليه سبحانه عند شدة الضيق واليأس من الأسباب مركوز في فطرة البشر، تنبعث إليه بذاتها كما تنبعث إلى طلب الغذاء عند الجوع..."[2].

ثانياً: الاحتجاج بالأمم المكذبة الذين حلّ بهم بأس الله تعالى: ما إن تفرغ الآيات من المشهد التخييلي، حتى تنتقل بالخصم إلى مشهد آخر، لكن هذه المرة هو مشهد تاريخي واقعي، لتقدم أنموذجاً تاريخياً مفزعاً، بأحداث وتفاصيل حقيقية، لأمم حلّ بهم البأس لكنهم لم يتضرعوا إلى الله تعالى، ولم ينتفعوا بالآيات والدلائل، بل

---

[1] يُنظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج2، ص161؛ وأبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص512.
[2] رضا، **تفسير المنار**، ج7، ص342.

أعرضوا عنها، فلما نسوا– أي تركوا– ما ذكروا به حق عليهم العذاب الذي لم ينجُ منه أحد،[1] تحذيراً وإنذاراً للخصم، قال تعال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (42) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)﴾.

ثالثاً: الاحتجاج بعجز الخصم أمام نزول بأس الله تعالى في جسده: يستمر التحذير والإنذار ببأس الله تعالى في الآيات بتصوير المشاهد المفزعة، وتعود الآيات لمخاطبتهم بالمشهد التخييلي في تصوير وقوع بأس الله، ولكن هذه المرة على أجسادهم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ(46)﴾، وتواجههم هذه الآية بحقائق، منها: حقيقة "...عجزهم أمام بأس الله..."، وحقيقة "...ما يشركون به من دون الله في موقف الجد..."[2]، فإن خذلان معبوداتهم لهم في أشدّ المواقف، وعجزهم عن إرجاع أعضائهم لو سلبها الله منهم دليل على فساد عبادتهم لها وقت الرخاء، ثم توبيخهم والتشنيع عليهم في أنهم– مع تتابع الحجج وما ضرب لهم من الأمثال والعبر– هم (يَصْدِفُونَ)، أي يُعرضون عن الاتعاظ والاعتبار، ولمزيد استنكار عليهم جيء بـ"ثم" لتفيد تراخي زمن إقامة الحجج وظهور الدلائل، واستبعاد الشرك بعد ظهورها، وهم مع ذلك مقيمون على الشرك.[3]

رابعاً: التهديد بنزول العذاب بالظالمين واختصاصه بهم: ثم تزداد نبرة التهديد والتخويف بمواجهة الخصم بمشهد أكثر رعباً وتخويفاً، قال تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ(47)﴾، والظلم بمعنى الشرك، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(لقمان:13)، تعريضاً بهم في حال استمرارهم على الشرك، فلا يهلك إلا هم ومن شابههم، فلا يأمنون على أنفسهم من بأس الله

---

[1] يُنظر: ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله، **الاستذكار**، تحقيق: سالم محمد، محمد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2000م)، ج2، ص488.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، ج7، 1092.

[3] يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج11، ص365؛ وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص134؛ والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص256.

تعالى، وأطلق وقت مجيء العذاب لمزيد ترهيب، فقد يأتي بمقدمات أو قد يأتي من دونها، وإذا نزل فهو خاص بهم دون غيرهم.[1]

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني

ظهرت في الآيات ملامح الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد، منها:

1. **مخاطبة العاطفة والفطرة، وعدم الاكتفاء بالأدلة الحسيّة المادية:**[2] تحولت نبرة الآيات من النقاش العقلاني في الآيات (11– 19)، في إعلان المفاصلة مع الخصم والتبرؤ من الشرك، ليغلب عليها خطاب الفطرة والعاطفة في هذه الآيات، ومن ذلك استعمال أسلوب تصوير المشاهد التخييلية والواقعية المتضمنة للتهديد والوعيد، والتفصيل حول دليل الفطرة في الفقرة الآتية.
2. **نقض شبهات الخصم بالاحتجاج عليه بدليل الفطرة:** ظهر في الآيات حقيقة أن فطرة الإنسان –عند مواجهة بأس الله تعالى– يتساقط عنها زيف الشرك، وتعود إلى الفطرة التي فطرها الله عليها[3]، وهذه الفطرة كفيلة بتوجيهه إلى التوحيد، ومن سمّات دليل الفطرة المحتج بها على الخصم في الآيات الآتي:

أ. **الاحتجاج بوجود غريزة اللجوء إلى الله تعالى في نفس الإنسان، وظهورها في مواجهة الشدّة:** من خلال عرض الآيات لمشاهد تصويرية مرعبة، تستنهض تلك الفطرة التي غطاها ركام الشرك، و"إن خالق الفطرة البشرية يعلم أنها تدرك ما في هذا المشهد التصويري من جِد، وما وراءه من حق، إنها تدرك أن الله قادر على أن يفعل بها هذا..."[4]، لذلك جاء في الآيات الاستدلال بموقف

---

[1] يُنظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج2، ص250؛ والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج6، ص429؛ والشوكاني: محمد بن علي، **فتح القدير**، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1993م)، ج2، ص134.

[2] سيأتي تفصيل الكلام عن الفطرة وأهميتها في الرد على الشبهات تحت مبحث التنويع في الاستدلال في الفصل الأخير.

[3] هذه المعرفة الفطرية هي ما جاءت في حديث الرسول ﷺ في قوله: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ج2، ص95، رقم (1358).

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص1087، 1092.

الفطرة في مواجهة العذاب أو الساعة، في قوله تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(40)﴾، والاستدلال بموقف الفطرة في مواجهة نزع الحوّاس من الجسد، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ...(46)﴾.

ب. **وجود الافتقار الذاتي إلى جلب النفع ودفع الضر في نفس الإنسان:** "إذ إن في فطرة الإنسان افتقاراً ذاتياً إلى قوة غيبية كاملة غنية يرجو منها الإنسان النفع، ويدفع بها الضر، ويتذلل لها، وخاصة عند الشدائد؛ ولذلك تجد أن الأمم كلها من قديم الزمان وفي مختلف البلدان لها أماكن للعبادة، حتى عبدوا الشمس والكواكب والنار والأحجار ملتمسين بذلك جلب النفع ودفع الضر، وما ذلك إلا لافتقار الإنسان بطبيعته إلى الإله الذي يملأ تطلعات روحه وحاجاته"[1]، أشار إلى هذا الافتقار الذاتي لفطرة الإنسان لدفع الضر في لجوء هؤلاء المشركين إلى الله تعالى طلباً لكشف العذاب، في قوله تعالى:﴿...بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ...(41)﴾، وأشار إلى الافتقار الذاتي لفطرة الإنسان لجلب النفع، في توجه الإنسان إلى الله تعالى طلباً للنفع، في قوله تعالى: ﴿...مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ...(46)﴾.

ج. **إمكانية فساد هذه الفطرة وأسبابه:** بعدما بيّن الله تعالى وجود هذه الفطرة في النفس البشرية، وأن الحالة الطبيعية للإنسان الرجوع والتضرع إلى الله عند نزول الشدائد، في الآيات (40- 41)، أعقب ببيان أن هناك من فسدت فطرته وانتكست، وهذا فيه تسلية للنبي ﷺ ولمن بعده من الدعاة إلى الحق، فحكى قصة من نزل عليهم بأس الله تعالى ولم يتضرعوا ولم يرجعوا إلى الله تعالى، مع قيام الأسباب التي تقتضي التضرع منهم، وهي البأساء والضراء، وهذا لشدة تمردهم وتوغل الكفر في قلوبهم، وقد منعهم من التضرع والالتجاء إلى الله مانعان: قسوة قلوبهم (وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ)، وتزيين الشيطان عملهم القبيح (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ).[2]

---

[1] السيد، **سابقات**، ص71.

[2] يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص533؛ القنوجي: صديق بن حسن، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د.ط، 1992م)، ج4، ص141.

3. **نقض شبهات الخصم بالاحتجاج عليه بدليل العقل:**[1] لم تخلُ هذه الآيات من الاستدلال بالعقل لنقض الشبهات المتعلقة بالتوحيد، وجاء ذلك ضمن عدة محاور، وهي:

- **بيان فساد عقيدة الشرك بإظهار تناقضها واضطرابها:** منه الاضطراب والتناقض بين من يصرفون العبودية إليه في وقت الرخاء وبين من يصرفونها إليه في وقت الشدة، في الآيات (40– 41)، وفيه إلزام للمشركين وتقريره: "...أخبروني إذا جاءكم مكروه من عذاب الله هل تدعون لكشفه أصنامكم التي تعبدونها أم الله، إن قلتم: أصنامنا، كذبتم إذ الواقع منكم بخلافه، بل أنتم في تلك الحال تنسون آلهتكم بالكلية، وإن قلتم: الله عز وجل، فهو أهل أن توحدوه تفردوه بالعبادة كما أفردتموه بالدعاء لكشف البلاء، فلماذا تعبدون معه غيره؟"[2]، فلما أثبت عليهم هذا الاضطراب والتناقض، أثبت بطلان وفساد عبادة غير الله تعالى، وأثبت أن المستحق للعبادة هو: "...من كان بيده الضر والنفع، والقبض والبسط، القادرُ على كل ما أراد، لا العاجز الذي لا يقدر على شيء"[3].
- **إبطال ألوهية غير الله تعالى بإبطال اتصاف غيره بصفات لازمة من صفات الربوبية:** ردّت الآيات على شبهة صرف العبادة لغير الله تعالى، بنفي اتصاف غير الله تعالى بصفة لازمة من صفات الرب، وهي دفع الضر وجلب النفع، فأثبتت الآيات انتفاء هذه الصفة عن معبوداتهم، ولما كان العابد يريد من معبوده أن ينفعه وقت الحاجة، فبأي وجه تستحق تلك المعبودات العبادة؟ ولما كان الله تعالى هو المتصف بالقدرة على دفع الضر وجلب الخير، فهو المستحق للعبادة دون ما سواه، أما افتقار غير الله تعالى لدفع الضر فظهر في معرفتهم بعجز معبوداتهم عن دفع العذاب لو حلّ بهم، ولجوء هؤلاء المشركين إلى الله تعالى في تلك

---

[1] سيأتي تفصيل الكلام حول أنواع الأدلة العقلية وأهميتها في الرد على الشبهات في مبحث العناية بالأدلة العقلية في الفصل الأخير.

[2] الطوفي: نجم الدين، سليمان بن عبد القوي، **علم الجذل في علم الجدل**، تحقيق: فولفهارت هاينريشس، (الأردن: شقير وكشة، د.ط، 1987م)، ص116– 117.

[3] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**،ج11، ص365.

المواقف، ولو كانت تقدر على دفع الضر للجأوا إليها، قال تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(40)﴾، وافتقار غير الله تعالى لجلب النفع: فالآيات مثّلت لذلك بعجز معبوداتهم عن إرجاع حواسهم لو سُلبت منهم، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ...(46)﴾[1].

- **الاستدلال على التوحيد بالنظر العقلي في مصير الأمم الهالكة:** من ذلك: أن العقل السليم إذا نظر إلى عواقب أفعال غيره، فإن ذلك مدعاة إلى التأني والتعقل في أفعاله؛ لذلك جاءت الآيات بالدعوة إلى النظر العقلي فيما وقع للأمم المكذبة، في الآيات (42– 45)، للاحتجاج بأن القادر على إهلاك تلك الأمم على قوتها، قادر أن يهلكهم، وأن القادر على أن يدفع ذلك العذاب والهلاك عنهم هو المستحق لأن تصرف إليه العبادة لا تلك المعبودات التي لا تدفع ضرًّا ولا تجلب نفعاً.

4. **الاحتجاج على الخصم بدليل القدرة:** كان الاستدلال على الخصم بقدرة الله تعالى في أعضاء معينة في جسده، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ...(46)﴾، فتقوم عليهم الحجة في: أنه لما كانت أجسادهم، وما فيها من أعضاء ابتداء من الله تعالى، ولو سلبها منهم فلا يملك أحد غيره إرجاعها، فإن عبادتهم لغير هذا الخالق– الذي خلق أجسادهم وما فيها من أعضاء– باطلة.

كان الاحتجاج بالحوّاس التي تكون إدراك الإنسان، فبها يتلقى الإنسان المعرفة، يسمع الأخبار، ويبصر الآيات والدلائل، وبفؤاده يدرك ويعقل هذه الأخبار والآيات والدلائل، ومن دونها هو أشبه بالبهيمة[2].

---

[1] يُنظر: ابن القيم: محمد أبي بكر، **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، تحقيق: علي محمد، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1988م)، ج2، ص497.

[2] الاحتجاج بهذه الحواس لأنها نعم عظيمة وجليلة للإنسان، ولتقريب الإتقان المذهل والخلق المعجز لها، نلقي نظرة سريعة على حاسة واحدة وهي الإبصار؛ كيف تتم عملية الإبصار داخل العين: تنفذ الأشعة الضوئية القادمة من جسم خارجي أو منعكسة منه من خلال القرنية، ثم إلى الحجرة الأمامية، ثم العدسة البلورية، فتنكسر متجمعة بحيث تتكون للجسم صورة حقيقية مقلوبة على الشبكية، وتعمل عضلات القزحية على توسيع البؤبؤ وتضييقه بالشكل المناسب بحسب قوة الإضاءة، ثم ينقل العصب البصري الصورة مقلوبة إلى مركز الإبصار في

5. **ضرب الأمثلة لما يذكره من قواعد وتقريرات:** لما هدّدهم بعذاب متخيل لم يقع بعد وبعذاب عام في قوله تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ...(40)﴾، أعقب ذلك بذكر مثال لأقوام حلّ بهم العذاب الحقيقي، في الآيات (42- 45)، وأعقب بالتهديد بعذاب خاص، ومثل لذلك بنزع أسماعهم وأبصارهم والختم على قلوبهم، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ...(46)﴾.

6. **تنويع الأساليب في إقامة الحجة على الخصم:** من هذه الأساليب: المشاهد التصويرية- التخييلية والواقعية، وطرح الأسئلة على الخصم، والأمر بالقول، وتغليب أسلوب الترهيب في الآيات، وهي مفصلة في النقاط الآتية.

أولاً: توظيف المشاهد التصويرية في إقامة الحجة: تأتي هذه المشاهد تضغط على عاطفة الخصم، تهز أركانه، تذكره وتنذره، وتقرر تفاهة عقيدة الشرك وهشاشتها، ولأهمية هذه المشاهد التصويرية، ودورها في الإقناع والتأثير، تكرر استعمالها في كتاب الله تعالى، فالنفس البشرية تدرك نفاذ قدرة الله تعالى إليها، وقدرته على أن يأخذ ما أعطاها من حواس، وعجز أي مخلوق عن إرجاعها، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ(46)﴾.

ومن خصائص المشاهد التصويرية في هذه الآيات:

- التخويف والوعيد بتصوير العذاب والأهوال التي تبث الرعب في النفوس: من مشاهد الخوف والهول في نزول بأس الله عليهم، ومشاهد لأمم حلّ بهم بأس الله، ومشهد عجزهم أمام نزع أعضائهم منهم، ثم

المخ، فتتأثر الخلايا الحسية القضبان المسؤولة عن الأجسام المعتمة، والمخاريط المسؤولة عن تمييز الألوان وتوضيح تفاصيل المرئيات، فيتم إدراك الصورة بشكلها الطبيعي، يُنظر: الكرمي: زهير، وصباريني، وعارف، سهام، الأطلس العملي، **فيزيولوجيا الإنسان**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ط، د.ت) ص42، ومن الضروري أن يبقى السطح الأمامي للعين- القرنية- رطب بشكل دائم، وهذا يتحقق بحركة الجفون والتي في حال اليقظة تغلق باستمرار وعلى فترات منتظمة، لتوزيع إفرازات ضرورية من الغدة فوق سطح العين، وفي حال النوم تكون مغلقة وتمنع تبخرها، كما أن للجفون أهمية في حماية العين من إصابات من أجسام خارجية، يُنظر: Davson, et al, **Human eye | Definition, Structure, & Function**.

التهديد بمشهد نزول العذاب– بمقدمات أو بدونها– إثارة للرعب في نفوسهم، واختصاصه بالظالمين دون غيرهم.

- التنويع في المشاهد التصويرية من تخييلية وواقعية تاريخية: فبدأ أولاً بمشهد تخييلي لنزول العذاب بهم أو قيام الساعة، ثم بمشهد واقعي لأمم هالكة لم تعتبر بآيات الله تعالى، ثم الرجوع إلى المشهد التخييلي في تصوير نزع الحوّاس منهم، وعجزهم ومعبوداتهم من دون الله تعالى عن استعادتها، ثم مشهد تصوير نزول العذاب واختصاصه بالظالمين.

ثانياً: توظيف أسلوب طرح الأسئلة على الخصم: الأسئلة هي:

السؤال الأول: سؤال إنكاري لتقريرهم على حقيقة مفادها: أنه "...من لا يغني في بعض الشدائد لا ينبغي الاعتماد عليه في بعض آخر"[1]، إبطالاً لشبهات الخصم في شركه بالله تعالى في قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(40)﴾، فنسيناهم لمعبوداتهم في أشد الأوقات حاجة إليها، يبطل عبادتهم لها في وقت الرخاء[2].

السؤال الثاني: سؤال إنكاري لتقرير الخصم وتوبيخه على عبادة غيره تعالى ممن لا يملك أن يعيد إليه حواسّه إن سلبها الله، لتقرير اختصاص الله تعالى بخلق أهم حواسّه، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ(46)﴾.

السؤال الثالث: لتحذيرهم من أن عذاب الله إن نزل فهو مختص بالظالمين دون غيرهم، تهديداً لهم باختصاص العذاب بهم إن استمروا على الشرك والكفر، قال تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ(47)﴾.

واتسمت الأسئلة الموجهة للخصم بخصائص، منها:

- تضمين الأسئلة النفي الذي يبين فساد شرك الخصم: مثل قوله تعالى:﴿...أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ...(40)﴾، حيث أفاد النفي إبطال دعائهم لغير الله تعالى ممن عبدوا من الأصنام والأوثان

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص224.

[2] يُنظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص132.

في الرخاء، وقوله سبحانه:﴿...مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ...(46)﴾، أفاد النفي إنكار أن تجلب تلك الأصنام والأوثان النفع بإرجاع أعضائهم إن نزعت منهم.

- إيراد الإجابة بعد السؤال: لما كانت إجابة السؤال من الوضوح بمكان بحيث لا يملك الخصم إنكاره، في قوله تعالى:﴿...أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ(40)﴾، أورد الإجابة في قوله تعالى:﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ...(41)﴾، لتقرير الخصم على إخلاصه الدعاء لله تعالى في تلك الحالة، والاحتجاج بذلك في إبطال معتقد الشركي الفاسد، وأيضاً توبيخه في الإعراض عن انتظار إجابته، تعريضاً له بعدم المصداقية، وتبكيتاً له بإقامة الحجة عليه، سواء أقر بها أم عاند وكابر[1].

ثالثاً: تصدير الآيات بالأمر بـ(قل): تكرر ذلك في ثلاثة مواضع كلها تسبق الأسئلة التي سبق الحديث عنها، إرشاداً إلى استعمال هذه الحجج والأسئلة في مواجهة الخصم علاجاً لشبهات الشرك التي سقط فيها، واهتماماً بهذه الأقوال والأساليب.

رابعاً: تغليب أسلوب الترهيب: من خصائص هذا الأسلوب في الآيات:

- التدرج في الترهيب والتخويف: بدأ بالحديث عن المشركين الذين يرجى منهم الرجوع إلى التوحيد في الآيات (40– 41)، ثم الحديث عن الأمم الهالكة التي لم يُجدِ معها التذكير نفعاً، فكانت عاقبتها أشد رعباً وزجراً، أن أُخذوا بغتة وهم مبلسون، أي شديدو الحسرة يائسون[2]، لم يبقَ منهم أحد حتى دابر القوم قطع كأولهم، "...ليعلم هؤلاء أن تلك سنة الله في الذين ظلموا بالشرك، وهذا الخبر مستعمل في إنذار السامعين من المشركين على طريقة التعريض..."[3]، وذلك في الآيات (42– 45)، ثم التهديد بنزع حواسّهم في الآية (46)، ثم التهديد والوعيد باختصاصهم بالعذاب إن استمروا على الشرك في الآية (47).

---

[1] يُنظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج2، ص22؛ وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص290؛ والشوكاني، **فتح القدير**، ج2، ص132.

[2] يُنظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج2، ص249.

[3] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص226.

- تخفيف حدة الترهيب في الآيات بالترغيب: كان الاستعطاف في "...نفي التضرع عن المتقدمين بعد أن أثبته لمشركي هذه الأمة..."[1]، فقد نفى عن الأمم السابقة الظالمة التضرع والالتجاء إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(43)﴾، بينما أثبت التضرع والالتجاء إلى الله تعالى لمشركي هذه الأمة المخاطبون في قوله تعالى: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ(41)﴾.

7. **غزارة المعاني القرآنية في الجمع بين الأدلة المختلفة والرد على الشبهات المتعددة والطوائف المتنوعة بإيجاز ووضوح:** منها:

أ. **الاستدلال بالدليل الواحد على أكثر من قضية في آية واحدة:** مثال ذلك: الجمع بين تقرير التوحيد وإثبات البعث: في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ(46)﴾، فكان إثبات التوحيد في تقرير أن واهب هذه الحوّاس المهمة والضرورية للإنسان والقادر على إعادتها له ليس غير الله تعالى، فإذاً هو وحده المستحق للعبودية والألوهية، كما جاء إثبات البعث في أن القادر على إرجاع الأسماع والأبصار هو الذي وهبها أول مرة، وهو الله تعالى،[2] "...أفلا يكون قادرا على إعادتكم في البعث كما بدأكم أول مرة، إنكم ترون من يذهب سمعه كأن في أذنيه وقراً ثم يسمع، ومن يذهب بصره ثم يبصر بعمل الله، ومن يصاب بجِنَّة ثم يفيق، وكل ذلك من الله تعالى، ... فلماذا لا يقيسون عليها عودة الأجسام بعد بلاها كما بدأكم تعودون؟"[3].

ب. **الجمع بين الاستدلال بمصادر المعرفة الثلاثة:** استدلت الآيات بالعقل في إبطال شبهات الخصم ببيان فساد عقيدة الشرك واضطرابها، وبإبطال ألوهية غير الله تعالى بإبطال اتصاف غيره بصفات لازمة من صفات الربوبية، وبالخبر الصادق بالاحتجاج بأمثلة تاريخية لأمم ظالمة أُخذوا بسبب

---

[1] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج7، ص115.

[2] يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص536.

[3] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2504.

عدم الإيمان، وبالحسّ بالاحتجاج بقدرة الله تعالى في خلق أعضائهم وحواسّهم وعجز غيره عن ذلك.

الشكل رقم 3 خلاصة ما تناوله المبحث الثالث من الفصل الأول.

المبحث الرابع: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (56- 67) والرد القرآني عليها

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (57) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (58) وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59) وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (60) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (62) قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (64) قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (65) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (66) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ(67)﴾.

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تزُدُّ عليها الآيات

1. شبهة الشرك بالله تعالى بصرف العبادة إلى غيره، وفيها: شبهة خلط الشرك بالتوحيد[1]، في المساومة على الدين بطلب المشركين من الرسول ﷺ عبادة آلهتهم ليعبدوا إلهه،[2] وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ...(56)﴾، وشركهم

---

[1] سبق الحديث في التمهيد عن أنواع التوحيد والانحرافات التي وقعت فيه فليراجع.

[2] يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج11، ص396، ومن هذه المساومة قول الله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾(القلم:9).

بالله في الرخاء بعد أن نجّاهم من الشدّة، قال تعالى: ﴿...قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ(64)﴾.

2. شبهة الخلط بين مقام الألوهية والرسالة، وفيها: شبهة إنكار التوحيد بحجة تأخر العذاب الذي توعدهم به الرسول ﷺ، فصار إمهال الله لهم شبهة يتهمون فيها صدق القرآن، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...(58)﴾.

3. شبهة المبالغة في الأدلة الحسّية المادية[1]: في مطالبتهم الرسول ﷺ بالإتيان بالخوارق الحسّية لتصديقه، قال تعالى: ﴿...مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ...(57)﴾.

4. شبهة الشرك في الأسماء والصفات: في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...(59)﴾.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني

الفرع الأول: محور الاحتجاج في الآيات ومضمون الرد على الشبهات الواردة فيها

محور الاحتجاج: الاحتجاج على التوحيد وإبطال الشرك بإثبات كمال العلم لله تعالى وكمال القدرة له، وقهر الله تعالى الإنسان، وإخلاصه لله تعالى في الشدّة.

مضمون الرد على الشبهات الواردة فيها: والشبهات هي:

1. شبهة الشرك بالله تعالى بصرف العبادة إلى غيره، بخلط الشرك بالتوحيد، في المساومة على الدين، وبشركهم في الرخاء إخلاصهم لله في الشدّة، ومعالجتها كانت من خلال: رفض الخلط بين التوحيد والشرك بالمفاصلة بينها، الذي تضمن النهي عن عبادة غير الله تعالى، ورفض اتباع أهواء المشركين، مع إعلان اتباع البينة والدليل واليقين من الله تعالى، والاستدلال على الخصم بلجوئه إلى الله تعالى في الشدّة، وتخويفه بإحاطة قدرة الله به، وتهديده بإنزال العذاب.

---

(1) سبق الحديث عن انتكاسة الفطرة في المبالغة في الأدلة الحسّية حتى تصل إلى إنكار وجود الله تعالى في المبحث الثالث من هذا الفصل، وسبق في التمهيد الحديث عن صلاحية دلائل التوحيد في مواجهة هذا الإنكار.

2. شبهة الخلط بين مقام الألوهية والرسالة، باستعجال الخصم للعذاب من الرسولﷺ وطلب الخوارق الحسّية، والاحتجاج بذلك للتشكيك في صدق ما جاء به، ومعالجتها كانت من خلال: التفريق بين مقام الرسالة والألوهية، ببيان بشرية الرسول ﷺ بتبرؤه من القدرة على إنزال العذاب، وإثبات هذه القدرة لله وحده، والاحتجاج على الخصم باتباع الرسول ﷺ للدليل والبينة، والاستدلال بكمال علم الله تعالى وقدرته، وإحاطتهما بالخلق، والاستدلال بمظاهر قهره الناس في ذواتهم وحياتهم.

3. شبهة المبالغة في الأدلة الحسّية المادية، ومعالجتها كانت من خلال: الاستدلال بمظاهر قهر الله تعالى الإنسان بالنوم والموت، والاستدلال عليهم بمواقف يلجؤون فيها إلى الله، والتهديد بالعذاب.

4. شبهة الشرك في الأسماء والصفات، ومعالجتها كانت من خلال: بيان اختصاص الله تعالى بمفاتح الغيب، وبيان سعة علم الله تعالى وإحاطته بالكون.

الفرع الثاني: المنهج العام للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات

كانت الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي أثارها الخصم هي محاولة لتمييع الدين بخلط الشرك مع التوحيد، استهزاء ومكابرة واغتراراً بإمهال الله؛ لذلك ابتدأت هذه الآيات ببيان استحالة أن يجتمع التوحيد مع الشرك بإعلان المفاصلة مع الخصم، ثم معالجة اغتراره ومكابرته في طلب العذاب، ببيان إحاطة علم الله تعالى وقدرته بالخصم من كل صوب، من خلال مجموعة من المشاهد التصويرية، تهدده وتخوفه وتدفعه إلى التوحيد والإخلاص لله تعالى، ثم مفاصلة أخرى مع المشركين، وتمحور هذا المنهج حول ثلاثة محاور، هي:

أولاً: المفاصلة مع الخصم على أساس التوحيد: إذ أُمر عليه الصلاة والسلام بالتبرؤ مما هم عليه من الشرك، من خلال مجموعة من الأقوال المأمور بتبليغها ﷺ الخصم:

أ. الابتداء بالنهي عن الشرك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...(56)﴾.

ب. إعلان رفضه اتباع أهواء المشركين، ثم إعلان اتباعه واحتكامه للبيّنة والدليل من ربه، في قوله تعالى:﴿...قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ... (57)﴾.

ج. التبرؤ من القدرة على إنزال العذاب، والتذكير بأن الحكم في ذلك هو لله تعالى، في قوله تعالى: ﴿...مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ(57)﴾.

د. تأكيد بشريته ﷺ، ولو كان الحكم بيده لما صبر عن إنزال العذاب بهم، وأن لله تعالى هو العالم بهم وبما يصلح في شأنهم، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ(58)﴾.

ثانياً: مواجهة الخصم بمشاهد إحاطة علم الله تعالى وقدرته به: "وهذا انتقال لبيان اختصاصه تعالى بعلم الغيب وسعة علمه، ثم سعة قدرته وأن الخلق في قبضة قدرته"[1]، والمشاهد هي:

- مشاهد إحاطة الله تعالى بعلم الغيب في الكون: من مشهد اختصاصه بمفاتح الغيب[2]، وما تضمن من إنكار إحاطة الخلق بعلمه سبحانه، وإحاطة علمه بما هو واسع وعظيم في إطلاق البر والبحر، وبما هو في نظر البشر حقير يقصر عنه اهتمامهم من سقوط ورقة من شجرة، وبما يخفى عن ناظرهم بالإشارة إلى الحبة في ظلمات الأرض، في بيان إحاطته سبحانه بالصغير والكبير، وبالباطن كالظاهر بإطلاق الأوصاف من رطب ويابس، قال تعالى:﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(59)﴾.
- مشاهد إحاطة علم الله تعالى وقدرته بذات الإنسان: في ليله ونهاره، وفي حياته الدنيا والأخرى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(60)﴾.
- مشاهد قهر الله تعالى الإنسان في ذاته: وهما: المشهد الأول: مشهد قهر الإنسان بغلبة النوم عليه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ... (60)﴾، والمشهد الثاني: مشهد قهر الإنسان بغلبة الموت عليه، قال تعالى:﴿...لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى...(60)﴾.

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص270.

[2] "أي عنده الوصلةُ إلى علمِ الغَيْبِ"، الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج2، ص257.

- مشهد إحاطة علم الله تعالى وقدرته بالإنسان بإرسال الحفظة عليه، ورجوعه إلى الله للحساب: قال تعالى: ﴿...وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ(62)﴾.
- مشهد إحاطة الله بالإنسان في الشدّة: في مواجهة الخصم بمعرفته الفطرية، بأنه عند انقطاع الأسباب وتخبطه في ظلمات البر والبحر فلن يتضرع ويلجأ إلا إلى الله وحده، ومواجهته بادعائه التوبة من الشرك، ووعده بالتزام الشكر بعد النجاة، ثم مشهد انتكاسته في رجوعه إلى الشرك بعد أن أجابه الله ونجّاه من الشدّة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (64)﴾.
- مشهد إحاطة عذاب الله تعالى بالإنسان، وعجز الإنسان عن دفعه: في تصوير مرعب، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ(65)﴾.

ثالثاً: عود على المفاصلة: بإثبات تهمة التكذيب على المشركين، وإثبات أن القرآن هو الحق، وبيان أن الرسول ﷺ ليس مكلفاً بهدايتهم، بمفاصلة للكفار وتهديداً لهم بالمستقبل[1]، قال تعالى:﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (66) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ(67)﴾.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني

ظهرت في الآيات ملامح الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد، منها:

1. **نقض شبهة الخصم بالاحتجاج عليه بدليل الفطرة:** التي ما إن تواجه الشدّة، حتى تنسى ما أشركت من دون الله تعالى في الرخاء، وتلجأ وتتضرع إليه وحده، ولما كان معرفة الإنسان بذلك مستقراً في نفسه، جاء الاحتجاج به على الخصم في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ

---

[1] يُنظر: ابن أبي الزمنين: محمد بن عبد الله، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: حسين بن عكاشة، ومحمد الكنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 2002م)، ج2، ص75؛ والطبطبائي: محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، (قم: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ط، د.ت)، ص139.

تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ(63)﴾، ثم تصور الآيات حال الخصم بعد الشدّة، وبعد وعده بإدامة الشكر بعد النجاة، في رجوعه إلى الشرك وعبادة ما لا يملك له نفعاً ولا ضرًّاً، قال تعالى:﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ(64)﴾، "فبين الله سبحانه أنه إذا شهدت الفطرة السليمة في هذه الحالة بأنه لا ملجأ الا إلى الله، ولا معول إلا عليه، وجب أن يبقى هذا الإخلاص عند كل الأحوال والأوقات"[1].

2. **نقض شبهات الخصم بالاحتجاج عليه بدليل العقل:** وكان ذلك من عدة محاور، هي:

أ. **بيان فساد عقيدة الشرك بإظهار تناقضها واضطرابها:** في إخلاص المشركين لله تعالى في الشدّة طلباً للنجاة، ثم شركهم بالله تعالى في الرخاء، في الآيات (63– 64).

ب. **إبطال ألوهية غير الله تعالى بإبطال اتصاف غيره بصفات لازمة من صفات الربوبية:** استدلت الآيات بلجوء الخصم في الشدّة إلى الله تعالى طلباً لدفع الضر، لإبطال قدرة معبوداتهم من دون الله تعالى على دفع الضر، وإن انتفاء هذه الصفة عن معبوداتهم يبطل معنى عبادتهم لها، فهي لا تدفع ضرًّاً عدا عن أنها لا تجلب نفعاً فلا فائدة من عبادتها، وإثبات هذه الصفة له تعالى تثبت استحقاقه العبادة، في الآيات (63– 64).

ج. **الاستدلال على التوحيد بالنظر العقلي في الكون وذات الإنسان:** إن تفكر الإنسان في الكون الذي ترشد إليه الآية (59)، يدفعه إدراك انتظام الكون من حوله، وإدراك أن هناك مدبراً حكيماً قادراً خلفه، ثم إذا ما تفكر في حياته أدرك انتظامها كذلك، وهو ما ترشد إليه الآيات التالية (60– 61)، فانتهاء يومه بالنوم رغماً عنه، وانتهاء حياته بالموت رغماً عنه، ليس مجرد صدفة، وهذا يقوده إلى إدراك أن هناك إرادة غالبة ليست إرادته، إنما إرادة القاهر فوق عباده، فصار هذا النظر العقلي دليلاً على وجود الله تعالى، ودليلاً على استحقاق الله تعالى للعبادة دون غيره.

---

[1] النيسابوري: الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلميه، ط1، 1995م)، ج3، ص96.

د. **نقض شبهات الخصم باختصاص الله بعلم الغيب والشهادة:** ما طلبه الخصم من استعجال العذاب، "...إنما هو عند الله لا سبيل إليه لغيره فهو العالم بذلك الحاكم به"، فجاء الرد عليه في الآية (59) ببيان انحصار العلم بالغيب فيه تعالى، مما يوجب على المفتقر إلى العلم الكامل إفراد العبادة للمتصف بالعلم الكامل، وكان إثبات إحاطة علم الله بالغيب والشهادة من جهتين، الأولى: تفرده بمعرفة الغيب المطلق في اختصاصه بمفاتيح الغيب جل وعلا مع نفي علم سواه، في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...(59)﴾، الأخرى: إحاطة علم الله تعالى بعالم الشهادة الذي يظهر للإنسان، وهو غيب نسبي، إذ يمكن للإنسان أن يتوصل إلى معرفة أجزاء منه، احتجاجاً بهذا الجزء اليسير من عالم الشهادة على عظمة عالم الغيب الذي لا يملك الإنسان تصوره، ومن ذلك الاحتجاج في الآية: (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا)، فإذا كان علمه يحيط بالشجر وهي من الجمادات، بل بأبسط حركة فيها، وهي حركة سقوط ورقة، "...فما ظنك بالحيوانات، ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم"[1]، وهذا إثبات بأن الإله المتصف بكمال العلم هو المستحق لأن يعبد دون ما سواه ممن لا يعلم شيئاً[2].

3. **اعتماد النظر العقلي في إحاطة قدرة الله تعالى وعلمه بالخصم:** من صور هذه الإحاطة:

- إحاطة قدرة الله تعالى وعلمه بزمان الإنسان: ليلاً ونهاراً، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى...(60)﴾، وفي دنياه وآخرته: ﴿...ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(60)﴾.
- إحاطة قدرة الله تعالى وعلمه بمكان الإنسان: فلما كانت أصعب الأماكن وصولاً إليها هي أظلمها، إذ هي أخفاها، فإن من أحاطت قدرته وعلمه بتلك الأماكن، ﴿... فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ...(59)﴾ أو ﴿...ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...(63)﴾، فإحاطة قدرته بغيرها من الأماكن أولى.

---

[1] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص265.

[2] يُنظر: الطبطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ص139.

- إحاطة قدرة الله تعالى بإحاطتهم بالعذاب: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ(65)﴾، فبيّن أن الله تعالى: "...هو القادر على إلقائهم في المهالك إثر بيان أنه هو المنجي لهم منها، وفيه وعيد ضمني بالعذاب لإشراكهم المذكور"[1]، ولما كان هو القادر الذي يقدر على إيصال صنوف العذاب لهم صار ذلك دليلاً على وجوب توحيده.

4. **نقض شبهات الخصم بالاحتجاج بقهر الله تعالى:** في غلبة النوم على الإنسان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ...(60)﴾، وغلبة الموت على الإنسان، قال تعالى:﴿...لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى...(60)﴾، فإن ما أودعه الله تعالى في الإنسان من حاجة إلى النوم، تغلب إرادته بالبقاء مستيقظاً، وإرادة الله تعالى بقبض روحه، تغلب إرادته في التمسك بالحياة، فلما غلبت إرادة الله تعالى على إرادة الإنسان في الاستمرار والبقاء في الحياة، فهو القاهر عليهم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ...(61)﴾، ووجه الاستدلال بقهر الله تعالى في إبطال الشرك: "...أن النوم والموت خلقهما الله فغلبا شدة الإنسان كيفما بلغت فبين عقب ذكرهما أن الله هو القادر الغالب دون الأصنام"[2].

5. **توظيف الدلائل الحسّية في مخاطبة العقل بعيداً عن الطرق الفلسفية والكلامية:** وتقديم الدلائل على إثبات التوحيد وإبطال الشرك، في أسلوب التقرير – كما جاء في الآيات– ينأى بالنقاش بعيداً عن الطرق الكلامية والفلسفية، فمثلاً: واجهت الآيات الخصم بما يعرفه ويستشعره في حياته اليومية من مظاهر قهر الله تعالى الإنسان– من نوم وموت– مما لا يقدر عليه إلا الخالق القادر سبحانه وتعالى، لإثبات تفرده بصفة من صفات الربوبية، وهي القدرة على الإحياء والإماتة، مما يبطل استحقاق معبوداتهم من دون الله تعالى ويثبت استحقاقه وحده للعبادة.

---

[1] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص146.

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص277.

6. **مقابلة طلب الخصم للأدلة الحسّية، بأدلة عقلية وغيبية:** جاء بعد طلب الخصم للأدلة الحسّية لإثبات صدق الرسالة الذي جاء في الآيات (56– 58)، الاستفاضة بالحديث عن الغيب، استدلالاً بعالم الغيب على عالم الشهادة، إرشاداً إلى مواجهة الخصم المتشبث بالحسّ والمادة، بحقائق الغيب التي تحيط به من كل صوب، ولولا أهمية هذا المسلك ما وجهنا الله تعالى إليه في كتابه.

7. **الانطلاق من قضايا مشتركة يقرّها الخصم:** في الانطلاق من أمور يعرفون قهرهم أمام دفعها –وهما النوم والموت– للاستدلال بها على قضية ينكرونها وهي البعث بعد الموت.

8. **ضرب الأمثلة لما يذكره من قواعد وتقريرات:** لما ذكر اختصاص علم الله تعالى بالظالمين وما يصلح في شأنهم في قوله: ﴿... وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ(58)﴾، ناسب أن يتبعه بيان سعة هذا العلم وشموله، فضرب مثالاً بأمر غير محسوس، في قوله:﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...(59)﴾، ثم أعقب بأمثلة تقرب ذلك الإطلاق من عالم المشهادة المحسوس، ليدرك العقل البشري القاصر، ولو جزء يسير من إحاطة الله تعالى بالغيب، منها: قوله تعالى:﴿...وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...(59)﴾، ولما ذكر اختصاص الله تعالى بالحكم والقدرة على إنزال العذاب في قوله: ﴿...إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ...(57)﴾، أردف بالتمثيل لقدرة الله تعالى في الآيات 60– 65[1].

9. **نقد مرجعية الخصم بالمقابلة بين مرجعيات عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد[2]:** المقابلة بين مرجعية الشرك في اتباع الخصم الهوى، ومرجعية التوحيد في اتباع الرسول ﷺ للدليل والبيّنة، جاء في قوله تعالى: ﴿...قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (56) قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ...(57)﴾، فقدم النهي عن اتباع أهوائهم، وربط اتباع الهوى بالضلال الذي هو عكس الهداية، ثم أُمر الرسول ﷺ بإعلان اتباعه للبيّنة والدليل من ربه، واتهامهم بالتكذيب بهذه البيّنة، والبيّنة هي: "...كل ما يتبين به الحق من الحجج والدلائل العقلية، والشواهد والآيات الحسية...والقرآن بينّة مشتملة على أنواع كثيرة من البينات العقلية والكونية، فهو على كونه من عند الله تعالى – للقطع بعجز الرسول كغيره عن الإتيان بمثله– مؤيد

---

[1] يُنظر: الشعراوي: محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (مصر: مطابع أخبار اليوم، د.ط، 1997م)، ص3670.

[2] وهذا المعلم يمكن اعتباره جزء من موقف المفاصلة، إلا أني أفردته لأهميته في الرد على الشبهات.

بالحجج والبينات المثبتة لما فيه من قواعد العقائد وأصول الهداية..."، ومقابلة قوة البينة التي يجدها من ربه، بالهوى والضلال الذي يتبعه المشركون، تصوير واقعي للسخف والباطل الذي يعيشونه في عبادتهم لغير الله تعالى، وفيه إبطال وفضح لأصول عقيدة الشرك التي يعتمد أصحابها على محض الهوى والتقليد لا الحجة والدليل،"...وما كان التقليد بينة من البينات، وإنما هو براءة من الاستدلال، ورضاء بجهل الآباء والأجداد..."[1]، وهم يشركون مع الله تعالى الجمادات، "...وهي أخس مرتبة من الإنسان بكثير، وكون الأشرف مشتغلا بعبادة الأخس أمر يدفعه صريح العقل. وأيضا إن القوم كانوا ينحتون تلك الأصنام ويركبونها، ومن المعلوم بالبديهة أنه يقبح من هذا العامل الصانع أن يعبد معموله ومصنوعه. فثبت أن عبادتها مبنية على الهوى. ومضادة للهدى..."[2].

10. **تنويع الأساليب في إقامة الحجة على الخصم:** ومن الأساليب المستعملة: المفاصلة بين التوحيد والشرك، والمشاهد التصويرية، وطرح الأسئلة على الخصم، والأمر بالقول، وتغليب أسلوب الترهيب في الآيات، وتفصيلها في النقاط الآتية.

أولاً: المفاصلة بين التوحيد والشرك: بمفاصلة الخصم على الشرك واتباع الهوى في الآيات (56– 58)، ثم إثبات تهمة التكذيب عليه وتهديده بالمستقبل في الآيات (66– 67)، ومن ملامح المفاصلة في الآيات:

أ. **التدرج مع الخصم أو صاحب الشبهة للوصول إلى المفاصلة بين التوحيد والشرك:** فابتدأ بقوله (نُهِيتُ) تعريضاً بالنهي عن الشرك ببناء فعل النهي للمجهول، ثم تصريح الرسول ﷺ رفضه اتباع أهوائهم، ثم إعلانه اتباع الدليل والبيّنة من ربه.

ب. **الوضوح في مضمون هذا الإعلان:** مثل النهي الصريح عن الشرك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...(56)﴾، ووصف الشرك بأنه محض هوى، ورفض اتباعه وبيان أن ذلك هو الضلال الذي هو عكس الهداية:﴿...قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا

---

[1] رضا، **تفسير المنار**، ج7، ص378.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج13، ص8.

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ(56)﴾، ثم المقابلة بين أهواءهم وبين البيّنة والدليل من الله تعالى، ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي...(57)﴾.

ثانياً: توظيف المشاهد التصويرية للاحتجاج على الخصم: من خلال:

- الاستدلال بإحاطة علم الله تعالى بالغيب في الآية (59) في مشاهد مختلفة، منها: اختصاصه بمفاتح الغيب، ومشاهد إحاطته لما صغر من الأشياء مثل سقوط ورقة من شجرة.
- الاستدلال بإحاطة قدرة الله تعالى وعلمه بالإنسان في الآيات (60– 62) في مشهد الوفاة بالنوم والوفاة بالموت، وبمشهد إرسال الحفظة لقبض الأرواح.
- الاستدلال على الخصم بفطرته، في مشهد تخبطه في الظلمات ودعائه وتضرعه لله تعالى في الآيات (63– 64).
- الاستدلال على الخصم بقدرة الله في الآية (65)، في مشهد التهديد بالعذاب.

ثالثاً: توظيف أسلوب طرح الأسئلة على الخصم: وجاء السؤال يتضمن الاستنكار على الخصم في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...(63)﴾، استنكاراً عليه شركه في الرخاء بعد إخلاصه لله في الشدّة، وأعقب السؤال بالإجابة، وأعرض عن انتظار إجابته تبكيتاً وتوبيخاً له، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ...(64)﴾.

رابعاً: تصدير الآيات بالأمر بـ(قل): والأقوال المأمور بتبليغها إلى الخصم في الآيات هي:

أ. مفاصلة الخصم على أساس العقيدة: بالنهي عن الشرك ورفض اتباع أهوائهم، وإعلان الرسول ﷺ موقف الثبات على الحق، والتبرؤ من قدرته على إنزال العذاب.

ب. مخاطبة الفطرة ومواجهتها بطرح الأسئلة عمن يخلصون له في الشدّة، وتقريرهم بالإجابة تبكيتاً عليهم.

ج. الانتقال إلى الأمر بالتهديد بقدرة الله تعالى على إحاطتهم بالعذاب.

د. تبرؤ الرسول ﷺ من وكالته عليهم.

خامساً: تغليب أسلوب الترهيب في الآيات: واتسم هذا الأسلوب بخصائص، منها:

- الترهيب بإحاطة علم الله تعالى وقدرته بهم: مثال ذلك: إحاطته بدنياهم وآخرتهم، في دنياهم بإحاطته بأعمالهم نهاراً وبوفاتهم بالنوم ليلاً، وبالموت عند انقضاء الأجل، وأحاط آخرتهم برجوعهم إليه للحساب، وأحاطهم في الشدّة وهم يتخبطون في الظلمات، وأحاطهم بعذابه الذي لا يملكون دفعه.
- التدرج في الترهيب: مثال ذلك: الانتقال من الحديث عن عموم إحاطة علم الله تعالى بالكون، إلى الحديث عن إحاطة علمه وقدرته بذواتهم، ثم إرسال الحفظة عليهم مع نفي التفريط عنهم (لَا يُفَرِّطُونَ) بثّاً للرعب في النفوس، ثم التدرج لذكر الموت وما يعقبه من حساب ورجوع إلى الله تعالى وما في هذه المشاهد من تخويف وزجر، وتزداد نبرة التخويف بالتهديد بقدرة الله تعالى على إنزال العذاب بهم من فوقهم ومن تحتهم.

11. **غزارة المعاني القرآنية في الجمع بين الأدلة المختلفة والرد على الشبهات المتعددة والطوائف المتنوعة بإيجاز ووضوح:** منها:

أ. **الاستدلال بالدليل الواحد على أكثر من قضية:** مثال ذلك: الجمع بين تقرير التوحيد وإثبات البعث: فلما أقام الدليل على التوحيد بدليل قهر الله تعالى الإنسان بالنوم والموت، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى...(60)﴾، استدل بذلك على صحة البعث والحساب، في قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(60)﴾، ويستطرد الطبري في بيان وجه الاحتجاج بالنوم والإيقاظ على المشركين المنكرين للبعث في قوله: "...فالذي يقبض أرواحكم بالليل ويبعثكم في النهار، لتبلغوا أجلا مسمى، وأنتم ترون ذلك وتعلمون صحّته، غير منكرٍ له القدرة على قبض أرواحكم وإفنائكم، ثم ردّها إلى أجسادكم، وإنشائكم بعد مماتكم، فإن ذلك نظير ما تعاينون وتشاهدون، وغير منكر لمن قدر على ما تعاينون من ذلك، القدرةُ على ما لم تعاينوه، وإن الذي لم تروه ولم تعاينوه من ذلك، شبيه ما رأيتم وعاينتم."[1]

---

[1] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج11، ص406.

ب. **الجمع بين الاستدلال بمصادر المعرفة الثلاثة:** الاستدلال بالعقل: في بيان فساد عقيدة الشرك بإظهار تناقضها واضطرابها، وإبطال ألوهية غير الله تعالى بإبطال اتصاف غيره بصفات الربوبية، وبالنظر العقلي في الكون وذات الإنسان، والاستدلال بالخبر الصادق: بما أمر الرسول ﷺ بتبليغه من الآيات عن ربه، تأمر بالتوحيد وتنهى عن الشرك، والاستدلال بالحس: في ذات الإنسان بعجزه أمام قدرة الله تعالى وقهره، فلا يملك جسده إلا الاستسلام للنوم والموت، وأن الذي قهره بهذيّن الأمرين هو القاهر الذي بيده أمر هذا الإنسان، وهو المستحق لأن يعبد دون غيره ممن لا يملك ذلك.

الشكل رقم 4 خلاصة ما تناوله المبحث الرابع من الفصل الأول.

الفصل الثاني: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في القسم الثاني من سورة الأنعام، والرد القرآني عليها

المبحث الأول: شبهات التوحيد في الآيات (71-83) والرد القرآني عليها

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الثاني: شبهات التوحيد في الآيات (95-103) والرد القرآني عليها

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الثالث: شبهات التوحيد في الآية (136-153) والرد القرآني عليها

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الرابع: شبهات التوحيد في الآية (161-165) والرد القرآني عليها

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني.

المبحث الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (71- 83) والرد القرآني عليها

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (71) وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (74) وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (79) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80) وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (81) الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (82) وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)﴾.

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عيلها الآيات

1. شبهة الشرك في الألوهية:[1] منها دعاء من لا يملك النفع والضر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...(71)﴾، وعموم الشرك بالله في قوله: ﴿...قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(78)﴾، واتخاذ الأصنام آلهة من دونه في قوله: ﴿...أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً...(74)﴾، واتباع الهوى في العبادة مثل اتخاذ الكواكب والنجوم آلهة من دونه، في الآيات من (76- 78).

---

[1] سبق الحديث في التمهيد عن أنواع التوحيد والانحرافات التي وقعت فيه فليراجع.

2. شبهة الشرك في الربوبية: في نسبة النفع والضر إلى غير الله تعالى، في خوفهم من معبوداتهم الباطلة وعدم خوفهم من الله تعالى في قوله: ﴿...وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ... (80)﴾، وقوله:﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ...(81)﴾.
3. تعالج بشكل غير مباشر شبهة إنكار وجود الله تعالى[1].

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني

الفرع الأول: محور الاحتجاج في الآيات ومضمون الرد على الشبهات الواردة فيها

محور الاحتجاج: الاستدلال بكمال علم الله تعالى وقدرته، واختصاصه بالملك والخلق، والاستدلال بقصص الأنبياء لإثبات التوحيد وإبطال الشرك.

مضمون الرد على الشبهات الواردة فيها: والشبهات هي:

1. شبهة الشرك في الألوهية، من دعاء من لا يملك النفع والضر، وعموم الشرك بالله، واتباع الهوى في العبادة من اتخاذ الأصنام والكواكب والنجوم آلهة من دون الله تعالى، ومعالجتها كانت من خلال: الاستدلال بتوحيد الربوبية لإثبات توحيد الألوهية، وإثبات صفات الكمال لله تعالى، من كمال العلم والقدرة والملك، والاحتجاج على الخصم بالبعث والحشر، وبيان اتصاف معبوداتهم بالنقص مقابل كمال الإله لإبطال الشرك.
2. شبهة نسبة النفع والضر إلى معبوداتهم من دون الله تعالى، ومعالجتها كانت من خلال: إبطال نسبة صفات الربوبية إلى تلك المعبودات، بدليل اتصافها بصفات النقص لإبطال ألوهيتها، وإثبات صفات الكمال لله تعالى لإثبات التوحيد.
3. شبهة إنكار وجود الله تعالى، ومعالجتها كانت من خلال: الاستدلال بأدلة توحيد الربوبية لإثبات وجود الله تعالى.

---

[1] سبق الحديث عن صلاحية أدلة التوحيد في مواجهة إنكار الربوبية وإنكار وجود الله في التمهيد.

الفرع الثاني: المنهج العام للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات

تمحور المنهج العام للرد على الشبهات في الآيات حول ثلاثة محاور، وهي:

أولاً: الابتداء بمفاصلة الخصم على أساس التوحيد: تضمن:

أ. أمر الرسول ﷺ بالإنكار على المشركين، إعلاناً للمفارقة والمفاصلة معهم، رداً على اقتراحهم عبادة آلهتهم ليعبدوا الله تعالى، أو ابتداء منه بالإنكار عليهم شركهم، فكانت هذه الآيات تقنيطاً للمشركين من استجابته، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ...(71)﴾[1].

ب. تقرير مرجعية التوحيد أنه هدى من الله تعالى، قال تعالى: ﴿...قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(71)﴾.

ثانياً: الانتقال إلى تقرير دلائل توحيد الربوبية: في اختصاصه تعالى بالقدرة على البعث والحشر، واختصاصه بالخلق والأمر والملك، واختصاصه بعلم الغيب والشهادة، قال تعالى: ﴿...وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (72) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73)﴾.

ثالثاً: الانتقال إلى الاستدلال بالقصص التاريخي: في ذكر قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، وابتدأ إبراهيم محاجة أبيه على عبادته الأصنام، قبل الانتقال إلى محاجة قومه على عبادتهم الأجرام السماوية، فبدأ ببيان أن هذا الكوكب لا يصلح أن يكون إلهاً لأنه مسير على نظام لا يملك أن يحيد عنه، يخرج من المشرق ويغيب عند المغرب، وهذا لا يمكن أن يكون إلهاً، بل هو مخلوق من مخلوقات الله تعالى، ثم انتقل إلى القمر فبيّن فيه مثل ذلك، ثم تدرج إلى الشمس، فلما ظهر بطلان ألوهية تلك الأجرام، واستبان ذلك بالدليل العملي، تبرأ إبراهيم من عبادتها، في الآيات (74- 81)[2].

---

[1] يُنظر: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (مصر: مطبعة المصحف الشريف، ط3، 1992م)، ج3، ص1270.

[2] يُنظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص292.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني

ظهرت في الآيات ملامح الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد، منها:

1. **نقض شبهات الخصم بالاحتجاج عليه بدليل العقل:** من خلال مجموعة من الاستدلالات، فيها إبطال ألوهية غير الله تعالى وإثبات للتوحيد، وهي:

أ. **الاستدلال بالأثر على المؤثر:**[1] مثال ذلك: تعرف إبراهيم عليه السلام على ربه بآثاره في الكون في خلقه السماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(79)﴾.

ب. **الاستدلال بكثرة الآلهة لإبطال عقيدة الشرك:** مثال ذلك: أن قوم إبراهيم كانوا يقولون بتعدد وكثرة الآلهة، بدليل قوله لأبيه :﴿...أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً...(74)﴾، ولو أنه كان للأصنام قدرة على النفع والضر – كما يزعمون– لكان الواحد كافياً عن المجموع، "...فلما لم يكن الواحد كافياً، دل ذلك على أنها وإن كثرت فلا نفع فيها البتة"[2].

ج. **الاستدلال بافتقار معبوداتهم لصفات لازمة من صفات الربوبية:** مثال ذلك: استدلال الآيات على إبطال ألوهية تلك المعبودات بإبطال امتلاكهم للنفع والضر في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...(71)﴾، "...أي كيف ندعو من دون الله أصناماً لا تنفعنا بوجه من

---

[1] مركوزٌ في فطرة الإنسان وطبيعته أن حدوث الأشياء لا بد له من محدث، حتى الصبيان، لو ضرب أحدهم وسأل عمن ضربه، فقيل له: ما ضربك أحد، لم يصدق أن الضربة حدثت من غير فاعل، ولذلك لو زعم أحدهم وجود بناء أو كتابة من غير فاعل أو محدث لها لاعتبر مجنوناً، ويقاس على ذلك دلالة مصنوعات الله تعالى على الصانع الواحد المختار،يُنظر: ابن تيمية ، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ج3، ص203، ويُنظر: الألمعي: زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآني الكريم**، (الرياض: د.ن، ط3، 1984م)، ص83؛ والعريفي: سعود، **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، (المملكة المتحدة: مركز تكوين، ط1، 2014م)، ص93.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج13، ص 34.

الوجوه إن أردنا منها نفعاً، ولا نخشى ضرها بوجه من الوجوه، ومن كان هكذا فلا يستحق للعبادة"[1].

د. **الاستدلال باتصاف معبوداتهم بصفات النقص:** مثال ذلك: إبطال إبراهيم عليه السلام ألوهية الكواكب التي عبدها قومه بدليل أنها متغيرة، في اتصافها بصفة الأفول، أي الغياب[2] والاختفاء بعد الظهور، وهي صفة نقص لا تليق بالرب الكامل ولا بالإله الخالق.

هـ. **الاستدلال بإثبات صفات الكمال لله تعالى:** مثال ذلك: تقرير صفة الخلق والملك وكمال العلم، وكمال الحكمة والخبرة، والقدرة على الإحياء والإماتة، لله تعالى وحده، في الآيات (72- 73) والآية (79).

و. **الاحتجاج بتمسك الخصم بالخرافة والوهم لدحض شبهته:** مثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿...أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً...(74)﴾، استنكر إبراهيم عليه السلام على أبيه اتخاذ الأصنام التي يصنعها آلهة معبودة، فما نسبوا إليها من ألوهية محض خرافة ووهم توهموه، فنقصها وعجزها أظهر من أن يجهل، وهي أخس ممن يعبدها من وجوه كثيرة، فهي لا تنطق وعبّادها ينطقون، ولا تسمع ولا تبصر، وعبّادها يسمعون ويبصرون، ولا تملك أرجلاً ولا أيادي، وعبّادها لهم ذلك كله، بل لا حياة فيها وعبّادها أحياء، "فلا يليق بالعاقل أبدًا أن يعبد إلهًا دونه وأقل منه...".[3]

2. **توظيف الدلائل الحسّية في مخاطبة العقل بعيداً عن الطرق الفلسفية والكلامية لتقرير التوحيد:** من ذلك: أن إبراهيم عليه السلام لم يناظر الخصم بكلام عقلي نظري بعيد عن الواقع، بل احتج عليه بما تراه أعينهم، من صفات النقص، مما يبطل شبهتهم في نسبة الألوهية إلى غير الله تعالى، في الآيات (76- 79).

---

[1] القنوجي، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، ج4، ص170.

[2] يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج11، ص485.

[3] ملكاوي: محمد أحمد، **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم**، (د.م: مكتبة دار الزمان، ط1، 1985م)، ص291، ويُنظر: ص296.

3. **الانطلاق من قضايا مشتركة يقرّها الخصم:** مثال ذلك: استدلال الآيات بخلق الله تعالى السماوات والأرض وهو أمر يقرّه الخصم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ...(73)﴾، للاستدلال على قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة في قوله تعالى: ﴿...وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ...(73)﴾، وكمقدمة لمجادلة إبراهيم عليه السلام لقومه في اتخاذ الأصنام والكواكب آلهة من دون الله تعالى، ومثال آخر: أنه لما أراد إبراهيم عليه السلام إعلان براءته من الشرك بعد ذلك، قدم دلائل الربوبية التي يقرّها الخصم، في قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا...(79)﴾، ليستدل بدلائل الربوبية على التوحيد والتبرؤ من الشرك في قوله: ﴿...وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(79)﴾.

4. **إبطال شبهات الشرك ببيان فساد مرجعية الخصم:** من خلال:

أ. **المقابلة بين مرجعيات عقيدة الشرك والتوحيد:** في المقابلة بين الذي يرتد إلى الشرك وبين الذي يسلم لرب العالمين، فالأول مرجعيته استهواء الشياطين، والثاني مرجعيته هدى من الله تعالى، قال تعالى: ﴿...كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(71)﴾.

ب. **التركيز على إبطال مرجعية عقيدة الخصم وأصلها لإبطال فروعها:** مثال ذلك: أنه لما استنكر إبراهيم عليه السلام على أبيه عبادة الأصنام:﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(74)﴾، انتقل إلى نقد مرجعية هذه العقيدة الباطلة، وهي عبادة الكواكب، لأنهم كانوا يتخذون الأصنام آلهة تمثل الكواكب،[1] معتقدين أن للكواكب تأثيراً على أقدار الأرض وأرزاقها، وأنها تنفع وتضر، سواء بحركتها أو بمواقعها.

---

[1] والفِرق في زمان إبراهيم عليه السلام ترجع إلى صنفين: الصابئة والحنفاء، فالصابئة: تقول بالحاجة إلى متوسط روحاني لا جسماني، والحنفاء: بالحاجة إلى متوسط من جنس البشر، وهو النبي، ولم يقتصر الصابئة على الروحانيات البحتة، إنما فزعت جماعة منهم إلى الهياكل وهي الأجرام السماوية، فعبدوا الكواكب، وربما نزلوا عنها إلى الأصنام فعبدوها، وكانوا يعملون الأصنام في مقابلة الهياكل، وكان أبوه آزر أعلم القوم بعمل الأصنام،

أثبت إبراهيم عليه السلام بطلان أصل عقيدة الخصم، وهي عبادة الكواكب بدليل أفولها، والأفول صفة نقص، والإله الحق هو الذي يتصف بالكمال لا بالنقص، "فإن الآفل هو الذي يغيب تارة ويظهر تارة فليس هو قائما على عبده في كل وقت ... فبين ما في الآلهة التي تعبد من دون الله من النقص وبين ما لربه فاطر السموات والأرض من الكمال"[1]، ولما ثبت بطلان الأصل، ثبت بطلان الفرع وهو عبادة الأصنام، وقد أشار ابن عطية إلى هذا في قوله: "فكأنه يقول: فإذا بان في هذه المنيرات الرفيعة أنها لا تصلح للربوبية فأصنامكم التي هي خشب وحجارة أحرى أن يبين ذلك فيها..."[2].

5. **مسايرة الخصم لنقض شبهته:** المسايرة فيما يظهر للخصم، بحكاية إبراهيم عليه السلام عن الكوكب والقمر والشمس: (هَذَا رَبِّي)، لإظهار موافقة الخصم استدراجاً له[3]، ليصل به لتلقي الحجة، لئلا ينفر من أول الأمر، حتى إذا أظهر الدليل المبطل لقوله، كان قبوله لذلك الدليل أتمّ، وانتفاعه باستماعه أكمل، وبذلك يصل إلى نقض شبهة الخصم، فسايرهم إبراهيم عليه السلام ليظهر لهم حال تلك المعبودات في تغيرها من بعد الظهور إلى الاختفاء، وهذه صفة نقص لا تليق بالرب الكامل القائم على كل شيء، فأثبت لهم بشكل عملي أن تلك الأجرام لا تصلح أن تكون إلهاً، "...وهذه مهارة ودهاء وحكمة منه عليه السلام، إذ جعلهم

ولهذا كانوا يشترون منه الأصنام لا من غيره، يُنظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، ج2، ص35- 36، ص110- 111).

(1) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج16، ص206- 207.

(2) ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص313.

(3) ذهب المفسرون في تفسير مقولة إبراهيم إلى أقوال، منها: أنه قاله تعريضاً لقومه عند حيرة قلوبهم، أو أنه قاله قبل البلوغ والتكليف، أو أنه قاله على وجه الإنكار على قومه وحذف الألف وأراد (أهذا ربي)، أو أنه قاله على سبيل الاستفهام، (أهذا ربي؟)، وحذفت الهمزة، وآخر قولين هم الأليق بمقام إبراهيم عليه السلام، يُنظر: الفراء: يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد النجاتي، ومحمد النجار، وعبد الفتاح الشلبي، (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، ط.ت)، ج1، ص341؛ والتستري: سهل بن عبد الله، **تفسير التستري**، تحقيق: محمد باسل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002م)، ص62؛ والجصاص: أحمد بن علي، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد القمحاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، 1985م)، ج4، ص164؛ والسمرقندي: نصر بن محمد، **بحر العلوم**، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، زكريا النّوتي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1993م)، ج1، ص462).

بأنفسهم يقيمون الحجة على أنفسهم، ووضع أيديهم على مواطن الضعف منهم، وظهر لهم في موقف الباحث لئلا ينفروا منه، حتى أبطل حججهم، وأظهر باطلهم، وبعد ذلك أعلن لهم عقيدته الحقة، وبراءته منهم ومن شركهم"[1].

6. **قلب شبهة الخصم حجة عليه:** مثال ذلك: نسب الخصم الربوبية إلى الكواكب، وقلب إبراهيم عليه السلام شبهة الخصم حجة عليه، بالاستدلال باتصاف الكواكب بالنقص للاحتجاج بمربوبية تلك الكواكب لا ربوبيتها، "...قال لهم: تقُولونَ هذا رَبي، أي هذا يُدَبرني، ... فاحتج عليهم بأن الذي تزعمون أنه مُدَبِّرٌ إنما يرى فيه أثر مُدَبَّر لا غير"[2].

مثال آخر: في رد إبراهيم عليه السلام على تخويف قومه من بأس الآلهة، قلب شبهتهم عليهم، مبيّناً وموضحاً أن الأحق بالخوف هو الذي أشرك مع الله تعالى غيره، لا من عبد الله تعالى وحده، وأن الأخير هو المستحق للأمن، قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾، يشير إلى ذلك ابن القيم فيقول:"وهذا من أحسن قلب الحجة، وجعل حجة المبطل بعينها دالة على فساد قوله، وبطلان مذهبه، فإنهم خوفوه بآلهتهم التى لم ينزل الله عليهم سلطانا بعبادتها، وقد تبين بطلان إلهيتها ومضرة عبادتها. ومع هذا فلا تخافون شرككم بالله وعبادتكم معه آلهة أخرى؟ فأى الفريقين أحق بالأمن وأولى بأن لا يلحقه الخوف؟"[3].

7. **ضرب الأمثلة لما يذكره من قواعد وتقريرات:** مثال ذلك: ما أشار إليه في الآيات (56- 57)، من اتباع أهواء الخصم، مقابل اتباع البيّنة والدليل مثل له في هذه الآيات بالذي استهوته الشياطين متخبطاً وحيران يهيم في الأرض: ﴿...كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ...(72)﴾، ومثل لمتبع البيّنة والدليل بقصة إبراهيم عليه السلام.

---

[1] الغامدي: محمد بن عبد الله، **حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد**، (المدينة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 2003م)، ص84- 85.

[2] الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج2، ص267.

[3] ابن القيم، **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، ج2، ص1014.

8. **سد الثغرات التي قد يتسلل منها الخصم لإلقاء شبهه:** لما كان إصابة الإنسان في حياته المستقبلية بشيء من المكاره أمراً محتملاً، احتاط إبراهيم من الخصم بقوله: ﴿...وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا...(80)﴾، لئلا يتوهموا أن ما قد يصيب إبراهيم عليه السلام هو بسبب آلهتهم، بل الأمر كله بمشيئة الله تعالى.[1]

9. **تنويع الأساليب في إقامة الحجة على الخصم:** من الأساليب المستعملة: الأمر بالقول، وطرح الأسئلة على الخصم، والتشبيه التمثيلي، والمفاصلة بين التوحيد والشرك، والقصص التاريخي، وتفصيلها في النقاط الآتية.

أولاً: الأمر بـ(قل): جاء في موضعين: في الأمر بالاستنكار على عبادة ما لا ينفع ولا يضر، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...(71)﴾، واستعمال (ما) التي لغير العاقل – غالباً– في هذا الموضع مزيد استنكار عليهم في عبادتهم لغير العاقل، جاء الأمر بـ(قل) لإثبات أن الهدى الحقيقي هو هدى الله تعالى، ليست تلك الأهواء والأوهام التي يعبدونها من دونه، في قوله: ﴿...قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(71)﴾.

ثانياً: توظيف أسلوب طرح الأسئلة على الخصم: في قوله تعالى:﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...(71)﴾، وقوله:﴿...أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً...(74)﴾، حمل الاستفهام الإنكار عليهم وتبكيتهم في أن بطلان ألوهية من أشركوا مع الله من الظهور والوضوح بمكان بحيث لا تحتاج إلى "...كثير تأمل، بل هو أمر بدهي أو قريب منه، فإنهم يباشرون أمرها بجميع جوانبهم ويعلمون أنها مصنوعة وليست بصانعة"[2]، وإقرار للخصم على جرمه قبل الولوج في النقاش، ثم جاء الاستفهام في قوله: ﴿...أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(80)﴾، للتحريض على التذكر والاعتبار، وتضمن الإنكار على عدم تذكرهم[3] وإذعانهم بعد ظهور الدلائل ووضوحها، ثم الإنكار عليهم محاجتهم له بعد ظهور الأدلة البيّنة في

---

[1] يُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج13، ص 48.

[2] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج7، ص157.

[3] "أفلا تتذكرون تنبيه لهم على غفلتهم حيث عبدوا ما لا يضر ولا ينفع، وأشركوا بالله وعلى ما حاجهم به من إظهار الدلائل التي أقامها على عدم صلاحية هذه الأصنام للربوبية"، أبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص570.

السؤال: ﴿...قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ...(80)﴾، ثم إنكار نفع وضر هذه الأحجار والكواكب، في قوله: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ...(81)﴾، والانتهاء إلى السؤال الاستنكاري لتقريرهم على المستحق للخوف والأمن، في قوله: ﴿...فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾، وأورد الإجابة بعد السؤال لظهور الإجابة والتبكيت عليهم، في قوله: ﴿...الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ(82)﴾[1].

ثالثاً: توظيف التشبيه التمثيلي للرد على الخصم: كان الرد على طلب الخصم رجوع المؤمنين إلى الإشراك بعد التوحيد، بتصوير الله تعالى هذا الارتداد إلى الشرك بعد الإيمان، بحال الرجل الذي أضلته الشياطين في الأرض، حيران متخبطاً لا يدري أين يتوجه، وله أصحاب على الطريق يدعونه إلى الهدى، في قوله تعالى: ﴿...كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا...(71)﴾، ثم يعقب ببيان أن هدى الله هو الهدى الحقيقي، وليس استهواء الشياطين وأوهامهم، في قوله: ﴿...قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى...﴾.

رابعاً: المفاصلة بين التوحيد والشرك: بدأ بإعلان إبراهيم عليه السلام التبرؤ من عقيدة الخصم: ﴿...قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(78)﴾، ثم إعلان التوحيد بالاستدلال بأن الله تعالى فاطر السماوات والأرض، مع نفي الانتماء إلى طائفة المشركين: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(79)﴾، ثم نفي أن يكون لمعبوداتهم أي قدرة على النفع والضر، ونسبة ذلك إلى الله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ(80)﴾، ثم الاستنكار على الخصم خلطه بين المستحق للخوف والأمن: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(81)﴾، ثم أجاب عن هذا السؤال ليقرر أن المستحق للأمن هم الذين عبدوا الله وحده: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ(82)﴾.

---

[1] يُنظر: الطبطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، ج7، ص199.

ومن ملامح موقف الإشهاد والمفاصلة في الآيات السابقة ما يأتي:

أ. **التدرج في نقض الشبهات من إبطال الشرك إلى إثبات التوحيد ومن التلميح إلى التصريح:** في الابتداء بإبطال إبراهيم عليه السلام عقيدة قومه في عبادة الأصنام والكواكب، ثم الانتقال إلى إثبات وحدانية الله تعالى، في الآيات (78– 79)، ومن التلميح للتوحيد في إشارة إبراهيم عليه السلام إلى أن له **ربّاً** يهديه "...وفي هذا تهيئة لنفوس قومه لما عزم عليه من التصريح بأن له **ربّاً** غير الكواكب، ثم عرض بقومه أنهم ضالون وهيأهم قبل المصارحة للعلم بأنهم ضالون..."[1] في قوله:﴿...قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(77)﴾، ليصل إلى التصريح بالتوحيد في قوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...(79)﴾.

ب. **الوضوح في مضمون هذا الإعلان:** مثل الوضوح في براءته من الشرك وتكرار هذه البراءة لإفهام الخصم، في قوله تعالى: ﴿...بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(78)﴾، وقوله: ﴿...حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(79)﴾.

خامساً: الاستدلال بالقصص المفصلية التاريخية المهمة في قضية التوحيد: بالتمثيل الحي للشخص القدوة، وأهمية قصة إبراهيم عليه السلام في إثبات التوحيد وإبطال شبهات الشرك في أنها[2]:

- احتجاج على المشركين بمن يفتخرون بالانتساب إليه أن أباهم إبراهيم عليه السلام لم يكن مشركاً: بل كان يستنكر عبادة الأصنام، والعرب كانت تعتز وتفتخر بالانتساب إليه عليه السلام، والاحتجاج لم يقتصر على المشركين، بل شمل أهل الكتاب من اليهود والنصارى والذين يزعمون

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص321.

[2] يُنظر: أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2559.

أنهم على ملته[1]، ويشير الرازي إلى هذه الحجة في قوله: "ولما كان العرب معترفين بفضله لا جرم جعل الله تعالى مناظرته مع قومه حجة على مشركي العرب"[2].

- احتجاج على المشركين بأن الدعوة واحدة: دعوة محمد ﷺ ودعوة إبراهيم عليه السلام، وهي الإقلاع عن الشرك.

10. **غزارة المعاني القرآنية في الجمع بين الأدلة المختلفة والرد على الشبهات المتعددة والطوائف المتنوعة بإيجاز ووضوح:** منها:

أ. **الاستدلال بالدليل الواحد على أكثر من قضية:** مثال ذلك: الجمع بين تقرير التوحيد وإثبات البعث:جمعت الآيات بين الاستدلال بدلائل الربوبية في الخلق والملك، على إثبات التوحيد، والاستدلال بها على البعث، في الآيات (72– 73).

ب. **الجمع بين الاستدلال بمصادر المعرفة الثلاثة:** استدل بالحس في احتجاج إبراهيم عليه السلام بأفول الكواكب على بطلان ألوهيتها، "وإنما تريث إلى أفول القمر فاستدل به على انتفاء إلهيته، ولم ينفها عنه بمجرد رؤيته بازغا، مع أن أفوله محقق بحسب المعتاد، لأنه أراد أن يقيم الاستدلال على أساس المشاهدة على ما هو المعروف في العقول لأن المشاهدة أقوى"[3]، والاستدلال بالعقل كما سبق تفصيله منها: بطلان عقيدة الشرك بدليل كثرة الآلهة التي يعبدونها، وبدليل عدم اتصاف معبوداتهم بصفات لازمة من صفات الربوبية، بل اتصافها بصفات النقص، وبدليل إثبات صفات الكمال لله تعالى، والاستدلال بالخبر الصادق من الله تعالى بأمره بالتوحيد في قوله تعالى: ﴿...قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(71)﴾.

---

[1] رد الله تعالى عليهم زعمهم، في قوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(آل عمران:67).

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج13، ص30.

[3] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص322.

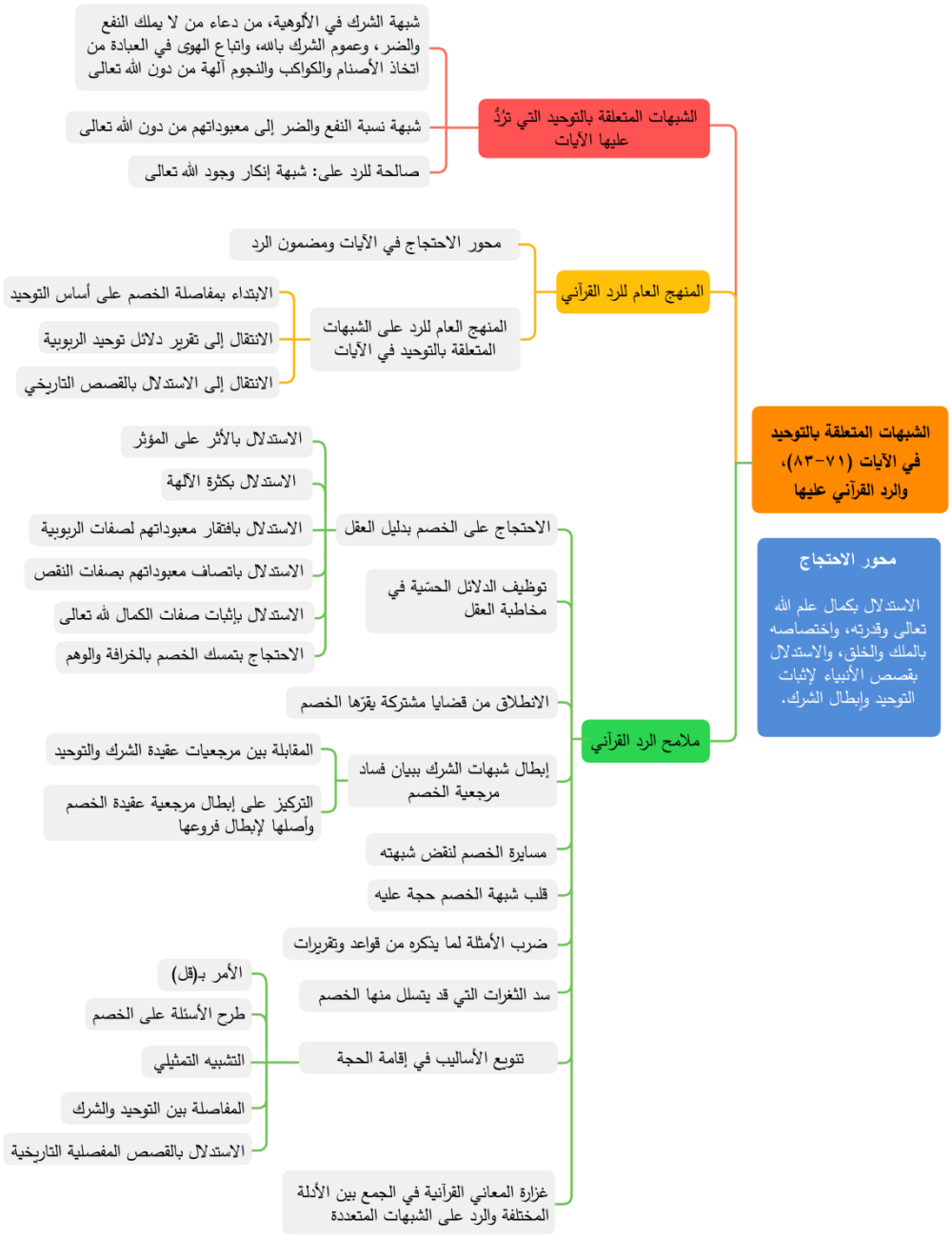

الشكل رقم 5 خلاصة ما تناوله المبحث الأول من الفصل الثاني.

المبحث الثاني: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (95- 103) والرد القرآني عليها

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (98) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99) وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (100) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (103)﴾.

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات

1. شبهة الشرك في الألوهية:[1] منها إشراك الجن مع الله تعالى[2]، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ...(100)﴾، ومنها شبهة نسبة البنين والبنات إلى الله تعالى في قوله: ﴿...وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ...(100)﴾.

---

[1] سبق الحديث في التمهيد عن أنواع التوحيد والانحرافات التي وقعت فيه فليراجع.

[2] من ذلك أن بعض العرب من قريش وغيرها، كانوا في الجاهلية إذا سافروا فنزلوا بطن وادٍ استعاذوا بعزيز الوادي من الجن من شر ما فيه، وقيل أن بني مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن، يُنظر: ابن إسحاق: محمد بن إسحاق، **السيرة النبوية**، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1978م)، ص112؛ وابن السائب الكلبي: هشام بن محمد، **كتاب الأصنام**، تحقيق: أحمد باشا، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط4، 2000م)، ص34؛ وعبد الرزاق الصنعاني: عبد الرزاق بن همام، **تفسير عبد الرزاق**، تحقيق: محمود عبده، (بيروت: دار

2. تعالج الآيات بشكل غير مباشر شبهات أخرى، منها:[1] شبهة الشرك في الربوبية، في نسبة الخلق والعلم إلى غير الله تعالى، وجاء التعرض لذلك في قوله: ﴿... ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(95)﴾، وقوله: ﴿...خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ...(102)﴾، والمبالغة في الأدلة الحسّية: منها شبهة إنكار وجود الله تعالى، بحجة عدم رؤيته[2].

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني

الفرع الأول: محور الاحتجاج في الآيات ومضمون الرد على الشبهات الواردة فيها

محور الاحتجاج: الاحتجاج بدلائل ربوبية الله تعالى في اختصاصه بالخلق والتدبير واختصاصه بكمال العلم، وإبطال ألوهية ما سواه بدليل أنه خلقهم.

مضمون الرد على الشبهات الواردة فيها: والشبهات هي:

1. شبهة الشرك في الألوهية، منها إشراك الجن مع الله تعالى، وشبهة نسبة البنين والبنات إليه، ومعالجتها كانت من خلال: إثبات توحيد الله تعالى بالاستدلال باختصاصه بالقدرة على الخلق، احتجاجاً على انتفاء الألوهية عمن يعجز عن القدرة على الخلق، والاحتجاج بكمال علم الله تعالى وقدرته.
2. شبهة الشرك في الربوبية، في نسبة الخلق والعلم إلى غير الله تعالى، ومعالجتها كانت من خلال: إثبات اختصاص الله تعالى بالقدرة على الخلق، ومواجهة الخصم بمظاهر مختلفة لذلك، منها: إخراج الحي من الميت والميت من الحي.

الكتب العلمية، ط1، 1998م)، ج3، ص351؛ والطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج23، ص654؛ وعلي: جواد، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، (د.م: دار الساقي، ط4، 2001م)، ج12، ص286.

[1] سبق الحديث عن صلاحية أدلة التوحيد في مواجهة إنكار الربوبية وإنكار وجود الله في التمهيد.

[2] الموصل لمرحلة الإلحاد– بمعنى إنكار وجود الله– هو شذوذ نادر في الفطرة المنحرفة، يحصر الإنسان في عالم الحس، فلا يؤمن بغيره، حتى يؤله المحسوس، وينفي وجود إله بحجة عدم رؤيته للإله، يُنظر: قطب، **ركائز الإيمان**، ص142.

3. المبالغة في الأدلة الحسّية، منها شبهة إنكار وجود الله تعالى، بحجة عدم رؤيته، ومعالجتها كانت من خلال: إثبات وجوده بدلائل الربوبية من خلق وتدبير، ونفي قدرة الأبصار على إدراكه، وإثبات إدراك الله تعالى للأبصار[1].

الفرع الثاني: المنهج العام للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات

تمحور المنهج العام للرد على الشبهات في الآيات حول ثلاثة محاور، وهي:

أولاً: تقديم دلائل الربوبية: هي:

أ. أدلة الربوبية في الكون: الأدلة الأرضية: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ...(95)﴾، الأدلة السماوية: في قوله تعالى:﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (96) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (97)﴾،

ب. أدلة الربوبية في ذات الإنسان: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ...(98)﴾.

ثانياً: عرض شبهة الخصم: في قوله تعالى: ﴿...وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ...(100)﴾.

ثالثاً: نقض شبهة الخصم: من خلال:

- بيان فساد الشبهة بفساد الأساس الذي بُنيت عليه، في قوله تعالى: ﴿...بِغَيْرِ عِلْمٍ...(100)﴾.

---

[1] أما رؤية الله تعالى في الآخرة فثابتة بنصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)﴾(القيامة)، يقول الزجاج عن الآية: "نضرت بنعيم الجنة والنظر إلى ربها"، الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج5، ص253، وللتفصيل حول إثبات الرؤية يرجع إلى شرح النووي على مسلم لحديث الرؤية، يُنظر: النووي: يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1972م)، ج3، ص15؛ وابن أبي العز، **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**، ج1، ص249.

- الاستدلال بتوحيد الربوبية في اختصاصه بخلق السماوات والأرض، في قوله تعالى: ﴿...بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...(101)﴾.
- الاستدلال بالعقل في تنزيه الله تعالى عن الولد بانتفاء الصاحبة أو الزوجة، في قوله تعالى: ﴿...أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ...(101)﴾.
- الاستدلال باختصاصه بخلق كل شيء والعلم بكل شيء، واختصاصه بالألوهية في قوله تعالى: ﴿...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (101) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (102)﴾.
- تنزيه الله تعالى أن تحيط به الأبصار، وتقرير إحاطته بها، في قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(103)﴾.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني

ظهرت في الآيات ملامح الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد، منها:

1. **نقض شبهات الخصم بالاحتجاج عليه بدليل العقل:** من خلال:

أ. **الاستدلال بالأثر على المؤثر:**[1] من ذلك: الاستدلال بآثار الله تعالى في الكون للاحتجاج على وحدانيته، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ...(99)﴾، وهنا كان الاستدلال باختصاص الله تعالى بإخراج هذا التنوع في النبات الذي ينتج منه تنوع بديع في الثمار، مع وحدة المؤثرات الخارجية– من ماء وتربة وعوامل جوية– دليل أن وراء هذا التنوع صانعاً حكيماً متقناً مختاراً، وهذا يوجب على البشر الإيمان به وتخصيصه بالعبادة دون غيره مما لا يخلق شيئاً؛ لذلك ختمت الآية بالربط بين النظر إلى تلك الثمار وبين الإيمان: ﴿...إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

---

[1] سبق بيان المقصود به في المبحث الأول من الفصل الثاني.

ب. **الاستدلال بانتظام الكون على وجود الله ووحدانيته**[1]: إن ما نألفه حولنا من نظام وترتيب، وأسباب مرتبة على مسببات، كلها تدل أن هناك من أحكم وأتقن نظام هذا الكون، فما نراه من فلق الصبح كل يوم، مقابل جعل الليل مستراحاً وسكناً بعد العناء، وما نعرفه ونشاهده من تعاقب الشمس والقمر وتصميم هذا التعاقب بحساب دقيق يعتمد عليه البشر في معاشهم وكسبهم وحرثهم، ونثر النجوم في السماء بطريقة هندسية مصممة بتفاصيل متناهية ترشد الناس في ظلمات البر والبحر، إلى آخر ما أشارت إليه الآيات (95– 99) من دلائل تثبت إحكام هذا الكون وانتظامه، وهي تدمغ أي شك– ولو للحظة– في وجود الله تعالى، وهي أدلة ناصعة على وحدانيته؛ فلو كان هناك آلهة أخرى لظهر الفساد ولعلا بعضهم على بعض، وإن الكون "...بإجماع المؤمنين والملاحدة منظم، يسير في سكك القوانين؛ بما يجعل مادة الكون تبدو على شكل خطوط متآلفة الأفراد وحركات يغلب عليها التناسق؛ حتى أطلق الفيلسوف وعالم الرياضيات اليوناني (فيثاغوس) على الكون اسم (كوسموس) بمعنى: شيء منظم"[2].

ج. **الاستدلال بالأضداد على وحدانية الله تعالى:** في قوله: ﴿... فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ...(95)﴾، إنّ خلق الشيء من ضده دليل على وجود الله تعالى وقدرته التي تثبت وحدانيته، فإخراج الضد من الضد لا يمكن أن يكون أمراً طبعياً لأن الطبعي لا يسير إلا على طريقة واحدة، أما وقد وجد الضدّين فذلك دلالة على وجود فاعل حكيم مختار، ونفي لتصرف الطبيعة بالخلق أو القول بالصدفة، وهذه القدرة التي تذهل العقول وتبهرها، هي قلب حقائق الموجودات: "...فيحيل الأول ويُفنيه ويُلاشيه، ويُحدث شيئاً آخر ... ويُخرج الشجرة الحية،

---

[1] يقول عالم فيزياء بريطاني مشهور، وأستاذ جامعي في جامعة ولاية أريزونا "بول ديفيز" وكان ملحداً ثم تراجع وصار يوفق بين العلم والإيمان: "إن انتظام الكون يبدو أمراً بدهياً واضحاً، أينما نظرنا، من المجرات البعيدة إلى أعمق فراغات الذرة، نواجه الانتظام والتنظيم الدقيق. لا نرى المادة أو الطاقة موزعة بطريقة عشوائية، بل هي على خلاف ذلك مرتبة بصورة هرمية: ذرات وجزيئات، وبلورات، وكائنات حية، وأنظمة كوكبية، ومجموعات نجمية، وهكذا. أضف إلى ذلك، أن سلوك الأنظمة المادية ليس عشوائيا، وإنما هو قانوني ومنهجي، ولطالما اندهش العلماء وتعجبوا من جمال وأناقة الطبيعة"،(Davies, **God and the New Physics**, 145).

[2] عامري، **براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم**، ص353.

والسنبلة الحية، من النواة والحبة الميتة، ويخرج النواة الميتة، والحبة الميتة، من الشجرة والسنبلة الحية؛ كما يخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة، والنطفة الميتة من الإنسان الحي ... ولا ريب أنّ النخلة ما هي من جنس النواة، ولا السنبلة من جنس الحبّة ولا الإنسان من جنس المني، ولا المني من جنس الإنسان، وهو يخرج هذا من هذا، وهذا من هذا؛ فيخرج كلّ جنسٍ من جنسٍ آخر بعيدٍ عن مماثلته ... يخلق الضدّ من ضدّه ... وخلقُ الشيءِ من غير جنسه أبلغ في قدرة القادر الخالق سبحانه وتعالى". [1]

د. **إبطال شبهة الخصم بانتفاء لازمها:** أبطلت الآيات شبهة نسبة الولد إلى الله تعالى، بدليل انتفاء اللازم للتولد وهو وجود الصاحبة، فإن التولد لا يكون إلا من أصلين، فلما انتفى لازم التولد وهو الصاحبة، انتفى الولد، في قوله تعالى: ﴿...أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(101)﴾.[2]

2. **تقديم الأصول على الفروع:** من ذلك:

- **الابتداء بتقرير توحيد الربوبية قبل إثبات توحيد الألوهية:** بدأت الآيات (95- 99) في الحديث عن دلائل خلق الله وكمال قدرته لتقرير توحيد الربوبية، ثم انتقلت إلى الحديث عن توحيد الألوهية في الآيات (100- 103).
- **تقديم الأهم على المهم:** مثل التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ...(100)﴾، فالترتيب الإعرابي (وجعلوا الجن شركاء لله)، ولكنه قدم جعلهم لله شركاء استعظاماً لأن يتخذ لله شريكاً أياً كان، فمحل الإنكار هو أن يكون لله شريك وليس نوع الشريك، ويوضح ذلك عبد القاهر الجرجاني في قوله: "...جملة المعنى ومحصوله أنَّهم جعلوا الجنَّ شركاءَ وعبدوهُمْ مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يَحصُلَ مع التأخيرِ حصولَه مع

---

[1] ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **النبوات**، تحقيق: عبد العزيز الطويان، (الرياض: أضواء السلف،ط1، 2000م)، ج1، ص322- 324؛ ويُنظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص388.

[2] يُنظر: ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، ج7، ص369؛ وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**،ج3، ص169.

التقديمِ، فإنَّ تقديمَ "الشركاءِ" يفيدُ هذا المعنى، ويفيدُ معه معنى آخر، وهو أنه ما كانَ يَنبغي أن يكونَ لله شريكٌ، لا من الجن ولا غير الجن ... وإذا أخر فقيل: "جعلوا الجن شركاء الله"، لم يُفِدْ ذلكَ، ولم يكنْ فيه شيءٌ أكثرُ من الإخبارِ عنهم بأنهم عبَدوا الجنَّ مع اللهِ تعالى، فأما إنكارُ أنْ يُعْبَد مَعَ الله غيرُه، وأنْ يكونَ له شريكٌ مِنَ الجنِّ وغيرِ الجنِّ، فلا يكونُ في اللفظِ مع تأخيرِ "الشركاءِ" دليلٌ عليه..."[1].

3. **الابتداء بإثبات التوحيد بطريق غير مباشر:** بدأت الآيات بطريق غير مباشر من خلال تقرير دلائل توحيد الربوبية، في الآيات (95– 99)، للوصول إلى الطريق المباشر لإثبات التوحيد بتقرير توحيد الألوهية، في الآيات (100– 103)، ويعبر عن هذا التدرج القشيري بقوله: "تعرّف إليهم بآياته، ثم تعرّف إليهم بصفاته، ثم كاشفهم بحقائق ذاته"[2].

4. **الابتداء بالدلائل الحسّية المشاهدة في مخاطبة العقل بعيداً عن الطرق الفلسفية والكلامية لتقرير التوحيد:** كان الاحتجاج بما يشاهده الخصم من آثار الله تعالى من حوله في أسلوب التقرير بعيداً عن الفلسفات الكلامية، لمواجهة فطرة الخصم بدليل الخلق والإحياء، وحركة التدبير والتصريف، الخارجة عن قدرة الإنسان والتي يختص به الخالق، والذي يَلزم انتفاؤها عما سواه، والأدلة هي:

أولاً: دلائل الوجود الكوني: بدأت الآيات بثلاثة أدلة أرضية مشاهدة: فلق الحب، وإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي في الآية (95)، ثم استدلت الآيات بأربعة أدلة سماوية مشاهدة: وهي فلق الإصباح[3]، وجعل الليل سكناً، والشمس والقمر حسباناً، وجعل النجوم للاهتداء بها في ظلمات البر والبحر، في الآيات (96– 97).

---

[1] الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود شاكر، (القاهرة، مطبعة المدني بالقاهرة، ط3، 1992م)، ج1، ص286– 288؛ ويُنظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج2، ص52.

[2] القشيري، **لطائف الإشارات**، ج1، ص493.

[3] تشير الآية إلى حقيقة كونية أن الله سبحانه قدر أن الأرض تدور حول محورها أمام الشمس، وبذلك فإن الله تعالى "...يفصل بالتدريج الأرض عن ليل السماء بطبقة نور النهار الرقيقة التي لا يتعدى سمكها مائتى كيلومتر بالنسبة إلى المسافة بين الأرض والشمس المقدرة بنحو 150 مليون كيلومتر، وبذلك فهو يغلق سبحانه

ثانياً: دلائل الوجود الإنساني: في الاستدلال بخلق الله تعالى لذات الإنسان من نفس واحدة، وتكاثر البشر وتضاعفهم من تلك النفس، لتقرير أن الذي أنشأهم وخلقهم من هذه النفس الواحدة، هو المستحق لعبادتهم، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...(98)﴾.

ثالثاً: دلائل الوجود الكوني في تسخيره الوجود الإنساني: في الاستدلال بإنزال المطر من السماء، لإخراج هذه الثمار من الأرض، وذلك لينتفع بها الإنسان، في الآية (99)، وينبه الله تعالى على تأثير النظر العقلي في هذه الأدلة المشاهدة على الإيمان، في قوله: ﴿...انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(99)﴾، "فأمر سبحانه بالنظر إليه وقت خروجه وإثماره ووقت نضجه وإدراكه ... لأن في خروجه من بين الحطب والورق آية باهرة وقدرة بالغة، ثم في خروجه من حد العفوصة واليبوسة والمرارة والحموضة، إلى ذلك اللون المشرق الناصع، والطعم الحلو اللذيذ الشهي، لآيات لقوم يؤمنون..."[1]، أحدثها تدبير حكيم عليم قادر.

هاتين الظلمتين المتداخلتين بالتدريج فيحل النهار محل ظلمة الأرض، ويبقى ظلمة السماء؛ ولذلك وصف ذاته العلية بأنه فالق الإصباح أي الصبح، ولا يقوى على ذلك أحد غيره..." وإن اليوم يتحدد (بليله ونهاره) عن طريق دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، ويتحدد الشهر القمري بواسطة دورة القمر الشهرية حول الأرض، ويتحدد الشهر الشمسي عن طريق بروج السماء، وإن حركات كل من الأرض والقمر والشمس أصبحت اليوم معلومة لنا بدقة كبيرة، لدرجة أن الساعات الزمنية تضبط اليوم على حركاتها: وهذا كله ينبأ عن حساب محكم دقيق مسخر للإنسان يعينه على "...إدراك الزمن وحسابه والتأريخ للأحداث، وأداء العبادات، والحقوق، ولولا ذلك لتعذرت الحياة على الأرض"، النجار: زغلول، **تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**،(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2007م)، ج1، ص231- 235.

[1] ابن القيم: محمد بن أبي بكر، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج1، ص206.

5. **الانطلاق من قضايا مشتركة يقرّها الخصم:** مثال ذلك: بعدما عرضت الآيات دلائل ربوبية الله تعالى التي يقرّ بها الخصم، والمحيطة بالإنسان من كل صوب، انتقلت لعرض شبهة الخصم وشركه، فإذا بشذوذها ومخالفتها ظاهر بيّن.

من الأمثلة على القضايا المشتركة التي انطلقت منها الآيات:

- إقرارهم أن الله تعالى هو خالق النبات، ولكنهم لا يثبتون ما يقتضيه ذلك الإقرار من توحيد لله تعالى، في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى...(95)﴾، استدلالاً بظاهرة الخلق عموماً في إخراج الحي من الميت والعكس، فكما أن الله تعالى هو الخالق، فذلك يقتضي منهم أن يفردوه بالعبادة دون غيره.
- إقرارهم أن خالق الإنسان هو الله تعالى، ولكنهم لا يثبتون ما يقتضيه ذلك الإقرار من توحيد لله تعالى، في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...(98)﴾، فكما أن الله تعالى تفرد بخلقهم من نفس واحدة دون شريك، فإن ذلك يستوجب منهم أن يفردوه بالعبادة.

6. **الاستدلال على الخصم بأدلة الإنعام:** جمعت دلائل الربوبية بين كونها أدلة على توحيد الله، وبين كونها نعماً بالغة يمتن الله تعالى بها على عباده، "...والكلام إذا كان دليلاً من بعض الوجوه، وكان إنعاماً وإحساناً من سائر الوجوه، كان تأثيره في القلب عظيما، وعند هذا يظهر أن المشتغل بدعوة الخلق إلى طريق الحق لا ينبغي أن يعدل عن هذه الطريقة"[1].

7. **التلازم بين القدرة على الخلق وبين إثبات التوحيد:** يواجه السياق القرآني الخصم بحقيقة الخلق، وأن المخلوق لا يمكن أن يتساوى مع الخالق أو يشاركه في ملكه، وأن المستحق للعبادة والخضوع والطاعة وحده هو خالق كل شيء، وأن تفرد الله تعالى بالخلق يفرده بالملك، ويفرده بالرزق، ولما كان هو خالق المخلوقات ومالكهم ورازقهم، فإن ذلك يقرر تفرده بالربوبية وحده، فيكون هو المستحق للعبودية وحده،

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج13، ص82، 83.

"...هذه هي القاعدة التي يقيم عليها السياق القرآني هنا وجوب عبادة الله وحده، ووجوب ربوبيته وحده"[1]، من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ(102)﴾، ودلالة مجيء الأمر بالعبادة بعد ذكر خلق الله تعالى لكل شيء، أن كونه خالقاً لكل شيء يوجب عليهم أن يفردوه بالعبودية، ومجيء فاء التعقيب في (فاعبدوه) مشعر بالسببية، "...فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم، وعبادةُ جميع من في السموات والأرض، إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها، فإنه خالق كل شيء وبارئه وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة"[2].
- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ...(100)﴾، فنقض شبهة الشرك بالله في عبادة الجن بالاستدلال بكون الله تعالى خالقاً لهم، فهو مالكهم وهم عبيده، وهذا يبطل نسبة الألوهية إليهم.
- قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ...(101)﴾، تقديم قضية الخلق والتعقيب بها في سياق إبطال شبهة نسبة الولد إلى الله تعالى ثم تكرر الاستدلال بقضية الخلق مرة أخرى، في قوله: ﴿...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ...(101)﴾.

8. **ضرب الأمثلة لما يذكره من قواعد وتقريرات:** جاء في الآيات التمثيل والتفصيل لما أجمل في مقدمة السورة، فلما جاء في مقدمة السورة الاحتجاج بأعظم وأكبر ما يُرى في الكون، في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...(1)﴾، مثل هنا للدلائل الموجودة فيها، وهي:

أ. الدلائل في الأرض: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ...(95)﴾، فابتدأ بأصغر ما يُرى بالعين المجردة من مصادر الحياة النباتية، وهي الحب

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص1161- 1163.

[2] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج12، ص12- 13؛ ويُنظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج13، ص96.

والنوى، استدلالاً بإخراج النبات الحي النامي، من ذلك البذر ذو المظهر الميت،[1] وتضمنت الآية الاستدلال بعموم إخراج الحي من الميت والعكس، ليشمل الاحتجاج جميع المخلوقات الحية، للاستدلال على أن الخالق لذلك هو المستحق لأن تصرف إليه العبادة وحده دون غيره مما لا يخلق.

ب. الدلائل في السماء: في الآيات (96– 97)، استدلالاً بخلق الله تعالى للظواهر الكونية المختلفة، وبأن المدبر لهذا النظام بدقائقه المتناهية، هو الخالق له، وهو المستحق للعبادة دون غيره.

9. **قلب شبهة الخصم حجة عليه:** مثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ...(100)﴾ قلب شبهة الخصم في شركه بالجن حجة عليه، في نفس الآية بقوله: ﴿...وَخَلَقَهُمْ...﴾، في أن الجن مخلوقات لله تعالى، والخالق هو المستحق أن يعبد دون المخلوق، ومثال آخر: لما نسبوا لله تعالى الولد، في قوله تعالى: ﴿... أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ...(101)﴾، أبطل الشبهة بانتفاء الصاحبة التي منها يكون الولد،﴿...وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ...(101)﴾، ثم قلب شبهتهم عليهم بقوله: ﴿...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ...(101)﴾، فكان الاحتجاج بخلقه لما زعموا دليلاً على استحقاقه للعبادة دون من سواه من المخلوقين،"...فما خرقتم له من الولد مخلوق له لا مولود منه، فإن خرجتم عن وضع اللغات وسميتم صدور المخلوقات عنه ولادة فكل ما في السماوات والأرض يكون من ولده، وحينئذ يفوتكم ما أردتم من تخصيص بعض المخلوقات بهذه المرتبة تفضيلا لها على غيرها، ولا يقول أحد منهم بهذا"[2].

---

[1] إن عملية الفلق هي عملية تحتوي تفاصيل كثيرة معقدة متداخلة يستحيل أن تتم إلا بتوجيه وهداية إلهية، ومن ضمن ما تشمله عملية الفلق أو الإنبات للبذرة: امتصاص البذرة للماء، وانتفاخها بسبب الامتلاء التدريجي حتى تبدأ القصرة (غلاف البذرة) في التمزق، ليصل الماء بالقدر الكافي إلى ما يسمى بالجنين داخل البذرة، فيبدأ الجنين بإفراز عدد من الأنزيمات لتفتيت وتحليل المواد الغذائية المختزنة حوله في داخل البذرة، ثم شق التربة بسبب انتفاخ البذور نتيجة لامتصاصها كميات مناسبة من الماء، لأن ذلك يولد قوة هائلة تعرف باسم قوة الإنبات لا يكاد العقل البشري يتصور قدرها، لدرجة أننا إذا ملأنا زجاجة بالبذور الجافة، وأضفنا إليها قدراً مناسباً من الماء، وأحكمنا غلق الزجاجة فإن القوة الناتجة عن إنبات البذور وتضخم حجمها بامتصاص الماء تصبح كافية لتفجير الزجاجة مهما يكن سمك جدارها! يُنظر: النجار، **تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**، ج1، ص226– 229.

[2] رضا، **تفسير المنار**، ج7، ص542.

10. **تنويع الأساليب في إقامة الحجة على الخصم:** من الأساليب المستعملة: المشاهد التصويرية، طرح الأسئلة على الخصم، المفاصلة بين التوحيد والشرك.

أولاً: توظيف المشاهد التصويرية للاحتجاج على الخصم: واجه السياق القرآني الخصم بمشاهد لمخلوقات خلقها الله تعالى وسخرها للإنسان، للاحتجاج عليه بأن خالق هذه المخلوقات هو المالك لها، وهو الملك وسواه من المخلوقات عبيد له، فهو المستحق لعبادتهم دون سواه، ومن تلك المشاهد:

أ. مشاهد الفلق: للحب والنوى بإخراج النبات منه، وفلق الإصباح من ظلمة الليل البهيم.

ب. مشهد النجوم: واهتداؤهم بها في الظلمات، ولم تكن العرب تنكر أن الله تعالى خلقها، ولكنهم لو يفردوا خالقها وخالقهم بالعبادة؛ لذلك جاءت الآية ببيان اختصاص الله تعالى بخلقها: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...(97)﴾.

ج. مشهد إنزال المطر: في إخراج النبات متعدد الأشكال والطعم، ومختلف النفع والفوائد، يتمتع بثماره الإنسان: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ...(99)﴾.

ثانياً: توظيف أسلوب طرح الأسئلة على الخصم لإقامة الحجة عليه: السؤال الأول: في قوله تعالى: ﴿...فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(95)﴾ وهو استفهام إنكاري، أي كيف تصدون وتصرفون عن الحق في جعلكم لمن أنعم عليكم بفلق الحب والنوى، فأخرج لكم ثماراً وزروعاً تنتفعون بها، شريكاً في عبادته لا يملك لكم نفعاً ولا ضرًّاً، والسؤال الثاني: في قوله تعالى: ﴿...أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ...(101)﴾ أي من أين أو كيف يكون له ولد، استفهام في معنى التوقيف والتقرير، لتقريرهم باستحالة ذلك لانعدام الأسباب المؤدية إليه، وهي انعدام الصاحبة[1].

ثالثاً: المفاصلة بين التوحيد والشرك: يختلف موقف المفاصلة في هذه الآيات عما سبقه، فلم يأتِ الأمر بـ(قل) كما جاء في الآيات السابقة، ولكن جاء صريحاً من الله تعالى، ينزه فيها نفسه العلية عن الشرك، ومن ملامح موقف الإشهاد والمفاصلة في الآيات السابقة ما يأتي:

---

[1] يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج11، ص554؛ وابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص329؛ والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج7، ص44.

أ. **التدرج مع الخصم أو صاحب الشبهة للوصول إلى المفاصلة بين التوحيد والشرك:** بالتمهيد بتقديم دلائل الربوبية، التي فيها إثبات التوحد وإبطال الشرك بطريق غير مباشر في الآيات (95– 99).

ب. **تدرج الموقف نفسه:** من خلال:

- الابتداء بالإنكار على شركهم عموماً، وشركهم بالجن خصوصاً: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ...(100)﴾.
- الانتقال إلى نفي الشريك عن الله تعالى بتنزيهه عن البنين والبنات: ﴿...وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ(100)﴾.
- إثبات صفات الكمال الإلهي له تعالى: ﴿...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(101)﴾.
- الوصول لإثبات توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والتعقيب بالأمر بتوحيده في العبادة، ونفي قدرة الأبصار على إدراكه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ...(102)﴾ ويشير الرازي إلى التدرج في الوصول لهذه النتيجة في قوله: "اعلم أنه تعالى لما أقام الحجة على وجود الإله القادر المختار الحكيم الرحيم، وبين فساد قول من ذهب إلى الإشراك بالله، ... فعند هذا ثبت أن إله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والضد والند، ومنزه عن الأولاد والبنين والبنات، فعند هذا صرح بالنتيجة فقال: ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل ما سواه فاعبدوه ولا تعبدوا غيره أحدا ... ومن تأمل في هذا النظم والترتيب في تقرير الدعوة إلى التوحيد والتنزيه، وإظهار فساد الشرك، علم أنه لا طريق أوضح منه ولا أصلح منه"[1].

11. **غزارة المعاني القرآنية في الجمع بين الأدلة المختلفة والرد على الشبهات المتعددة والطوائف المتنوعة بإيجاز ووضوح:** منها:

أ. **الاستدلال بالدليل الواحد على أكثر من قضية في آية واحدة:** مثال ذلك: الجمع بين تقرير التوحيد وإثبات البعث: في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**،ج13، ص94.

مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ(95)﴾، فاستدل على وحدانية الله تعالى باختصاصه بخلق النبات من الحب والنوى الميت في الظاهر، وبنفس الدليل أثبت البعث بالاستدلال بإخراج الحي من الميت، وافتتاح الجملة ب(إن) التي تفيد التوكيد، مع أن الخصم لا ينكر أن الله تعالى خالق النبات، لأن "...دلالة الزرع على قدرة الخالق على الإحياء بعد الموت كما قدر على إماتة الحي، لما كان نظراً دقيقاً قد انصرف عنه المشركون فاجترؤوا على إنكار البعث، كان حالهم كحال من أنكر أو شك في أن الله فالق الحب والنوى، فأكد الخبر بحرف (إن)"[1].

ب. **الاستدلال بأكثر من دليل على القضية الواحدة:** مثال ذلك:

- **الجمع بين أدلة كمال الإله:** في الجمع بين كمال القدرة وكمال العلم؛ مثال ذلك: قدرته في خلق الشمس والقمر، بخصائصهما وصفاتهما المختلفة، أحدهما يشع نوراً والآخر يعكس نوره، كلاهما يسيران على نظام ثابت متقن لا يزيغون عنه، بتقدير من عليم خبير، جعلهما حساباً للناس يستعينون بهما على حساب الشهور والأيام والأوقات، وتحديد المواسم المختلفة لما يرومون من عبادات وحاجات.
- **الجمع بين الأدلة العقلية على وجود الله تعالى:** وهي:

- دليل الخلق والإيجاد: من إخراج الحي من الميت، وفلق الحب والنوى، وفلق الإصباح، وخلق الإنسان من نفس واحدة، في الآيات (95- 99)، وخلق السماوات والأرض، واختصاصه بأنه خالق كل شيء، في الآيات (101- 102).
- دليل الإحكام والإتقان: في إحكام الظواهر الطبيعية وتسييرها على نظام دقيق، وحساب محكم، منها اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، والشمس والقمر وتأثيرهما على الكون، في قوله: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(96)﴾، ومنه الإتقان والإحكام في تفاصيل خلق النبات، كما جاء في قوله

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص387.

تعالى:﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ...(99)﴾.

- دليل العناية:[1] في تسخير الكون للإنسان، من أجرام سماوية يهتدي بها في الظلمات، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...(97)﴾، ومن ظواهر طبيعية ضرورية لحياته؛ من إنزال المطر وإخراج النبات للإنسان، والعناية به في تنويع ذلك النبات وتعدده ليلبي حاجات الإنسان المختلفة، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ...(99)﴾.

ج. **الجمع بين الاستدلال بمصادر المعرفة الثلاثة:** كان الاستدلال بالحس في تقرير دلائل الربوبية، التي يراها الإنسان بعينه مثل الاستدلال بإخراج الحي من الميت و الميت من الحي في الآية (95)، وفي فلق الإصباح في الآية (96)، وفي جعل النجوم ليهتدي بها الإنسان في الآية (97)، وكان الاستدلال بالعقل في نقض شبهات الخصم، في نقض نسبة الولد إلى الله تعالى بانتقاء الصاحبة، وكان الاستدلال بالخبر في تقرير القرآن لتوحيد الألوهية في الآية (102).

---

[1] إن آيات القرآن تدعو إلى النظر في طبيعة الكون وما فيه من ظواهر، التي ترشدنا إلى أن وجود كثير من الأشياء والكائنات كأنما قصد به الإنسان؛ لما في هذه الكائنات أو الأشياء من تلاءم مع حياته، ولا يمكن أن تكون هذه الملاءمة وليدة الصدفة، وقد أثبت العلم الحديث أن هذا الخلق المحكم الذي يحقق غايات محددة لا يمكن أ ن يصدر إلا عن علم وتدبير وحكمة، وهذا دليل العناية، وأما دليل الخلق: يتجلى في أن وجود الحيوان والنبات دليل محسوس على الاختراع، وكذلك أجزاء الكون وحركات الأجرام فهي مخترعة لأنها مسخرة لغايات معينة، وكل شيء مسخر لا بد أن يكون مخلوقات، فإذا ثبت حدوث هذه الأشياء كان دليلاً على وجود الخالق، وهذا ما ترشدنا إليه الآيات الكثيرة التي تدعو إلى الإيمان بالله تعالى عن طريق معرفة مخلوقاته، يُنظر: ابن رشد:، **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، ص25- 27.

الشكل رقم 6 خلاصة ما تناوله المبحث الثاني من الفصل الثاني.

المبحث الثالث: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (136- 153) والرد القرآني عليها

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (136) وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (137) وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (138) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (139) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (140) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141) وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (142) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (144) قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (145) وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (146) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (147) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا

فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (150) قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(153)﴾.

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تَرُدُّ عليها الآيات

1. شبهة الشرك في الألوهية:[1] بالتوجه إلى غير الله تعالى للاحتكام والتشريع،[2] وتحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ ونسبة ذلك إلى الله تعالى، وتولت الآيات الرد على نماذج من تلك التشريعات الباطلة، وهي:

أ. تشريعات في نتائج أموالهم: بتقسيم الحرث والأنعام بين الله تعالى وبين شركائهم، في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ...(136)﴾، وبالتحريم والتحليل

---

[1] سبق الحديث في التمهيد عن أنواع التوحيد والانحرافات التي وقعت فيه فليراجع.

[2] من ذلك اتخاذ النصارى الأحبار والرهبان آلهة من دون الله بطاعتهم في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم، كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قرأ:﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾(التوبة:31)، فقال له عدي بن حاتم، وكان نصرانياً قبل الإسلام: إنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»، أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير**، ج17، ص92، رقم (218)؛ وحكم عليه ابن تيمية في **مجموع الفتاوى**، ج7، ص67، وقال: حديث حسن، ويناقش محمد قطب تغلغل هذه القضية في الواقع المعاصر، وكيف أن كثيراً من المسلمين وقعوا في هذا الشرك من غير استشعار لخطورته، ومن هؤلاء: من رضى بشريعة غير شريعة الله تعالى، ومن رفع راية للتجمع أو الجهاد غير راية الإسلام، ومن ينادي بالقومية أو الوطنية ذريعة لإقامة وطن لا تحكم فيه شريعة الله تعالى، فهو يتخذ القومية والوطنية ربَّاً يعبده من دون الله، ومن ينادي بخروج المرأة سافرة متبرجة مخالطة للرجال باسم التقدم والرقي، فهو يتخذ التقدم والرقي أرباباً معبودة من دون الله تعالى، لأنه يحل باسمها ما حرم الله، ويطيعها من دون الله، وقس على ذلك ما شئت من مظاهر استفحلت في المجتمعات الإسلامية اليوم ولا يدرك الناس خطورتها، يُنظر: قطب، **ركائز الإيمان**، ص128– 129.

وفق الهوى في قوله: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا...(138)﴾، وقوله سبحانه:﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ...(139)﴾.

ب. تشريعات في ذرياتهم: بتشريع قتلهم أولادهم، في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ...(137)﴾.

2. شبهة الاحتجاج بالقضاء والقدر في تبرير الخصم لشركه وتبريره لتحريمه ما أحلّ الله تعالى، في قوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ(148)﴾.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني

الفرع الأول: محور الاحتجاج في الآيات ومضمون الرد على الشبهات الواردة فيها

محور الاحتجاج: تقرير التوحيد في التوجه إلى الله تعالى للاحتكام والتشريع، والاستدلال بأن خالق ومالك ومنشئ الأشياء هو المستحق للحكم والتشريع فيها، لإبطال حق الاحتكام والتشريع لغيره تعالى.

مضمون الرد على الشبهات الواردة فيها: والشبهات هي:

1. شبهة الشرك في الألوهية: شبهة التوجه بالاحتكام والتشريع إلى غير الله تعالى، في تحريم ما أحلّ الله تعالى وتحليل ما حرّم، ومعالجتها كانت من خلال: تقرير أن خالق الحرث والأنعام والولد هو المالك لها، لإثبات استحقاقه للتشريع، ثم استعراض نماذج لشرائع الخصم وإبطالها ببيان تناقضها واضطرابها وببيان فساد مرجعيتها، ثم إثبات أن الوحي هو المصدر الصحيح لتلقي التشريع، والتعقيب ببيان جملة من المحرّمات بطريق الوحي.
2. شبهة الاحتجاج بالقضاء والقدر في تبرير الخصم لشركه وتبرير تحريمه لما أحلّ الله تعالى، ومعالجتها كانت من خلال: التخويف بما حلّ بمن قبله ممن سلك نفس المسلك، ومطالبته بالدليل على ما زعم لكشف كذبه على الله تعالى وفضح مرجعيته الفاسدة في اتباع الظن لا العلم والدليل، وإثبات الحجة البالغة لله تعالى، ثم الإشهاد والمفاصلة مع الخصم على ما نسبه من تحريم إلى الله تعالى، إبطالاً لحاكمية الجاهلية، ثم التعقيب ببيان عموم المحرّمات في الشريعة، والتحذير من اتباع السبل غير سبيل الله تعالى.

الفرع الثاني: المنهج العام للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات

تمحور المنهج العام للرد على الشبهات في الآيات حول أربعة محاور رئيسة، هي:

أولاً: ذكر نماذج لشرائع المشركين وشبهاتهم الباطلة: في الآيات (136– 139)، منها:

أ.تشريعاتهم الباطلة في نتائج أموالهم من حرث وأنعام، والجور في القسمة بين الله وبين شركائهم، في الآية (136).

ب. تشريعاتهم الباطلة في ذرياتهم بقتلهم أولادهم، وتزيين الشركاء ذلك لهم، في الآية (137).

ج. تحريم ما أحلّ الله تعالى: في تحريم بعض الأنعام والحرث وتخصيصها، وعدم ذكر اسم الله عليها عند ذبحها، في الآيات (138– 139).

ثانياً: الانتقال إلى إبطال شبهة الخصم: في الآيات (140– 149)، حيث بدأ الإبطال بطريق غير مباشر ثم الانتقال إلى الإبطال بطريق مباشر، ثم الانتقال إلى الرد على ما برر به الخصم موقفه؛

- الإبطال بطريق غير مباشر: بإظهار قبح تلك التشريعات في أنها حرمان من رزق الله تعالى، وأنها محض سفاهة وأنها خالية من العلم في الآية (140)، ثم الاستدلال بدلائل الربوبية في تقرير أن خالق الأولاد والحرث والأنعام هو المالك لها، وهو الذي له حق الحكم والتشريع فيها، وإبطال الاحتكام إلى غير الله تعالى، في الآيات (141– 142).
- الإبطال بطريق مباشر: وذلك من خلال:

أ. بيان تناقض نموذج معيّن من شرائع الخصم واضطرابها، ومطالبته بالدليل عليها، وبيان فساد مرجعيتها في الآيات (143– 144).

ب. إثبات التوحيد في التشريع بإثبات مرجعيته الثابتة في الوحي، وبيان ما حرم الله تعالى من الأطعمة بطريق الوحي، مع بيان أسباب وعلل التحريم، في الآية (145– 146).

ج. التهديد ببأس الله تعالى، وتخويف الخصم بما حلّ بمن قال مقولته من قبل في الآية (147).

- عرض ما برر به الخصم شركه وتحريمه لما أحلّ الله تعالى، في احتجاجه بالقضاء والقدر، ثم مطالبة الخصم بالدليل على تحريم الله لما زعمه الخصم، ثم تقرير أن ذلك محض ظن واتباع للهوى في الآية (148)، ثم تقرير الحجة البالغة لله تعالى في الآية (149).

ثالثاً: المفاصلة بين الشرك والتوحيد: في الآية (150)، تضمنت الإشهاد على التحريم الذي ينسبونه إلى الله تعالى، ثم النهي عن اتباع المتصف بصفات، وهي: صفة التكذيب بآيات الله تعالى، وعدم الإيمان بالآخرة، والشرك بالله تعالى.

رابعاً: نماذج للتشريع الرباني في المحرمات والأمر باتباع شرع الله تعالى: في الآيات (151- 153): لما فرغ من إبطال شبهاتهم في الاحتكام إلى غير الله تعالى ببيان فسادها وتضاربها، بيّن جملة مما شرّعه الله تعالى من أحكام، جلّها في المحرمات، تأكيداً على بطلان التشريعات الجاهلية، ومن هذه التشريعات تحريم قتل النفس بغير حق، ولكن الآيات خصّت قتل الأولاد بالذكر- مع دخوله في عموم قتل النفس- استعظاماً له، وقُدم في الترتيب لأنه أعظم جرماً من عموم القتل لمخالفته الشرع والفطرة معاً.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني

ظهرت في الآيات ملامح الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد، منها:

1. **نقض شبهات الخصم بالاحتجاج عليه بدليل العقل:** من ذلك:

أ. **نقض شبهة الخصم بدليل مخالفة العقل:** مثال ذلك: مخالفة العقل في تشريع قتل أولادهم من جوانب شتى، منها:

- الخسارة المحققة في اتباع التشريع: بخسارة محققة في الدنيا بخسران الولد، وخسران ما يكون منه من منفعة ومعونة وسند للأبوين، وخسارة محققة في الآخرة بوقوعه في الشرك بالله تعالى بالاحتكام إلى غيره تعالى، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ...(140)﴾.
- بناء التشريع على سفاهة وخلوه من العلم: كان أساس تشريعاتهم مجرد اتباع الظن دون دليل، "...فقتل الولد لخوف الفقر وإن كان ضررا، فالقتل أعظم منه، وأيضا فالقتل ناجز والفقر موهوم، وأما الجهل فيتولد عنه السفاهة والجهل أعظم القبائح..."[1].

---

[1] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص662- 663.

- منازعة في حق الله تعالى في التشريع: إن التشريع حق لصاحب الملك، والله تعالى هو الذي خلق لهم ورزقهم الولد، فهو صاحب الحق في التشريع فيه، قال تعالى: ﴿...وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ(140)﴾، إذاً فليس من حق أحد التشريع والأمر والنهي والتحريم والتحليل "...إلا الملك الذي هو نافذ التصرف نفوذًا مطلقًا ... فالَّذِي يُحَلِّلُ ويُحرِّم ويُشرع هو خالق هذا الكون (جل وعلا)؛ لأنه لا يشرع إلا الملك الأعظم الكبير الأكبر ... فالذي يشرع قانونًا وضعيًّا إن كان له ملك السماوات والأرض، وهو الذي يحيي ويميت، وهو المعبود وحده فليتقدم وليشرع، وإن كان عاجزًا مسكينًا مربوبًا فليعلم قدره، وليقف عند حده، وليعلم أن من يحلل ويحرم هو الكبير الأكبر، والملك العظيم..."[1].

ب. **إبطال شبهة الخصم ببيان تناقضها واضطرابها:** مثال ذلك: تحريم بعض الأنعام دون بعض، فجاء الاحتجاج عليهم باختلال التشريع وعدم اضطراده، بل تناقضه واضطرابه، وطالبهم ببيان الدليل على تحريمهم لبعض الأنعام دون غيرها، ولما خلا التشريع من السبب المضطرد، فتحريمهم ليس لسبب ذاتي من ذكورة أو أنوثة أو ما اشتملت عليه الأرحام، صار عدم انتظام التحريم حجة على بطلان تشريعهم، قال تعالى: ﴿...قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ...(143)﴾، ومثال آخر: أنهم قتلوا أولادهم خوف الفقر والإملاق، "...وحجروا على أنفسهم في أموالهم ولم يخشوا الإملاق، فأبان ذلك عن تناقض رأيهم".[2]

2. **التركيز على أصل الشبهة والابتعاد عن تفاصيل غير مهمة:** جاء السياق القرآني بنماذج لشبهتهم في الشرك في التوجه والاحتكام إلى غير الله تعالى، وأقام الأدلة على بطلانها وفسادها، واتسم الرد على تلك الشبهات الفرعية بالتركيز على أصل الشبهة، لئلا ينحرف ويتشتت النقاش بعيداً عما يراد معالجته، مثال ذلك:

---

[1] الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد، **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، تحقيق: خالد السبت، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط2، 2005م)، ج4، ص228.

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج7، ص96.

- في وصف القسمة بين الله تعالى والشركاء في الأنعام: حيث اكتفى السياق بذكر ما يستبان به فساد التشريع، بعيداً عن تفاصيل الكيفية، وجاء في أمرين: أولاً: الجور في أصل التقسيم، في جورهم على حق التشريع لمالك الأشياء وخالقها، وهو الله تعالى، في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا...(136)﴾، ثانياً: عدم التزامهم بتقسيمهم الجائر، في قوله تعالى: ﴿...فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ...(136)﴾.
- في ذكر التشريع لقتل أولادهم: لم تتطرق الآيات لتفاصيل ذلك القتل ومبرراته، فهو ليس مهماً في السياق القرآني، إنما المهم ذكر ما يستبين به فساد التشريع وخلّوه من العلم وأنه محض افتراء على الله تعالى، في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ...(137)﴾ وقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ...(140)﴾.

3. **الابتداء بطريق غير مباشر والتدرج إلى الطريق المباشر في إعلان كلمة التوحيد:** بدأت الآيات بعرض الشبهة، في الآيات (136– 140)، ثم الاحتجاج بدلائل الربوبية في خلق الله الحرث والأنعام، للرد بشكل غير مباشر على شبهات الخصم، في الآيات (141– 142)، ثم الرد على الشبهات بشكل مباشر، من خلال؛ بيان فساد ما بني عليه التحريم، في الآيات (142– 144)، ثم بيان ما حُرّم من الأطعمة بطريق الوحي، مع بيان وجه التحريم فيها، في الآيات (145– 146)، ثم مفاصلة الخصم وإشهاده على تحريم الله تعالى لما زعموا في الآية (150).

4. **الانطلاق من قضايا مشتركة يقرّها الخصم:** مثال ذلك: الانطلاق من دلائل الربوبية التي يقرّها الخصم، في أن الله تعالى هو خالق الولد في قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ...(140)﴾، وأنه هو منشئ الحرث في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ...(141)﴾، وأنه هو منشئ الأنعام في قوله: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ...(142)﴾، لإبطال شركهم في التوجه والاحتكام إلى غير الله تعالى، فإن خالق الشيء ومنشئه هو الذي له حق الحكم والتشريع فيه.

5. **الاستدلال على الخصم بأدلة الإنعام:** مثال ذلك: ما جاء في الاستدلال عليهم بخلق الله تعالى الجنات والزروع والثمار المختلفة في الآية (141)، وما جاء في الاستدلال عليهم بخلق الأنعام المتنوعة (142– 144)، جمعاً بين الامتنان والاحتجاج عليهم في إثبات التوحيد.

6. **مراعاة طبيعة الشبهة في الرد عليها:** من ذلك:

أ. **التفصيل في الرد على الشبهات المتعلقة بالمنازعة في التشريع:** لما كان تحليل الحرام عند الناس غالباً اتباعاً للشهوات، كان تحريم الحلال منازعة صريحة لله تعالى في التشريع؛ لذلك فإن السياق القرآني يواجه هذه المنازعة:"...بحملة كاشفة؛ يحشد فيها من المقررات الأساسية في العقيدة، والمشاهد والحقائق المؤثرة، ما يحشده في مواجهة قضية الشرك والإيمان في سياق السورة كله، لأنها هي هي بعينها قضية الشرك والإيمان، في صورة تطبيقية واقعة"[1]، مثال ذلك: ما جاء في نقض شبهة الخصم في تحريمه لبعض الأنعام دون بعض، في الآيات (143– 144)، إذ جاء الرد عليها مفصلاً، فبدأ بمحاصرة الخصم بتتبع تحريمه، بتصنيف الأنعام إلى ثمانية أقسام، ثم مطالبته بدليل من عقل أو نقل على تحريمه:

- مطالبة الخصم بالدليل العقلي على التحريم: في تحريمهم لأصناف دون غيرها، وكان التحريم يفتقر إلى الاضطراد؛ لذلك ركزت الآيات على إظهار ذلك في قوله تعالى: ﴿...قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ...(143)﴾، فلما أظهر انعدام الدليل طالبهم بالعلم الذي بنوا عليه التشريع: ﴿...نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ...(143)﴾، تهكماً بهم وتعجيزاً لهم، في طلبه الدليل بعد إثبات عدم وجوده، والتبكيت لهم وإلزامهم الحجة، ولما انعدم اطراد التحريم انتفى أن يكون العقل مصدراً للتحريم[2].

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص1183.

[2] يُنظر: الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج2، ص77؛ والشوكاني، **فتح القدير**، ج2، ص195؛ والشنقيطي، محمد الأمين بن محمد، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1995م)، ج3، ص216.

- مطالبة الخصم بالدليل النقلي على التحريم: لما انتفى الدليل العقلي على التحريم، بقي أن يكون التحريم وحياً من الله تعالى، فطالبهم بالدليل على ذلك بقوله تعالى: ﴿...أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ...(144)﴾، ثم إشهاد ومفاصلة الخصم لإبطال زعمه في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا(150)﴾.

ب. **معالجة القضايا الجزئية في التوحيد من خلال ربطها بالقضايا الرئيسة والمفصلية:** ربط السياق القرآني بين قضية جزئية في التوحيد، وهي تحريم وتحليل الأنعام والحرث والولد، وبين القضية الرئيسة التي تعالجها السورة، وهي وحدانية الله تعالى وإخلاص العبودية له، ليقرر حقيقة أن تشريع الأشياء "...منوط بمن يملك القدرة اللامتناهية على خلق الأشياء وإيجادها، وبما أن الله تعالى هو وحده مبدع الكائنات كلها، وصاحب النّعم الجليلة، فهو مصدر التشريع من إباحة وتحريم، وإيجاب ومنع، وليس للبشر الحق في أن يحرّموا أو يحلّلوا ما شاؤوا من غير حجة بيّنة ولا برهان واضح، لذا نبّه القرآن الكريم إلى هذه القضية المهمة الخطيرة، فلما افترى المشركون على الله الكذب، وأحلّوا وحرّموا، دلّهم على قدرته ووحدانيّته تعالى، وأوضح لهم أن الخالق المبدع هو صاحب الحق في التحليل والتحريم"[1]، لذلك فإن السياق القرآني يحشد لهذه القضية الفرعية تلك التعبيرات والمشاهد التي حشدها لمعالجة قضايا التوحيد الرئيسة، من ذلك:[2]

- **هدى الله مقابل خطوات الشيطان:** سبق في السورة بيان أن الهدى الحقيقي هو هدى الله تعالى، في قوله: ﴿...قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(71)﴾، وجاء في هذه الآيات التحذير من اتباع خطوات الشيطان، في قوله: ﴿...كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(142)﴾، للإشارة إلى أن مخالفة أمر الله تعالى في قضية جزئية كتحريم الأطعمة وتحليلها هو من اتباع خطوات الشيطان، وهو نقيض اتباع هدى الله تعالى.

---

[1] الزحيلي: وهبة بن مصطفى، **التفسير الوسيط**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 2001م)، ج1، ص 616.

[2] يُنظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص1019- 1020.

- **ارتباط القضية برحمة الله أو بأسه:** سبق تهديد الخصم ببأس الله تعالى رداً على شركه في العبودية والألوهية، في قوله:﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ(47)﴾، وجاء بنفس نبرة التهديد رداً على شركه في القضية الجزئية في التوجه والتشريع، في الآيات (147– 148).
- **المفاصلة والإشهاد:** سبق في السورة إشهاد الخصم ومفاصلته على قضية الشرك بشكل عام، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19)﴾، وأقام هنا موقفاً مماثلاً – بعبارات تكاد تكون متطابقة– للإشهاد والمفاصلة على شركه في التوجه والاحتكام إلى غير الله تعالى في قوله: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(150)﴾.

7. **ضرب الأمثلة لما يذكره من قواعد وتقريرات:** من ذلك: ذكر خلق الله تعالى الحرث والأنعام التي أشرك فيها الخصم غير الله تعالى، في الآية (136)، ثم جاء بأمثلة تفصيلية لكل نوع، وابتدأ بالحرث في الآية (141)، ممتناً على الخصم بأنواع الجنات المختلفة، المعروشة وغير المعروشة، ثم أمثلة لأصناف الأنعام في الآيات (142– 144).

8. **قلب شبهة الخصم حجة عليه:** من ذلك: أن الآيات عدّدت أصناف الأنعام الثمانية، ثم استفهمت عن سبب تحريم الخصم لبعضها دون بعض، ولما انعدمت العلة المطردة المبررة لذلك التحريم، انقلبت شبهة الخصم في تحريم بعض الأنعام دون بعض إلى حجة عليه في بيان فساد تشريعه وبطلانه.

9. **تنويع الأساليب في إقامة الحجة على الخصم:** من الأساليب المستعملة: الأمر بالقول، وطرح الأسئلة على الخصم، والمفاصلة بين التوحيد والشرك، وتفصيلها في النقاط الآتية.

أولاً: تصدير الآيات بالأمر بـ(قل): كانت الأقوال المأمور بتبليغها إلى الخصم تتميز بالتدرج في المواجهة؛ فبدأت بمطالبة الخصم ببيان وجه التحريم لبعض الأنعام دون بعض لإبطال تحريمه، في الآية(143)، مع نفي نسبة ذلك التحريم إلى الله تعالى، في الآية(144)، ثم نفي عموم التحريم عن

الأطعمة بطريق الوحي إلا لبعض الاستثناءات، في الآية(145)، ثم التهديد ببأس الله تعالى، في الآية(147)، ثم إفحام الخصم بمطالبته بالدليل في الآية(148)، فلما تبيّن أنه لا دليل على تحريمه، وأن الكلام مبني على مجرد الظن والأوهام، أمر بإثبات الحجة الكاملة لله تعالى في الآية(149)، ثم إشهاد الخصم على دعواه التي ادعاها، في الآية(150)، ثم التعقيب ببيان عموم المحرمات في الشريعة في الآية(150).

ثانياً: توظيف أسلوب طرح الأسئلة على الخصم: توظيف الأسئلة في الآيات أفاد أموراً عدة، منها:

أ. **إظهار تضارب شبهة الخصم وتناقضها:** جاءت الأسئلة تستفسر عن علة تحريم الخصم لبعض الأنعام دون بعض، لتكشف التضارب والتخبط في ذلك التشريع وخلوه من الدليل، في الآيات (143– 144)، وتكرار الاستفهام مرتين للتعريض بالتخطئة، وزيادة تشنيع واستنكار على الخصم، ونفي نسبة التحريم إلى الله تعالى.[1]

ب. **إفحام الخصم:** في مواجهته بخلو شبهته من الدليل العقلي أو النقلي، في قوله تعالى: ﴿...أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(144)﴾، وقوله تعالى:﴿...قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148)﴾، وجاء بالاستفهام على وجه التوبيخ والإنكار عليهم، إفحاماً لهم في عجزهم عن إقامة الدليل على علم من عقل سليم أو نقل صحيح.[2]

ثالثاً: المفاصلة بين التوحيد والشرك: تميّز موقف الإشهاد والمفاصلة في هذه الآيات بملامح، منها:

- **الربط بين أصل التوحيد وقضية التشريع:** لما سبق في السورة إقامة موقف الإشهاد على أصل التوحيد، في إشهاد الخصم على عموم الشرك بالله تعالى، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج8– أ، ص140.

[2] يُنظر: ابن عادل: عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م)، ج8، ص497؛ والخطيب: عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج4، ص335.

لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19)﴾، جاء في هذه الآيات بإشهاد الخصم على أمر خاص في التوحيد وهو الشرك في التوجه والاحتكام، في تحريمه لما أحلّ الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(150)﴾، "...للدلالة على أن القضية واحدة: قضية الشرك بالله، وقضية التشريع بغير إذن من الله..."، لتقرير قاعدة: "...أن كل جزئية صغيرة في الحياة الإنسانية يجب أن تخضع خضوعا مطلقا لحاكمية الله المباشرة، الممثلة في شريعته، وإلا فهو الخروج من هذا الدين جملة من أجل الخروج على حاكمية الله المطلقة في تلك الجزئية الصغيرة."[1].

- **التدرج مع الخصم أو صاحب الشبهة للوصول إلى المفاصلة بين التوحيد والشرك:** تدرجت الآيات من عرض شبهة الخصم؛ وهي مجموعة تصورات ومزاعم وتقاليد لشرائع الخصم الباطلة في شأن المال والاجتماع في الآيات (136– 139)، ثم الإبطال العام لجملتها؛ ببيان خسارة مرتكبها، وأنها حرمان من رزق الله، وإعلان الضلال المطلق لمن ينسبون إلى الله بغير علم، وأن الذي يرزق هو وحده الذي يملك، وهو وحده المستحق للتشريع فيما رزقهم من هذه الأموال، في الآيات (140–142)، ثم الإبطال التفصيلي لنموذج من تشريعاتهم الباطلة؛ في الآيات (143– 144)، ثم كشف كذب الخصم؛ في تعليق موقفه– في شركه وتحريمه لما أحلّ الله تعالى– على المشيئة الإلهية، ثم تهديده؛ بما حلّ بالمكذبين من قبله في الآية (148)، ثم قطع لجاجته؛ بإثبات الحجة الكاملة لله تعالى في الآية (149)، للوصول إلى دعوة الخصم إلى الإشهاد والمفاصلة على هذه القضية الجزئية المتعلقة بالتوحيد، مثلما دعاهم إلى الإشهاد والمفاصلة على قضية التوحيد الرئيسة في أول السورة.[2]
- **تدرج الموقف نفسه:** ابتدأ بدعوة الخصم إلى الإشهاد على تحريم الله تعالى لما زعمه الخصم، تعجيزاً له بطلب شهود على شيء لم يحدث– ولكنها مسايرة للخصم وإظهار لموافقته تبكيتاً عليه– ثم على فرض احتمال وجود الشهود، النهي عن قبول شهادتهم وتصديقها، ثم النهي عن اتباع دين الخصم،

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص1215، 1018.

[2] **المرجع السابق**، ج3، ص1214–1215.

وتسمية دينه وتشريعه بالهوى تعريضاً بتفاهته، وقال: (...وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا...)، ولم يقل:(ولا تتبع أهواءهم)، فأظهر في موضع الإضمار؛ "...للدلالة على أنّ من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير، لأنه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحداً لله تعالى"[1]، وختم بقوله: (وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)، التفاتاً إلى أول السورة، في قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾، تأكيداً لارتباط الشرك العام في الله تعالى، بالشرك الخاص في التشريع بالاحتكام إلى غيره[2].

10. **غزارة المعاني القرآنية في الجمع بين الأدلة المختلفة والرد على الشبهات المتعددة والطوائف المتنوعة بإيجاز ووضوح:** منها:

أ. **الاستدلال بأكثر من دليل على القضية الواحدة:** مثال ذلك:

---

[1] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج2، ص78.

[2] يُنظر: رضا، **تفسير المنار**، ج8، ص160؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج8- أ، ص154.

أولاً: الجمع بين الأدلة العقلية على وجود الله تعالى:

- دليل الخلق والإيجاد: من ذلك: خلق الله تعالى أصناف النبات، من جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع، وأنواع الثمار المختلفة، وخلقه أصناف الأنعام التي حرمّها الخصم: من الضأن والمعز والإبل والبقر.
- دليل الإحكام والإتقان: من ذلك: تنوع واختلاف النبات والحيوان، وما في ذلك من تكثير للفوائد والمنافع مع الإحكام والإتقان لكل صنف ونوع، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ...(141)﴾، والمتأمل لعالم النبات يجد الإتقان سمة بارزة فيه، ومن وجوهه الاختلاف والتنوع البديع في أفراد النبات؛ تتنوع الجنات، فمنها المعروش، أي الذي انبسط على وجه الأرض مما يعرش، أي يرفع، مثل العنب والقرع وغيره، ومنها غير المعروش، أي غير المرفوع، الذي قام على ساق ونسق، مثل النخل والزرع وسائر الأشجار، ومن كلا النوعين ينتج الثمر المختلف خصائصه من طعم وشكل ورائحة وغيره، ومع التنوع الكبير في الثمار، فما من نوع من الثمار يماثل نوعاً آخر، فالزيتون طعمه يختلف عن طعم الرمان، وكذلك رائحته وشكله وحجمه، ثم إذا نظرت إلى الصنف الواحد، تجد تشابهاً يربط أفراده، فثمار الرمان تتشابه، ثم إذا قارنت بين فردين من أفراد الصنف الواحد تجد اختلافاً بيّناً، الرمانتين لونهما واحد وطعمها مختلف، بل حتى شكلهما الخارجي عند التدقيق يختلف، والآية ترشد إلى النظر والاعتبار إلى هذا الإتقان والإحكام المذهل الذي يدل على وجود من أحكم وأتقن خلقه ويدل على استحقاقه وحده للتشريع فيما أتقن وأحكم.[1]
- دليل العناية: في عناية الله تعالى للإنسان بتسخير النبات والحيوان له، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿...وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ

---

[1] يُنظر: البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج2، ص164؛ والصلابي: علي محمد، **المعجزة الخالدة**، (د.م: دار المعرفة، د.ط، د.ت)، ص211.

مُتَشَابِهٍ...(141)﴾ "...خص هذه بالذكر، لما لها من أهمية في حاجة الناس، فالنخل قوت وفاكهة، والزرع فيه غذاء الإنسان والحيوان، والحيوان فيه غذاء الإنسان..."[1].

ثانياً: الجمع بين أدلة كمال الإله: فجمع بين الاحتجاج بكمال القدرة وكمال العلم، فمن كمال قدرته؛ أنه أنشأ ذلك التنوع البديع، والاختلاف الحكيم في أصناف النبات والحيوان، ومن كمال علمه؛ ما شرع من أحكام حوت العلم بأحوال عباده والحكمة فيما يصلح لهم دنياهم وآخرتهم، في الآيات (145- 146)، والآيات (151- 152).

ب. **الجمع بين الاستدلال بمصادر المعرفة الثلاثة:** مثال ذلك: استدل بالعقل في بيان تناقض شبهة الخصم واضطرابها لإبطالها، وذلك في انعدام دليل تحريمه لبعض الأنعام دون بعض، في الآيات (143- 144)، واستدل بالحس بالاحتجاج بدلائل الربوبية المشاهدة أمامهم، في خلق الله تعالى للنبات والحيوان، وأن تنوعها واختلافها هو بفعل فاعل "...مختار واحد لا شريك له، لا يكون إلا ما يريد"[2]، وأن الفاعل المختار والخالق والمنشئ لتلك الأصناف، هو المستحق للحكم والتشريع فيها، واستدل بالخبر الصحيح في وصف الله تعالى لشبهة الخصم بالافتراء والكذب، كما جاء في الآيات (138، 140)، ونفي أن يكون التحريم من الله تعالى، كما جاء في الآيات (144- 145، 150).

مثال آخر: تضمن الرد القرآني نفي أن يكون تحريم الخصم لبعض الأنعام دون بعض، مبنياً على دليل، بانتفاء وصول المعرفة له من مصادرها الثلاثة؛ قال تعالى:﴿...نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ...(143)﴾، أي لا عقل يدل على ما حرموا، وقوله تعالى:﴿...أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ...(144)﴾، أي لا علم من الحس، لأنكم لم تشاهدوا الله حرم ذلك، ولا علم من السمع والخبر؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالكتب، ولا صدقوا الرسل فبهتوا في ذلك وضجروا.[3]

---

[1] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2699.

[2] البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج7، ص290.

[3] يُنظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**،ج4، ص291.

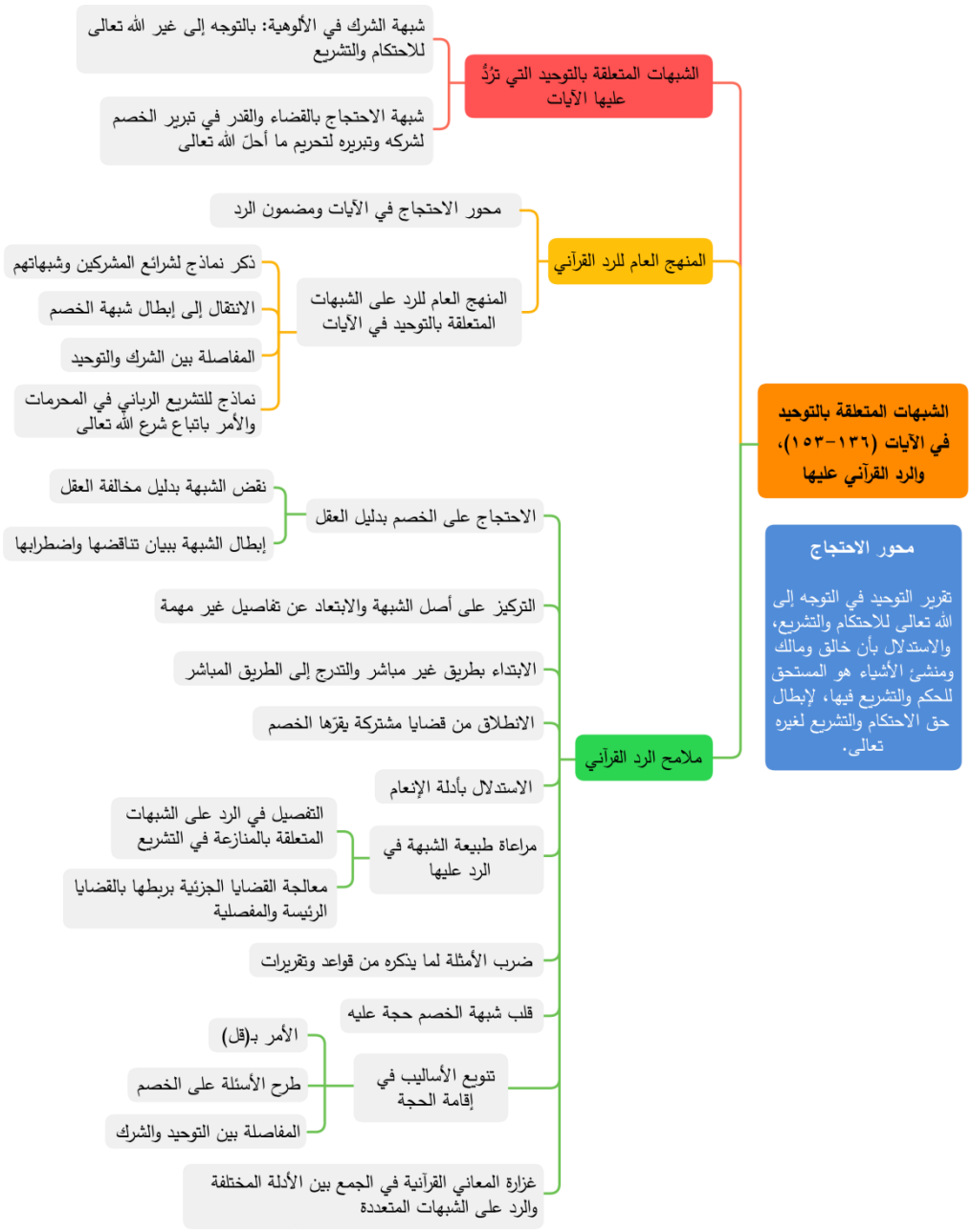

الشكل رقم 7 خلاصة ما تناوله المبحث الثالث من الفصل الثاني.

المبحث الرابع: الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات (161- 165) والرد القرآني عليها

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (164) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (165)﴾.

المطلب الأول: الشبهات المتعلقة بالتوحيد التي تزُدُّ عليها الآيات

1. شبهة نسبة الشريك لله تعالى، في قوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ...(163)﴾.
2. شبهة الشرك في الربوبية في اتخاذ غير الله تعالى **ربّاً**،[1] في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا...(164)﴾.

المطلب الثاني: المنهج العام للرد القرآني

الفرع الأول: محور الاحتجاج في الآيات ومضمون الرد على الشبهات الواردة فيها

محور الاحتجاج: الاحتجاج على المشركين بأن هذا الدين هو ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام- الذي يفتخرن بالانتساب إليه- والاستدلال عليهم بما يقرّونه من ربوبية الله تعالى للاحتجاج بها على التوحيد.

مضمون الرد على الشبهات الواردة فيها: والشبهات هي:

1. شبهة نسبة الشريك لله تعالى، ومعالجتها كانت من خلال: إثبات التوحيد المطلق، بإعلان الرسول ﷺ تجرده لله تعالى، في صلاته ونسكه ومحياه ومماته، وأنه مأمور بذلك من ربه.

---

[1] سبق الحديث في التمهيد عن أنواع التوحيد والانحرافات التي وقعت فيه فليراجع.

2. شبهة الشرك في الربوبية في اتخاذ غير الله تعالى ربَّاً، ومعالجتها كانت من خلال: تقرير أن الله تعالى هو رب كل شيء، وأن كل إنسان يتحمل تبعات أعماله، ولا يتحمل غيره وزره، والتهديد برجوعهم إلى الله تعالى للحساب، والامتنان عليهم بالخلافة وتسخير بعضهم لبعض، والترغيب بمغفرة الله ورحمته.

الفرع الثاني: المنهج العام للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الآيات

تمحور الرد على الشبهات في خاتمة السورة حول ثلاثة محاور رئيسة، هي:

أولاً: إعلان الرسول ﷺ التوحيد: حيث افتتحت الخاتمة بإعلان أمور إلى الخصم، يتحدث فيها الرسول ﷺ عن نفسه، تعريضاً بشرك الخصم، وإيذاناً بانتهاء النقاش، وهي:

أ. إعلان هداية الله تعالى إلى الصراط المستقيم، شكراً وامتناناً على هذه النعمة، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا...(161)﴾، ولما كان الخطاب موجهاً إلى الخصم المكذب المشرك، صدر الجملة بحرف التحقيق والتأكيد: (إِنَّنِي)، وأفاد تعريف المسند إليه بالإضافة في قوله: (رَبِّي)، مزيد تشريف للرسول ﷺ وبيان اعتزازه بمربيوبيته لله تعالى، تعريضاً بالمشركين الذي أضلهم أربابهم، ثم مواجهة الخصم بأن هذا الصراط هو ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام، الذي يتفاخر العرب بالانتساب إليه، وهو بريء مما هم مقيمون عليه من الشرك، في قوله تعالى: ﴿...مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(161)﴾[1].

ب. إعلان التجرد الكامل لله تعالى، وشمول هذا التجرد لحياة الرسول ﷺ كلها، في توحيده لله تعالى في صلاته ونسكه[2] ومحياه ومماته، تعريضاً بالخصم الذي اقتطع من حياته لغير الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(162)﴾.

---

[1] يُنظر: الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج4، ص338؛ وأبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج3، ص206؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج8- أ، ص198.

[2] قيل أن المقصود بالنسك هنا جميع الطاعات، من ناسك أي عابد، وقيل أن المقصود الذبائح لتقدم ذكرها في السورة، يُنظر: ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج2، ص369؛ وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص382.

ج. إعلان التوحيد المطلق، في قوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(163)﴾، بنفي مطلق الشريك عن الله تعالى، وإعلان الرسول ﷺ بأنه أول المسلمين والمذعنين لأوامر ربه من هذه الأمة.

ثانياً: إنكار اتخاذ غير الله ربّاً: أُمر الرسول ﷺ بالإنكار على نفسه أن يتخذ غير الله تعالى **ربّاً**، مع ظهور ربوبية الله تعالى لكل شيء، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ...(164)﴾، لتقرير حقيقة الربوبية المطلقة لكل ما سوى الله تعالى، فهو الرب وسواه مربوب له، وهو الخالق وسواه مخلوق، تعريضاً بالخصم في شركه بالله تعالى بعد إقراره بربوبيته سبحانه، ثم تقرير لمبدأ المسؤولية الشخصية،[1] في أن كل نفس تحمل وزر نفسها، وأن الجزاء مبني على العمل، وأن الرجوع والحساب إلى الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿...وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(164)﴾.

ثالثاً: الانتهاء بذكر منّة الله على الخصم مع الترهيب والترغيب: في الامتنان بذكر أدلة الربوبية المتضمنة للنعم: أن الله تعالى جعلهم خلائف في الأرض، وسخر بعضهم لبعض، ثم الانتقال إلى الترهيب بسرعة العقاب، والترغيب بمغفرته ورحمته، ولإطماع الخصم في رحمة الله تعالى ميّز الترغيب بمؤكدات، منها: جاء بوصّفين للترغيب مقابل وصف واحد للترهيب، واستخدم اسم الرب في السياق المتضمن للترهيب والترغيب تغليباً لجانب الترغيب، كما أكد الرحمة باللام المؤكدة في (لغفور)، وأتى ببناء المبالغة في الوصفين ولم يأتِ بها في العقاب[2]، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(165)﴾.

---

[1] يُنظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج8، ص128.

[2] يُنظر: أبو حيان، **البحر المحيط**،ج4، ص705؛ والخطيب الشربيني: محمد بن أحمد، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، (القاهرة: مطبعة بولاق، د.ط، 1868م)، ج1، ص462.

المطلب الثالث: ملامح الرد القرآني

ظهرت في الآيات ملامح الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد، منها:

1. **نقض شبهات الخصم بالاحتجاج عليه بدليل العقل:** من ذلك: نقض شبهة الخصم ببيان مخالفتها العقل: لما كانت المساواة بين المختلفات أمراً مخالفاً لصريح العقل، وكان من صور هذه المخالفة مساواة الرب بالمربوب، اعتمد السياق القرآني على هذه المخالفة لنقض شبهة الخصم في شركه بالله تعالى، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ...(164)﴾، ويشير الرازي إلى ذلك فيقول: "...صريح العقل يشهد بأنه لا يجوز جعل المربوب شريكاً للرب، وجعل المخلوق شريكاً للخالق..."[1].
2. **التلازم بين القدرة على الخلق وإثبات التوحيد:** لما كانت قدرة الله تعالى على الخلق دليلاً على استحقاقه للتوحيد، جاء السياق القرآني بالتشنيع على الخصم الذي فرّق بينهما، فآمن بتوحيد الربوبية وأنكر توحيد الألوهية، ومن صور هذا التلازم في الآيات:

أ. الابتداء بتوحيد الألوهية ثم الانتقال إلى توحيد الربوبية الذي يقرّه الخصم: وهذا قلب للترتيب الذي جاء في أول السورة، ولعل ذلك أنه لما كان أكثر ما يعلق في ذهن السامع هو خاتمة الحديث، ضمن الخاتمة أمراً يقرّه الخصم، وذلك أدعى لقبول ما أنكروه من توحيد الألوهية، وهو مدعاة إلى انصراف ذهن الخصم إلى التفكير في تناقض موقفه باعترافه بتوحيد الربوبية وإنكاره توحيد الألوهية.

ب. التناوب بين مصطلح الرب والإله: في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا...(164)﴾، عبر بكلمة (ربًّا) الدالة على الربوبية، بدل (إلهاً) الدالة على الألوهية، مع أن المقصود من الآية العبادة، توبيخاً لهم إقرارهم بالربوبية وإنكارهم لما يلزم منها وهي الألوهية[2].

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج14، ص192.

[2] ابن عبد الوهاب: محمد بن عبد الوهاب، **الرسائل الشخصية**، تحقيق: صالح الفوزان، ومحمد العيلقي، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، د.ط، د.ت)، ص17.

3. **الاستدلال على الخصم بأدلة الإنعام:** مثال ذلك: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(165)﴾، أن الله تعالى امتن عليهم بإهلاك من قبلهم من القرون، وأنه أورثهم الأرض واستخلفهم فيها، يخلفونهم ويعمرونها بعدهم، ليكون دلالة لهم على التوحيد، من جهة أنه لما كان المتفضل عليكم بالإيجاد، فهو المستحق لعبادتكم لا من لم يتفضل عليكم بشيء أو أن الله تعالى جعل البشر كلهم خلائف لبعض في الوجود والأحوال؛ من حياة وموت، وغنى وفقر، وصحة وسقم، وعز وذل، إلى غير ذلك من الأحوال، ليكون ذلك دليلاً على معرفة منشئهم وخالقهم؛ ولو أنه أنشأهم دفعة واحدة، لما عرفوا حال أنفسهم وانتقالهم من حال إلى آخر، ولو خلقوا جمعاً واحداً لما تعرفوا على مبادئ أحوالهم، من النطفة ثم العلقة ثم المضغة، والانتقال من الصغر إلى الكبر، وهكذا في جميع الأمور، لذلك أنشأهم واحداً بعد واحد، وجيلاً بعد جيل؛ ليستدلوا باختلاف أحوالهم وتشابهها على أن منشئهم واحد وخالقهم واحد[1].

4. **ضرب الأمثلة لما يذكره من قواعد وتقريرات:** من ذلك: أنه بعد ذكر الهداية العامة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا...(161)﴾، أعقب بالهداية الخاصة بذكره لأشرف العبادات، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(162)﴾[2].

5. **تنويع الأساليب في إقامة الحجة على الخصم:** من الأساليب المستعملة: الأمر بالقول، والتمثيل للفكرة بالنموذج العملي الحي، والمفاصلة بين التوحيد والشرك، وطرح الأسئلة على الخصم، وتفصيل ذلك في النقاط الآتية.

أولاً: تصدير الآيات بالأمر بـ(قل): تكرر الأمر بـ(قل) في ثلاثة مواضع، فابتدأ بأمر الرسول ﷺ بإعلان هداية الله له إلى الدين القيم، في الآية (161)، ثم إعلان أن الرسول ﷺ المبلغ عن ربه، هو

---

[1] يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج12، ص287– 288؛ والماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج4، ص342– 343؛ والبغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج2، ص179؛ والزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج2، ص84.

[2] يُنظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص282.

أول المتمسكين بشرعه، والمذعنين لأمره، بإعلان تجريد حياته لله تعالى، في الآيات (162– 163)، ثم الإعلان الأخير بإنكار الرسول ﷺ أن يتخذ غير الله تعالى **ربّاً** وهو رب كل شيء، في الآية (164)، وتدرجت هذه الأوامر من إعلان النعمة وهي الهداية إلى هذا الدين، ثم الشكر عليها بتجريد الرسول ﷺ نفسه لله تعالى، ثم الإنكار على من أشرك بالله تعالى.

ثانياً: تقديم النموذج العملي الحي من خلال الشخص القدوة: لما كان تأثر الناس بالمثال الحي أكثر من المثال المجرد، وتأثرهم بمن يفتخرون بالانتساب إليه أعظم من التأثر بغيره، جاء السياق القرآني بالاحتجاج على الخصم بتوحيد من يفتخر بأبوته وهو إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿...مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...(161)﴾، وكذلك أهل الكتاب من اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب إليه كل يدعي أنه على ملته[1]، لذلك شدّد السياق القرآني على نفي الشرك عن إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿...وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(161)﴾، وجاء النفي بالماضي لإفادة أن إبراهيم عليه السلام لم يلتبس بالإشراك قط في حياته، قطعاً للجاجة الخصم أن يزعم أن قوله عليه السلام للأجرام السماوية (هذا ربي) فيما سبق من السورة، أن يكون على حقيقة اعتقاده، وإنما كان من باب المجادلة والاحتجاج على الخصم.[2]

ثالثاً: المفاصلة بين التوحيد والشرك: توالت الحجج والبراهين والأدلة على مدار السورة، وتنوعت وتدرجت ترهيباً وترغيباً، دفعاً بالخصم إلى التوحيد ونبذ الشرك، فلما لم ينتفع بتلك الأدلة، وأصر على الشرك، جاءت الأوامر للنبي ﷺ بإعلان ثباته على الحق، ورفضه للشرك، قطعاً لآمال المشركين الطامعين في رده عن دينه، وإنهاءً للنقاش مع الخصم بإعلان التوحيد والتبرؤ من الشرك، وتميّز هذا الموقف مثل غيره من مواقف المفاصلة بملامح، منها:

أ. **التدرج في حدة المفاصلة:**

- الابتداء بإعلان الرسول ﷺ هداية الله له إلى الدين القيم، وأنه الصراط المستقيم وأنه ملة إبراهيم عليه السلام، تعريضاً بالخصم الذي زعم اتِّباعه ملة إبراهيم عليه السلام، وما هو

---

[1] يُنظر: النيسابوري، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج1، ص405.

[2] يُنظر: الشنقيطي، **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، ج1، ص415.

عليها بشيء، بل هي أوهام وخرافات، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(161)﴾.

- إعلان تجريد نفسه ﷺ لله تعالى، بالتطبيق العملي لهذا الدين، والتعقيب بنفي مطلق الشريك عن الله تعالى، وإعلان أن هذا التوحيد هو بأمر من الله تعالى وليس اختراع الرسول ﷺ، في الآيات (162- 163).
- إنكار عبادة غير الله تعالى، بالاحتجاج بأنه رب كل شيء وما سواه مربوب له، تعريضاً بالخصم المشرك الذي ترك الرب وعبد المربوب، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ...(164)﴾[1].
- وصولاً إلى التهديد بتحمل كل نفس المسؤولية الذاتية، بتحمل وزرها وتبعات عملها، وأن المرجع والمآب إلى الله تعالى، الذي سيحاسب كلاً على عمله، في قوله تعالى: ﴿...وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ(164)﴾.

ب. **الوضوح في مضمون هذا الإعلان:** من ذلك:

- التشديد على نفي الشرك: في الابتداء بنفي الشرك عن إبراهيم عليه السلام: ﴿...وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(161)﴾، ثم نفي مطلق الشريك عن الله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ...(163)﴾، ثم نفي الرسول ﷺ الشرك عن نفسه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا...(164)﴾.
- الوضوح في وصف ما جاء به الرسول ﷺ من حق وهدى: في قوله:

- **(قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي)**: في بيان أن هذا الدين إنما جاء به الرسول ﷺ بهدي من ربه تعالى، والمجيء بوصف الربوبية هنا، دلالة على أن الهداية لا تحصل إلا

---

[1] يُنظر: حوى، **الأساس في التفسير**، ج3، ص1802.

بالله[1]، وأنها هداية منسوبة إلى:"...الخالق المكوّن، فهي هداية حق لَا ضلال فيها، ولا أوهام ولا أهواء"[2].

- (صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ): فهو الطريق القويم الذي لا خطأ فيه ولا فساد.
- (دِينًا قِيَمًا): فهو دين وليس فكراً أو فلسفة أو استنتاجاً، بل دين متكامل، قرأ (قَيِّما) (بفتح القاف وتشديد الياء) والقَيِّم: وصف مبالغة لقَائم، أي مستقيماً معتدلاً غير معوج، أو أنها لمبالغة في القيام بالأمر، بمعنى أن الإسلام قيّم بالأمّة وحاجتها، وقرأ (قِيَما) (بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها)، من صيغ مصادر قام، وهو وصف للدّين بمعنى القيام، أي كفاية المصلحة للمبالغة[3].
- (مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ): هذا الدين ليس بدعاً من الأديان، إنما جاء موافقاً لملل الأنبياء السابقين، وذكر إبراهيم عليه السلام لاستمالة الخصم الذي كان يتفاخر بالانتساب إليه، ويزعم أنه على ملته؛ لذلك أمر الرسول ﷺ ببيان أن أصول هذا الدين وأساسه وقواعده هو ما كان عليه إبراهيم عليه السلام، وليس ما هم عليه من الشرك.

رابعاً: توظيف أسلوب طرح الأسئلة على الخصم: جاء الأمر للرسول ﷺ بطرح السؤال إنكاراً لوقوع الشرك منه، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا...(164)﴾، وهو استفهام تقرير، يراد منه: "...أنَّهم إذا أقرُّوا رتَّب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار؛ لأنَّ المقرَّ بالربوبيَّة يلزمه الإقرارُ بالألوهيَّة ضرورة" وليس استفهاماً إنكارياً، لأن "..استقراء القرآن دلَّ على أنَّ الاستفهام المتعلِّق بالربوبيَّة استفهام تقرير وليس استفهام إنكار؛ لأنَّهم لا ينكرون الربوبيَّة..."[4].

---

[1] يُنظر: ابن عادل، **اللباب في علوم الكتاب**، ج8، ص535.

[2] أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج5، ص2760.

[3] يُنظر: الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج12، ص282؛ والزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج2، ص83- 84؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج8- أ، ص199.

[4] الصنعاني: محمد بن إسماعيل، **تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور**، تحقيق: عبد المحسن البدر، (الرياض: مطبعة سفير، ط1، 2003م)، ص20؛ ويُنظر: ابن جزي: محمد بن أحمد،

6. **غزارة المعاني القرآنية في الجمع بين الأدلة المختلفة والرد على الشبهات المتعددة والطوائف المتنوعة بإيجاز ووضوح:** منها: الاستدلال بالدليل الواحد على أكثر من قضية، ومثال ذلك: الجمع بين تقرير التوحيد وإثبات البعث: في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ(165)﴾ فإثبات البعث من جهة أن الذي جعلكم خلائف لمن قبلكم، وأماتهم وأحياكم، ليبلوكم، أي ليختبركم فيما رزقكم[1]، لا يعجزه أن يعيدكم تارة أخرى، ليحاسبكم على ما قدمتم من عمل، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وإثبات التوحيد في أن الذي جعلكم خلائف لغيركم هو الخالق والمنشئ لكم المستحق للعبادة دون سواه.

7. **براعة الختام في معرض الرد على الشبهات:** برزت في خاتمة الرد القرآني على الشبهات في هذه السورة بعض الخصائص، منها:

أ. **التركيز على بيان تكامل وشمول قضية التوحيد:** في تكامل قضايا التوحيد التي فصّلت في السورة؛ "حقيقة التوحيد التي تكون في الضمير والاعتقاد، كما تكون في منهج الحياة، وكلتا الصورتين تعنيان حقيقة واحدة في مفهوم هذا الدين"[2].

ب. **ارتباط الخاتمة بما جاء في السورة من ردود على الشبهات:** من حيث الأسلوب والمعنى؛ أنها من حيث الأسلوب: صُدرت بالأمر بـ(قل) خطاباً للرسول ﷺ – ومن بعده من أهل الحق– بتبليغ الخصم أقوالاً مهمة رداً على الشبهات التي يثيرها ودحضاً لافتراءاته، ومن حيث المعنى؛ فما أمر الرسول ﷺ بقوله في الخاتمة يتضمن القول الجامع لما تضمنته السورة من أصول الدين، وتضمن إعلان أن ما فصّل في السورة هو الدين الصحيح والصراط المستقيم، وهو ملة إبراهيم عليه

التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1995م)، ج1، ص283؛ والزحيلي ، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ج8، ص128.

[1] يُنظر: الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج2، ص312.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص1242.

السلام، دون ما يزعمه المشركون من أباطيل وشبهات، وأن الرسول ﷺ متمسك بما أمره الله تعالى به[1].

ت. **تغيير الأسلوب في الرد على الخصم:** من ذلك:

- الإجمال لما جاء في السورة من حجج وبراهين وأصول الدين.
- بيان ما يرتضيه المناقش لنفسه: في إعلان الرسول ﷺ لتقلد الأمر بنفسه، إيذاناً بالفراغ من النقاش، "...لأن الواعظ والمناظر إذا أشبع الكلام في غرضه، ثم أخذ يبين ما رضيه لنفسه وما قر عليه قراره، علم السامع أنه قد أخذ يطوي سجل المحاجة، ولذلك غير الأسلوب"[2].

---

[1] يُنظر: رضا، **تفسير المنار**، ج8، ص210.

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج8- أ، ص197.

الشكل رقم 8 خلاصة ما تناوله المبحث الرابع من الفصل الثاني.

الفصل الثالث: معالم منهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد من خلال سورة الأنعام

المبحث الأول: العناية بالأدلة العقلية

المطلب الأول: خصائص الأدلة العقلية وأهميتها في الرد القرآني على الشبهات.

المطلب الثاني: مظاهر العناية بالأدلة العقلية في الآيات.

المبحث الثاني: التدرج في الاستدلال

المطلب الأول: أهمية التدرج في الرد القرآني على الشبهات .

المطلب الثاني: صور التدرج في الآيات.

المبحث الثالث: التنويع في الاستدلال على القضية الواحدة

المطلب الأول: أهمية التنويع في الرد القرآني على الشبهات.

المطلب الثاني: صور التنويع في الرد القرآني في الآيات.

المبحث الرابع: تقديم الأصول على الفروع

المطلب الأول: أهمية تقديم الأصول على الفروع في الرد القرآني على الشبهات.

المطلب الثاني: صور تقديم الأصول على الفروع في الآيات.

المبحث الخامس: المفاصلة على أساس العقيدة

المطلب الأول: أهمية المفاصلة على أساس العقيدة في الرد القرآني على الشبهات.

المطلب الثاني: نماذج من مواقف المفاصلة المختلفة في الآيات.

بعد دراسة الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في سورة الأنعام، برزت لي معالم جامعة أعتقد أنها قد شكلت معالم المنهجية القرآنية في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد، وهي على النحو الآتي:

1. العناية بالأدلة العقلية.
2. التدرج في الاستدلال.
3. التنويع في الاستدلال على القضية الواحدة.
4. تقديم الأصول على الفروع.
5. المفاصلة على أساس العقيدة.

وبعد هذا العرض المجمل لمعالم منهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في سورة الأنعام، أسلط الضوء فيما يأتي على أبعاد هذه المعالم وأتناولها بشيء من التفصيل من خلال المباحث الآتية.

المبحث الأول: العناية بالأدلة العقلية

والمقصود من مصطلح الأدلة العقلية في هذا البحث، هي الأدلة التي جاءت بإعمال العقل والفكر في القرآن، وهي المقابلة للأدلة الخبرية التي جاءت في القرآن كأخبار الأمم وقصص الرسل.

المطلب الأول: خصائص الأدلة العقلية وأهميتها في الرد القرآني على الشبهات

لما كان التوحيد هو أساس الدين، وبه يتمايز المؤمن عن الكافر، جاء القرآن الكريم ببيانه وبتقريره بمختلف الطرق والأساليب، ولما كان حرب أهل الباطل على التوحيد مستمرة، بغية إطفاء نوره، وإبعاد العقول عن هديه، ليحصل لهم التسلط على تلك العقول بإبقائها متخبطة حائرة في دياجير الظلام؛ لذلك فإن أحد المرتكزات الرئيسة التي ينطلق منها القرآن الكريم في رده على ما يثار حول التوحيد من شبهات، هو تقدير العقل واحترامه، وتجلى ذلك في عنايته بالأدلة العقلية.

أولاً: خصائص الأدلة العقلية القرآنية:

- **لا إفراط ولا تفريط:** القرآن في عنايته بالعقل ينأى عن إفراط الفلاسفة وبعض أهل الكلام الذين يرون أن معرفة الله لا سبيل إليها إلا بالنظر[1]، وينأى عن تفريط أهل الظاهر الذين أنكروا أي دور للعقل في الإيمان، وجعلوا الطريق الوحيد للوصول إلى الإيمان هو النقل فقط، "...كأن التصديق بالوحي نفسه لا يحتاج إلى استخدام العقل!"[2].

---

[1] الفلاسفة يعتقدون أن الأنبياء تكذب فيما تخبر، وأن كذبهم للمصلحة، لذلك لا يطلبون من خبر الأنبياء علماً، ولا يثبتون أدلة عقلية من تلك الأخبار، أما المتكلمون فهم يقرون بصدق الأنبياء، ولكن يسلكون في العقليات طرق غير طريقة الأنبياء، منها ما يسمونه دليل الأعراض وحدوث الأجسام، وأنكروا أن تكون معرفته سبحانه فطرية، وقد خالفهم في ذلك بعض علمائهم، مع إقرارهم باشتمال القرآن على الأدلة العقلية؛ ولهذا لا يعتني الفلاسفة بالقرآن ولا بتفسيره ولا بالحديث وكلام السلف، بخلاف المتلكمين الذين يعظمون القرآن ويعتنون بتفسيره، (يُنظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج13، ص206-207، وج16، ص340؛ والجويني: عبد الملك بن عبد الله، **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**، تحقيق: فوقية محمود، (لبنان: عالم الكتب، ط2، 1987م)، ص87؛ وينظر: العموش: بسام، العقيدة سؤال وجواب، (الأردن: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط1، 2020م)، ص385).

[2] ابن رشد، **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، ص11.

- **لا تعارض النقل:** إن شبهة تعارض العقل والنقل نابعة عن قصور وخلل في فهم النصوص، مما يؤدي إلى اتهام القرآن الكريم بتعطيل العقل، ويبطل هذا الاتهام مجرد النظر في القرآن، فهو"...من أوله إلى آخره خطاب موجّه إلى ذوي العقول والأبصار، وذوي اليقين والفكر، وغني بالأدلة العقلية اليقينية على أصول الإيمان ترشد الحائرين إلى استخدام عقولهم الصريحة؛ لأن العقل أكثر ما يفاخر به المرء المخاصم، والقرآن الكريم لا يهاب نتائج العقل الصريح؛ لأن العقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح والحقائق الإيمانية"[1].
- **يصح الاحتجاج بها على أصول الدين:** وذلك "...أن عامة مسائل أصول الدين الكبار؛ مثل الإقرار بوجود الخالق وبوحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته وعظمته والإقرار بالثواب وبرسالة محمد ﷺ وغير ذلك مما يعلم بالعقل: قد دل الشارع على أدلته العقلية"، فما من مسألة من مسائل أصول الدين التي أثبتها الشرع، يمكن الاحتجاج لها عقلاً، إلا جاء دليلها العقلي في النقل، ونهاية ما يذكره أهل الكلام والمنطق"...جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه..."[2]، وما من برهان ولا دليل عقلي إلا والقرآن قد نطق به، ولكنه يورده على عادة العرب،"...دون دقائق طرق الحكماء والمتكلمين، لأمرين؛ أحدهما: بسبب ما قاله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ...﴾(إبراهيم:4)، والثاني: إن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجلي من الكلام"[3].

ثانياً: أهمية الأدلة العقلية في الرد القرآني على الشبهات:

---

[1] الغماس، **منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الملحدين**، ص33.

[2] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج19، ص230، ج3، 296؛ ويُنظر: العريفي، **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، ص6.

[3] الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد بسيوني، (مصر: كلية الآداب- جامعة طنطا، ط1، 1999م)، ج1، ص27.

إن اهتمام الرد القرآني بالأدلة العقلية ينبئ عن أهميتها في التصدي للمخالف، وأثرها العظيم في بيان الحق وإقامة الحجة، وفي النقاط الآتية بعض التفصيل لأهمية الأدلة العقلية في الرد القرآني على الشبهات[1]:

1. الجمع بين التأثير في القلوب، والإقناع في العقول: وهذه ميّزة تميّز بها الرد القرآني، فحججه تجمع بين إرضاء العقول وإمتاع القلوب، "وهكذا تجد القرآن كله مزيجا حلوا سائغا يخفف على النفوس أن تجرع الأدلة العقلية ويرفه عن العقول باللفتات العاطفية ويوجه العقول والعواطف معا جنبا إلى جنب لهداية الإنسان وخير الإنسان!"[2].
2. الوضوح والجلاء بحيث يفهمها كل عاقل.
3. السهولة والواقعية والمباشرة وقلة المقدمات: فهي تقتصر المسافة بين الدليل ومدلوله؛ لذلك امتازت على الأدلة الكلامية والفلسفية، وخلاصة ما جاء به هؤلاء أتى به القرآن على أحسن وجه، بل أجود وأفخم مما وصلوا إليه، وقد نبه إلى هذا ابن تيمية في قوله: "بل قد تدبرت عامة ما يذكره المتفلسفة والمتكلمة والدلائل العقلية فوجدت دلائل الكتاب والسنة تأتي بخلاصته الصافية عن الكدر وتأتي بأشياء لم يهتدوا لها وتحذف ما وقع منهم من الشبهات والأباطيل مع كثرتها واضطرابها"[3].
4. موصلة لليقين: فهي براهين قطعية الدلالة على ما سيقت لإثباته، قاطعة للشكوك والشبه، ملزمة للمعاند والجاحد.

---

[1] يُنظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج9، ص245؛ وابن القيم، **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**،ج2، ص460؛ والعريفي، **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، ص60- 61.

[2] الزرقاني، **مناهل العرفان**، ج2، ص314.

[3] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج19، ص232- 233.

الشكل رقم 9 مظاهر العناية بالأدلة العقلية في الآيات.

المطلب الثاني: مظاهر العناية بالأدلة العقلية في الآيات

ويمكن تقسيم أنواع الأدلة العقلية في الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد إلى نوعين: ما يعود إلى طريقة الخطاب وأسلوبه، وما يعود إلى طريقة إبطال أقوال المخالفين[1].

النوع الأول: ما يعود إلى طريقة الخطاب وأسلوبه: وفيه ثلاثة أساليب:

أ. **بناء المقدمات المسلّمة وتقريرها للانطلاق إلى النتيجة المطلوب إثباتها**، منها:

1. **مخاطبة العقل بالدلائل الحسّية المحيطة به:** لبناء مقدمة مسلّمة وهي أن الله تعالى هو الخالق والمدبر لهذه المشاهدات المحسوسة، للانطلاق بعد تقريره على ما سبق، إلى نتيجة أن الله تعالى هو الإله المستحق للعبادة، دون ما سواه ممن هو عاجز عن الخلق والتدبير، بل هو مخلوق مدبر، ومن الدلائل الحسّية المحيطة به والتي خوطب بها:

- دلائل الخلق والتدبير في السماوات والأرض وذات الإنسان:[2] فالآيات تدفع بالخصم ليخلع عن عينيه عصابة الألفة، ينظر حوله ليجد الكون وما فيه ينطق بوجود الله تعالى ووحدانيته،[3] فتجد الآيات تخاطب الخصم بخلق السماوات والأرض ومظاهر التنظيم والتدبير لهما، وتخاطبه بخلق ذاته، بتفاصيل متناهية في الإتقان والإحكام والتناسق، ولا تأتي بكل ذلك دفعة واحدة في موضع واحد، إنما جاء التذكير والاحتجاج بها في مواضع متفرقة، تخاطبه مرة بإجمال هذه الدلائل ومرة بتفصيلها مراعاة لطبيعة الإنسان الذي لا يلتفت كثيراً لما يألف ويعتاد رؤيته.[4]

---

[1] أصل التقسيم مأخوذ من كتاب سابغات وهو تحت "طرق مخاطبة العقول"، وقد قمت بتحريره وتعديله ليتناسب مع حصيلة دراسة الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في السورة، يُنظر: السيد، **سابغات**، ص36– 38.

[2] للتفصيل يرجع إلى: ص33، ص107، ص150.

[3] يُنظر: عامري، **براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم**، ص727.

[4] يُنظر: قطب، **ركائز الإيمان**، ص19– 20.

من مواضع ذكر هذه الدلائل الحسّية بإجمال: مقدمة السورة، في الآيات (1-2)[1]، وفي نهاية محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه، وبداية إعلانه للتوحيد، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(79)﴾، ومن المواضع التي جاء فيها تفصيل هذه الدلائل، في الآيات: (95- 99)[2].

- دلائل التنوع والاختلاف:[3] لتجعل الخصم يقرّ بحقيقة أن ظواهر التخصص والاختلاف والتنوع والتمايز البديع في المخلوقات لم يكن مجرد مصادفة أو ظاهرة عفوية، دفعاً به إلى نتيجة أن تلك الظواهر هي"...بصنع فاعل حكيم مختار ليس من جنس الحوادث بل هو خالق كل شيء سبحانه وتعالى"[4]، مثال على ذلك: التنوع النباتي المذكور في الآيات، من خلق الله تعالى لصنوف النبات المختلفة، من النخل والزرع والعنب والزيتون والرمان، متشابها وغير متشابه، في الآيات (99، 141)[5].

2. **النظر العقلي في سعة ملك الله تعالى، وعظيم قدرته وعلمه:**[6] لبناء مقدمة مسلّمة، وهي أن الله تعالى هو المالك الذي يملك كل شيء، وأنه هو القادر الذي تحيط قدرته بكل شيء، وهو العالم الذي يحيط علمه بكل شيء، للانطلاق بعد تقريره على ما سبق إلى نتيجة أن من في ملكه عبيد له، وأن من أحاطت قدرته وعلمه بالأشياء هو الإله الحق، المستحق للعبادة دون

---

[1] قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾(1- 2).

[2] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ... إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(95- 99).

[3] للتفصيل يرجع إلى: ص103-107، ص130،124.

[4] الألمعي، **مناهج الجدل في القرآني الكريم**، ص148.

[5] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ...(141)﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ...(99)﴾.

[6] يُنظر: الألمعي، **مناهج الجدل في القرآني الكريم**، ص149؛ وحسن: عثمان علي، **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، (الرياض: مكتبة الرشد، ط5، 2006م)، ص414.

ما سواه مما لا يملك ولا يقدر ولا يعلم شيئا، وجاء الاستدلال بسعة ملك الله، في شمول ملكه للظاهر والخفي وللمكان والزمان،[1] في الآيات (12- 13)[2]، وإحاطة علم الله تعالى بالغيب والشهادة، في الآية (59)[3]، وإحاطة قدرة الله تعالى وعلمه بزمان الإنسان ومكانه، في الآيات (60، 63)[4]، وإحاطة قدرة الله وعلمه بما يعتمد عليه في معاشه من ظواهر كونية ضرورية، في الآيات (96- 97)[5]، وتنوع نباتي يشكل مصدر الغذاء والدواء الرئيس للإنسان، في الآية (99)[6].

ب. **استثارة العقل بأسلوب السؤال.**[7]

ت. **القياس وضرب الأمثلة**، ومنه:

- الاستدلال بالأثر على المؤثر:[8] احتج السياق القرآني بعظيم مصنوعات الله وآثاره للدلالة على وجود الله تعالى ووحدانيته، وإذا عُرف الصانع، صار هو دليلاً على كل ما سواه، يشير إلى هذا الراغب في قوله:"فإن الإنسان يمكنه أن يعرف حكمة الصانع أولاً بتدبر مصنوعه،

---

[1] للتفصيل يرجع إلى: ص48، ص79.

[2] قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(12- 13).

[3] قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ... وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(59)﴾.

[4] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ...(60)﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...(63)﴾.

[5] قوله تعالى: :﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ... قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(96- 97).

[6] قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ...(99)﴾.

[7] تفصيل الحديث عن أسلوب السؤال في مبحث التنوع في هذا الفصل.

[8] الاستدلال بالأثر على المؤثر هو: التأمل والنظر في العلم الظاهر المحسوس، وذلك هو الأثر، فيستدل به على المؤثر، كدليل الدخان على النار، لأن الدخان هو أثر النار، يُنظر: علاء الدين السمرقندي: محمد بن أحمد، **ميزان الأصول في نتائج العقول**، تحقيق: محمد عبد البر، (قطر: مطابع الدوحة الحديثة، ط1، 1984م)، ج1، ص566؛ وابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، (المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 2005م)، ج1، ص494؛ وابن القيم: محمد بن أبي بكر، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: محمد إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1991م)،ج1، ص102؛ والألمعي، **مناهج الجدل في القرآني الكريم**، ص85؛ والعريفي، **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، ص93.

ومتى عرف حكمة الصانع حينئذ عرف مصنوعاته به، فيصير ما كان دالا مدلولاً، وما كان مدلولاً دالا، وبهذا النظر قال من سُئل: بِمَ عرفت الله؟ فقال: به عرفت كل ما سواه"[1]، وكثيرة هي الأمثلة عليه في الآيات، من ذلك:[2] الاستدلال برؤية إبراهيم عليه السلام لآثار الله ومصنوعاته في الكون ليكون من الموقنين، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(74)﴾، وفي محاجة قومه احتج عليه السلام بأفول الأجرام السماوية للدلالة على أنها مخلوقة لا خالقة، في الآيات (76- 78)[3]، واحتجاجه عليه السلام بخلق الله السماوات والأرض لإثبات التوحيد ونفي الشرك، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ(79)﴾.

النوع الثاني: ما يعود إلى طريقة إبطال أقوال المخالفين: وذلك من خلال مسلكين:

أ. **إبراز التناقضات العقلية أو المنهجية في خطاب الخصم:** وظهرت في:

1. **بيان فساد شبهة الخصم بإظهار تناقضها واضطرابها:** مثال ذلك:[4] بيان فساد شبهة الشرك بإظهار تناقض المشركين في إخلاصهم لله تعالى وحده في الشدة، ثم شركهم بالله تعالى في الرخاء، في الآيات (40- 63,41- 64)[5]، ومثال آخر: بيان فساد شبهة تحريم الخصم لبعض الأنعام دون بعض وبطلانها، بدليل اضطراب وتناقض التحريم وعدم اضطراده في الآيات (144- 143)[6].

---

[1] الراغب الأصفهاني، **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج3، ص1041.

[2] للتفصيل يرجع إلى: ص90، ص103.

[3] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ... قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾(76- 78).

[4] للتفصيل يرجع إلى: ص65، ص78، ص121.

[5] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ... وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾(40- 41)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(63- 64).

[6] قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(143- 144).

2. **بيان فساد شبهة الخصم بإظهار فساد مرجعيتها:** مثال ذلك:[1] بيان فساد الشرك وإبطاله بإظهار أن مرجعية الشرك محض اتباع للهوى، مقابل مرجعية التوحيد بأنها اتباع للبينة والدليل والهدى من الله تعالى، في الآيات (56- 57، 71)[2].

3. **إبطال شبهة الخصم بانتفاء لازمها:** مثال ذلك:[3] إبطال شبهة نسبة الولد إلى الله تعالى بانتفاء اللازم من الولد وهي الصاحبة، في الآية (101)[4].

4. **بطلان شبهة الخصم بمخالفتها لصحيح العقل:** مثال ذلك:[5] إثبات بطلان تحريم الخصم لما أحل الله تعالى بإثبات مخالفة هذا التحريم للعقل، ومن ذلك: مخالفة العقل في قتلهم لأولادهم؛ وقوع الخسارة المحققة لمتبع التشريع بخسارة ولده، وبناء التشريع على محض سفاهة واتباع الظن من غير بيّنة ولا دليل، ومنازعة التشريع لحق الله تعالى، لأن التشريع حق لصاحب الملك، والله هو الذي رزقهم الولد فهو صاحب الحق في التشريع فيه، في الآية (140)[6].

5. **إبطال دعوى الخصم بإثبات خلوّها من الحجة وأن البرهان قام على نقيضها:**[7] مثال ذلك:[8] إبطال دعوى الخصم تحريمه لما أحل الله تعالى، في تحريمه لبعض الأنعام دون بعض، بإثبات خلو تحريمه من الحجة والدليل؛ فأثبت أن التحريم ليس لعلة في ذات الأنعام بدليل عدم اطراد التحريم، وليس وحياً لانعدام الدليل على

---

[1] للتفصيل حول هذه الأمثلة يرجع إلى: ص81، 92، ص153.

[2] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾(56- 57)، وقوله تعالى:﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...(71)﴾.

[3] للتفصيل يرجع إلى: ص105.

[4] قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ...(101)﴾.

[5] للتفصيل يرجع إلى: ص135.

[6] قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ...(140)﴾.

[7] يُنظر: الألمعي، **مناهج الجدل في القرآني الكريم**، ص86.

[8] للتفصيل يرجع إلى: ص120-122، ص91.

ذلك، فأثبت بطلان نسبة التحريم إلى الله تعالى، وأثبت أن الدليل قام على نقيض ما زعم الخصم، في أن المحرمات بطريق الوحي غير ما ادعى، في الآيات (143– 144)[1]، مثال آخر: إبطال إبراهيم عليه السلام لألوهية الكواكب بدليل أفولها، ثم بيان أن البرهان قام على النقيض من دعواه، بأن الإله واحد لا شريك له في وحدانية الله تعالى بدليل أنه فطر السماوات والأرض، في الآيات (76– 79)[2].

6. **بيان فساد شبهة الخصم ببيان حال الآلهة التي تعبد من دون الله تعالى**[3]، ومنه:

أ. **افتقارها لصفات الربوبية:** تواجه الآيات الخصم بحقيقة تجرد شركائهم من الربوبية، فهم لا يخلقون شيئاً بل يُخلقون، وليس لهم نصيب من الملك، ولا يملكون نفعاً ولا ضرًّاً سواء عبدت أم لم تُعبد، دل على أنها ليست أهلاً لأن تعبد، وأن الله الخالق والمالك لكل شيء، والمدبر الذي بيده النفع والضر، هو المستحق للعبادة وحده، وأمثلة افتقار معبوداتهم لصفات الربوبية في الآيات كثيرة، منها:

- لا يخلقون شيئا بل يُخلقون:[4] إبطال السياق القرآني لألوهية الجن ببيان أنها مخلوقة لله تعالى، والمخلوق ليس بإله، وتبيّن الآية بأن كل

---

[1] قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(143– 144).

[2] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي ... إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(76– 79).

[3] يُنظر: ابن الحنبلي: عبد الرحمن بن نجم، **استخراج الجدال من القرآن الكريم**، تحقيق: زاهر الألمعي، (د.م: مطابع الفرزدق التجارية، ط2، 1981م)، ص84– 85؛ وابن تيمية، **النبوات**، ص342؛ والعريفي، **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، ص275– 280.

[4] للتفصيل يرجع إلى: ص109.

شيء في الوجود مخلوق لله تعالى، وأن الله تعالى هو المتفرد بالألوهية، في الآيات (100- 101)[1].

- لا يدفعون ضرًّاً، ولا يجلبون نفعاً:[2] في الآيات (40- 41، 46، 63- 64، 71)[3]، وحتى لو لم تُعبد فلا تملك لهم ضرًّاً، وهو ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه، في الآيات (80- 81)[4].

ب. اتصافها بصفات النقص، من ذلك:[5]

- أفولها واحتجابها عن من يعبدها، وهو ما أبطل به إبراهيم عليه السلام ألوهية الأجرام السماوية، في الآيات (76- 78)[6].
- عجزها عن الدفاع عن نفسها والكيد بأعدائها، وهو ما أبطل به إبراهيم تخويف قومه له، في الآيات (80- 81)[7].

ب. **إبراز اللوازم الفاسدة لأقوال الخصم:** ومن صوره في الآيات:

1. **القول بكثرة الآلهة:**[8] دعوى وجود الشركاء مع الله تعالى تقتضي القول بتعدد وكثرة الآلهة، وهذا القول يبطل نفسه بنفسه؛ لأنه لو كانت الآلهة تملك نفعا أو ضرًّاً، لكان

---

(1) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(100- 101).

(2) للتفصيل يرجع إلى: ص62، ص76-77.

(3) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ... وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾(40- 41)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ...(46)﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(63- 64)، وقوله تعالى:﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...(71)﴾.

(4) قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ... فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(80- 81).

(5) للتفصيل يرجع إلى: ص91، 94.

(6) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ... قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾(76- 78).

(7) قوله تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ... فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(80- 81).

(8) يُنظر: الباقلاني: أبو بكر، محمد بن الطيب، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، تحقيق: عماد الدين حيدر، (لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1987م)، ص45.

الواحد منها كافياً عن المجموع، فلما لم يكن كذلك ثبت بطلان ألوهيتها، ولو كان هناك أكثر من إله لطلب كل إله مغالبة الآخر، "...والعلو عليه، وتفرده دونه بإلهيته، إذ الشركة نقص في كمال الإلهية، والإله لا يرضى لنفسه أن يكون إلها ناقصا ... وفي ذلك فساد أمر السماوات والأرض ومن فيها"[1]، ولما كان الواقع استقامة أمر السماوات والأرض ودقة نظامهما، مثال ذلك:[2] ما جاء في الآيات (1، 95- 99)[3]، ثبت أن الذي يدبرهما ويملكهما إله واحد، وقد أشار إبراهيم عليه السلام إلى فساد تعدد الآلهة في إنكاره على أبيه عبادة الأصنام، فجاء بصيغة الجمع:﴿...أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً...(74)﴾، ولم يقل (إلهاً) إنكاراً عليه كيف جعل الإله الواحد آلهة متعددة.

2. **المساواة بين المختلفات والتفريق بين المتشابهات:**[4] أنكر الرد القرآني على الخصم مساواته بين المختلفات؛ بمساواته بين الخالق والمخلوق، حيث أنهم ساووا بين الله تعالى وبين شركائهم[5]، في قوله تعالى:﴿...ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾، والتفريق بين المتشابهات؛ في أنهم فرقوا بين المخلوقات، في جعلهم الجن المخلوقة في مقام الألوهية، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ...(100)﴾.

---

[1] ابن القيم: محمد بن أبي بكر، **الداء والدواء**، (المغرب: دار المعرفة، ط1، 1997م)، ص202.

[2] للتفصيل يرجع إلى: ص40، ص104.

[3] قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ...(1)﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ... إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(95- 99).

[4] يُنظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج9، ص243، 249.

[5] للتفصيل يرجع إلى: ص33، ص110.

المبحث الثاني: التدرج في الاستدلال

المطلب الأول: أهمية التدرج في الرد القرآني على الشبهات

يمكن تلخيص أهمية التدرج في الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في النقاط الآتية:[1]

- **التدرج أدعى لقبول الخصم للحق:** وأوقع في النفس، وأعظم تأثيراً في القلب، وأدعى إلى التنبه للخطأ، والرجوع عن الباطل.
- **التدرج علاج للنفور:** وأنأى بالخصم عن العناد والمكابرة.[2]
- **التدرج فيه جذب لانتباه الخصم:** إن التدرج بالابتداء بما يقرّه الخصم فيه جذب لسمعه، واستثارة لفضوله، يقوده ذلك إلى سماع الحجج ومعرفة الحق.
- **استدراج الخصم لإقامة الحجة عليه:** فالتدرج فيه"...إرخاء العنان مع الخصم ليعثر حيث يراد تبكيته وإفحامه، وهو من مخادعات الأقوال والتصرفات الحسنة التي هي السحر الحلال، حيث يسمعه الحق على وجه لا يغضبه".[3]
- **الحكمة قاضية بالتدرج:** لأن الطبائع لا تقبل التغيير فوراً، ولا تتخلى عن عاداتها وموروثاتها وما ترسخ فيها من معتقدات وأفكار دفعة واحدة.[4]

---

[1] التدرج غير محصور في الخطاب القرآني، إنما كان سمة بارزة للدين بأكمله؛ لذلك تميز الخطاب النبوي بالتدرج كذلك، يُنظر: دبابش: منال، **منهج الرسول ﷺ في التربية من خلال السيرة النبوية**، رسالة ماجستير، (غزة: الجامعة الإسلامية، د.ط، 2008م)، ص41؛ وسليمان: تيسير محمد، **فقه التدرج في الدعوة**، أطروحة دكتوراه، (السودان: جامعة أم درمان، د.ط، 2012م)؛ وجابي: محمد مدهير، **فقه التدرج في التبليغ والتشريع في ضوء السنة النبوية**، أطروحة دكتوراه، (ماليزيا: جامعة المدينة العالمية، 2016م).

[2] يُنظر: عبد الرحمن: عبد الله بن الزبير، **من مرتكزات الخطاب الدعوي**، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1997م)، ص120.

[3] ابن معصوم: علي بن أحمد، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، تحقيق: شاكر شكر، (النجف: مطبعة النعمان، ط1، 1969م)، ج6، ص62.

[4] يُنظر: عبد الرحمن، **من مرتكزات الخطاب الدعوي**، ص120.

- **الابتداء بطريق غير مباشر للوصول إلى إثبات قضية ما تفخيم لشأنها:** "...أنَّ الصفةَ إذا لم تأتِكَ مُصرَّحاً بذِكْرها، مكشوفاً عن وجهها، ولكن مدلولاً عليها بغيرها، كان ذلك أفخمَ لشأنها، وألطفَ لمكانِها..."[1].
- **الانطلاق من نقطة اتفاق مع الخصم أرجى لاقتناعه وتبنّيه الفكرة:** الانطلاق من دليل يقرّ الخصم بصحته، وسلوك للطريق الذي يعرفه، أقرب لتحقيق المقصود الأسمى من الرد على شبهاته، وهو بيان الحق والإرشاد إلى الصواب، "...وعلى هذا النحو تجد احتجاجات القرآن؛ فلا يؤتى فيه إلا بدليل يقر الخصم بصحته شاء أم أبى"[2].
- **ترك التدرج في الرد على شبهات التوحيد يأتي بآثار سلبية ونتائج عكسية تضر بالقضية:** منها نفور الخصم، ومكابرته عن سماع الحق، بل قد يلحق أهل الحق الأذى والمضرة.

---

[1] الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**،ج1، ص306.

[2] الشاطبي: إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، تحقيق: مشهور آل سلمان، (د.م: دار ابن عفان، ط1، 1997م)، ج5، ص417، ويُنظر:ج5، 415- 416.

الشكل رقم 10 صور التدرج في الآيات.

المطلب الثاني: صور التدرج في الآيات

جاء التدرج في الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في أربع صور، هي:

الأولى: التدرج في السياق العام للسورة في ردها على الشبهات المتعلقة بالتوحيد: وتتضمن:

أ. **تمايز بداية الرد عن نهايته:** إن المقارنة بين افتتاحية السورة وخاتمتها ينبئ عن تدرج حكيم في الرد على شبهات الخصم، والجدول أدناه يوضح هذا التمايز.

الجدول رقم 1 تمايز بداية الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد عن نهايته

	الافتتاحية	الخاتمة
مقصودها	الابتداء ببيان الحجج والجدال مع الخصم، وإثارة انتباه الخصم.	إنهاء الجدال مع الخصم، والفراغ من الرد عليه.
أهميتها في الرد على شبهات الخصم	1. الابتداء بالأدلة المتفق عليها للوصول إلى القضية المختلف فيها. 2. الابتداء بإقامة الأساس الصحيح للتوحيد؛ بالاحتجاج بأدلة توحيد الربوبية، التي تفضي إلى توحيد الألوهية، في أن الذي خلق ودبر هو المستحق للألوهية والعبودية.	1. إجمال الأفكار الرئيسة والتذكير بها، وهي: • تكامل التوحيد وشموله لكل مناحي الحياة. • مفاصلة الخصم بإعلان التوحيد ونفي الشرك.[1] 2. إعلان أمور تقطع لجاجة الخصم وتنهي النقاش، وهي: • إعلان قوة الموقف وثبات الرسول ﷺ عليه، ورفضه لاتباع الخصم.[2] • التركيز على أصل الرسالة في أنها هداية للناس، تأكيداً على المقصود من الرد على شبهات الخصم.

إن ما تضمنته الخاتمة من مواضيع، لا يناسبه– في سياق الرد على الشبهات في السورة– إلا أن يأتيَ نتيجة طبيعية يختتم فيها الرد على الشبهات، ولو قُدم شيء منه لاختل نظم الاستدلال وسياقه في السورة؛ لنفترض– على سبيل التقريب– لو أن السورة ابتدئت بتجريد الرسول ﷺ نفسه لله تعالى في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(162)﴾، كيف ستكون ردة فعل الخصم؟ وهو الرافض لفكرة التوحيد جملة وتفصيلاً، هل تراه سيصغي إلى ما تسوقه السورة من حجج ودلائل؟ حتماً لا، بل هو سيكون سبباً لنفوره وإعراضه، وتحميله ما لا يملك تصوره.

ب. **التدرج العام للرد القرآني:** *يليه رسماً توضيحياً*

1. الابتداء بتقرير دلائل الربوبية: من خلق وتدبير، وكمال علم الله تعالى وقدرته، وسعة ملكه، في الآيات (1– 3)[1]، (11– 13)[2].

---

[1] يُنظر: فضل الله، **الحوار في القرآن**، ص219– 222.

[2] يُنظر: **المرجع السابق**.

2. تقرير دلائل الربوبية: في قهر الله تعالى لعباده، واختصاصه بالنفع والضر، في الآيات (17– 18)[3].

ولما أقيمت قاعدة صلبة من الدلائل والحقائق الدامغة على التوحيد، لا ينكرها إلا خصم معاند أو مكابر، يأتي الأمر بمفاصلته:

3. الإشهاد والمفاصلة بين التوحيد والشرك، في الآية (19)[4].
4. الضغط على أسباب الضعف الإنساني باستثارة فطرة الخصم، في الآيات (40– 47)[5].
5. النهي عن عبادة غير الله تعالى، وإعلان الرفض لاتباع أهواء الخصم، في الآيات (56– 57)[6].
6. تقرير دلائل الربوبية: في كمال علم الله تعالى وقدرته وقهره الإنسان، (59– 65)[7].
7. استنكار دعاء من لا ينفع ولا يضر، في الآية (71)[8].

ثم ينتقل السياق القرآني للرد على شبهات ونماذج معينة متعلقة بالتوحيد:

8. النموذج الأول: الرد على شبهة عبادة الكواكب والأصنام، في الآيات (74– 83)[9].
9. تكثيف وتفصيل دلائل الربوبية من خلق وتدبير، في الآيات (95– 99)[10]، تمهيداً لإبطال النموذج الثاني.

---

[1] قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(1– 3).

[2] قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ... وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(11– 13).

[3] قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ... وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾(17– 18).

[4] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...(19)﴾.

[5] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ... هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾(40– 47).

[6] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾(56– 57).

[7] قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ... انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾(59– 65).

[8] قوله تعالى:﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...(71)﴾.

[9] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(74– 83).

[10] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ... إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(95– 99).

10. النموذج الثاني: الرد على شبهة الشرك بالجن، ونسبة البنوة إلى الله تعالى، في الآيات (100- 103)[1].

11. النموذج الثالث: الانتقال إلى الشبهات المتعلقة بالتطبيق العملي لذلك الاعتقاد القلبي، في الرد على شبهة الشرك في التوجه والاحتكام، في الآيات (136- 153)[2].

12. الختام بتقديم نموذج واقعي لتطبيق التوحيد الشامل: بإعلان الرسول ﷺ موقفه الثابت، وإعلان تجريد حياته لله تعالى، والامتنان بالخلافة، في الآيات (161- 165)[3].

وجوه تناسب وترابط آيات الدراسة:

لما كانت الآيات الأولى من سورة الأنعام، (1- 3)[4]، في إثبات التوحيد بدليل ربوبيته في الخلق والتدبير، أعقب في الآيات (11- 19)[5]، بإثبات التوحيد بدليل ربوبيته في كمال الملك والقدرة، ولما كانت الآية الأولى في السورة تبين خلق الله تعالى السماوات والأرض، جاءت الأخرى ببيان ملكه المطلق لما فيهما، فجمعت الآيات إثبات التوحيد بأنه تعالى خالق السماوات والأرض، وبأنه تعالى المالك المتفرد بالملك فيهما.

ثم تمحورت الآيات (40- 47)[6] حول الاستدلال على التوحيد بأحوال يخلص فيها الخصم إلى الله تعالى بالدعاء، استدلالاً عليه بفطرته التي تعرف ربها في الشدة، ثم جاءت الآيات (56-

---

[1] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ... وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(100- 103).

[2] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ... ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(136- 153).

[3] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ... إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(161- 165).

[4] قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ... يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾(1- 3).

[5] قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ... قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾(11- 19).

[6] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ... هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾(40- 47).

67)[1] تجمع بين الاحتجاج عليهم بكمال علم الله تعالى وقدرته وبين مواجهة الخصم بتلك الأحوال التي يلجأ فيها إلى الله وحده.

وبعد هذه الجولات لجدال الرسول ﷺ مع قومه، يحتج السياق القرآني على الخصم بنبي آخر جادل قومه، وهو إبراهيم عليه السلام، وينتقل السياق القرآني من الرد على عموم شرك الخصم إلى الرد على شبهات بعينها وإبطالها، في إبطال نسبة الألوهية إلى الكواكب والأصنام، في الآيات (71- 83)[2]، ثم إبطال الشرك بالجن ونسبة البنوة إلى الله تعالى، في الآيات (95- 103)[3].

لما فرغ السياق القرآني من الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في عموم الاعتقاد والعبادة، انتقل للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في الاحتكام والتشريع، في الآيات (136- 153)[4]، إبطالاً لأي محاولة لفصل التوحيد النظري عن العملي، ولتقرير أن التشريع حق خالص للخالق ولمالك، وهو الله تعالى، لا يشاركه في ذلك أحد.

لما فرغت الآيات من الرد على الشبهات المتعلقة بتوحيد العبادة والاعتقاد، ثم الرد على الشبهات المتعلقة بتوحيد الاحتكام والتشريع، جاءت الخاتمة بإجمال ذلك كله، وإعلان ثبات الرسول ﷺ على موقفه، غلقاً لباب الجدال وإنهاءً للنقاش.

---

[1] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(56- 67).

[2] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(71- 83).

[3] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ... لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(95- 103).

[4] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ... ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(136- 153).

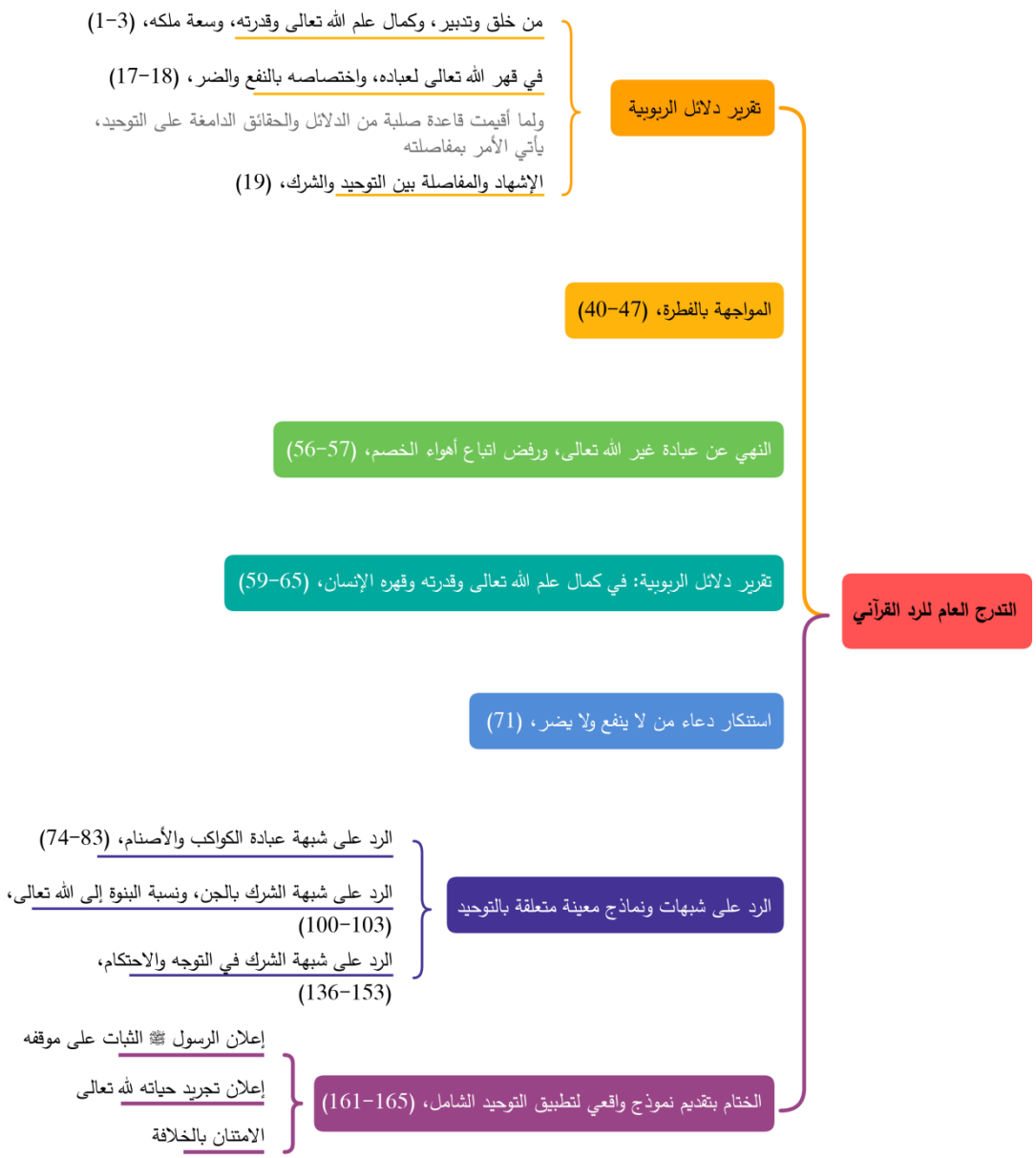

الشكل رقم 11 التدرج العام للرد القرآني.

ج. **ابتداء السورة بطريق غير مباشر:** وهي من أساليب الإقناع المؤثرة التي انتهجها القرآن،: "...حيث تخاطب العقول ابتداء بما تفهم، ثم يتدرج معها حتى تصل إلى المراد إيضاحه ولإقامة الحجة عليه"[1]، وجاء على شكلين، هما:

الأول: ابتداء السورة بتقرير توحيد الربوبية الذي يفضي إلى إثبات توحيد الألوهية: مثال ذلك: الابتداء بطريق غير مباشر بالاحتجاج بدلائل الربوبية من خلق السماوات والأرض وتدبيرهما:[2] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾، وملك الله تعالى لما فيهما: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ...(12)﴾، لإثبات ما يلزم من ذلك، وهو عبودية من فيهما لله وحده؛ لذلك أعقب بإثبات التوحيد بطريق مباشر بإعلان كلمة التوحيد، وإعلان التبرؤ من الشرك في الآية (19)[3].

مثال آخر:[4] ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام من تدرج في إثبات التوحيد بطريق غير مباشر بإبطال ربوبية الكواكب، للوصول إلى الطريق المباشر في إعلان إبراهيم عليه السلام التوجه إلى الله تعالى، في الآيات (71– 83)[5].

الثاني: التدرج من التعريض[6] إلى التصريح:[7] كان الابتداء بمجرد التعريض بشبهات الخصم في قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾، وقوله: ﴿...ثُمَّ أَنْتُمْ

---

[1] الشهراني: محمد بن سعد، **أساليب الحجاج في القرآن الكريم في سورتي المائدة والأنعام**، (السودان: جامعة أم درمان الإسلامية، د.ط، 2011م)، ص149.

[2] للتفصيل يرجع إلى: ص35، ص48.

[3] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...(19)﴾.

[4] للتفصيل يرجع إلى: ص105.

[5] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(71– 83).

[6] التعريض هو:"أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء"، ابن المعتز: عبد الله بن محمد، **البديع في البديع**، (د.م: دار الجيل، ط1، 1990م)، ص139.

[7] للتفصيل يرجع إلى: ص33، ص46.

تَمْتَرُونَ(2)﴾، ثم استنكار الرسول ﷺ على نفسه اتخاذ غير الله تعالى وليّاً، تعريضاً بالخصم الذي اتخذ أولياء غير الله تعالى، في قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا...(14)﴾، ثم يتحول السياق عن التعريض إلى التصريح في مواجهة الخصم بإقراره على شركه، والتصريح بكلمة التوحيد، ونفي الشرك في قوله تعالى: ﴿...أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19)﴾.

د. **تقديم الأصول على الفروع[1].**

الثانية: التدرج في الرد على الشبهة الواحدة: مثال ذلك:[2] استعمال أسلوب الاستدراج في الرد القرآني على الشبهة؛ في الآيات (40– 41)[3]، ابتدأ بسؤال الخصم عمن يُدْعَى ويلجأ إليه عند مجيء عذاب الله أو مجيء الساعة، لاستدراجه إلى الاعتراف بأنه لا يلجأ إلا إلى الله تعالى؛ ليصل به إلى إبطال شركه، ويشير أبو حيان إلى ذلك فيقول: "وهذه الآية عند علماء البيان من باب استدراج المخاطب وهو أن يلين الخطاب ويمزجه بنوع من التلطف والتعطف حتى يوقع المخاطب في أمر يعترف به فتقوم الحجة عليه، والله تعالى خاطب هؤلاء الكفار بلين من القول وذكر لهم أمرا لا ينازعون فيه وهو أنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله لا غيره..."[4].

الثالثة: الانطلاق من قضايا مشتركة يقرّها الخصم للرد على شبهاته: عمد السياق القرآني في مواضع كثيرة إلى بناء الاحتجاج على مقدمّات يسلّم لها الخصم، وأهمها وأكثرها استعمالاً دلائل الربوبية، ومثال ذلك:[5] الاحتجاج على الخصم بما يقرّ به من ملك الله تعالى للسماوات والأرض، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ... (12)﴾، لإبطال اتخاذه غير الله تعالى وليّاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...(14)﴾.

---

[1] تفصيل الحديث عنه في مبحث تقديم الأصول على الفروع في هذا الفصل.

[2] للتفصيل يرجع إلى: ص62.

[3] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ... وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾(40– 41).

[4] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج4، ص511.

[5] للتفصيل يرجع إلى: ص48.

الرابعة: التدرج من الدليل الحسّي إلى الدليل العقلي:[1] بما أن المنكر للتوحيد متعلق بالأدلة المادية، ومن أدلته مطالبتهم الرسول ﷺ بالخوارق المادية والعذاب، في الآيات (57- 58)[2]، جاء السياق القرآني بالتدرج مع الخصم من الأدلة الحسّية ليبني عليها أدلة عقلية لا يملك إنكارها لإثبات التوحيد، مثال ذلك:[3]

- في قصة إبراهيم عليه السلام، تدرج مع الخصم من أدلة حسّية في رؤيتهم لأفول الكواكب، وهذا دليل على بطلان ألوهيتها، ليتدرج بهم إلى الدليل العقلي في أن فاطر السماوات والأرض هو المستحق للألوهية، في الآيات (74- 79)[4].
- تدرج السياق القرآني من الأدلة الحسّية في فلق الله تعالى الحَبَّ والنوى، وإخراجه الحيَّ من الميت والميت من الحي، وفي فلق الصبح، وإسكان الليل، وجعله الشمس والقمر حسباناً، وجعله النجوم علامات للطريق، وإنزاله للمطر من السماء، لإخراج النبات من الأرض، والتنوع المدهش للنبات، في الآيات (95- 99)[5]، ليتدرج بهم من هذه الأدلة الحسّية إلى الدليل العقلي؛ أن الخالق لهذا كله- وهو مشاهد أمام أعينهم- هو المستحق للعبادة، لا ما نسبوا له من شركاء الجن ومن بنين وبنات، في الآيات (100- 102)[6].

---

[1] يُنظر: أبو زهرة: محمد أحمد، **تاريخ الجدل**، (د.م: دار الفكر العربي، ط1، 1934م)، ص68.

[2] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ... وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾(57- 58).

[3] للتفصيل يرجع إلى: ص38، 47.

[4] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ... وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(74- 79).

[5] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ... إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(95- 99).

[6] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(100- 102).

المبحث الثالث: التنويع في الاستدلال على القضية الواحدة

المطلب الأول: أهمية التنويع في الرد القرآني على الشبهات

يمكن تلخيص أهمية التنويع في الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في النقاط الآتية:

- **مراعاة اختلاف أحوال المخاطبين:** لما كان الرد القرآني على الشبهات موجهاً إلى طيف واسع من المخاطبين، على اختلاف عقولهم وأفهامهم ونفسياتهم، نوع السياق القرآني الأدلة والأساليب المستعملة في الرد على الخصم ليستوعب الإحاطة باختلاف أحوال المخاطبين وتنوعهم[1].
- **دفع الملل والسآمة:** يشير إلى هذا المعنى رشيد رضا في قوله: "التنويع في الاحتجاج والتفنن في أساليبه من ضروريات الدعوة إلى الدين وإلى غير الدين من المقاصد البشرية أيضا، لأن التزام دليل واحد على المطلوب الذي لا بد من تكرار ذكره، أو إيراد عدة أدلة بأسلوب واحد قد يفضي إلى سآمة الداعي من التكرار على رغبته في الدعوة وتفانيه في نشرها وإثباتها، فكيف يكون تأثيره في المدعوين الكارهين له ولها..."[2].
- **إقناع المخاطبين والتأثير عليهم:** بإثبات القضية الواحدة بضروب مختلفة من الأدلة والأساليب[3].
- **دليل على صحة القضية المراد إثباتها:** "والمادة الحق يمكن إبرازها في الصور المتعددة وفي أي قالب أُفرغت وصورة أُبرزت ظهرت صحيحة، وهذا شأن مواد براهين القرآن، في أي صورة أبرزتها في غاية الصحة والبيان"[4].

---

[1] يُنظر: حسن، **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، ص157- 159.

[2] رضا، **تفسير المنار**، ج7، ص324.

[3] يُنظر: الشهراني، **أساليب الحجاج في القرآن الكريم في سورتي المائدة والأنعام**، ص149.

[4] ابن القيم: محمد بن أبي بكر، **إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة**، تحقيق: أيمن الشوا، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1996م)، ص118.

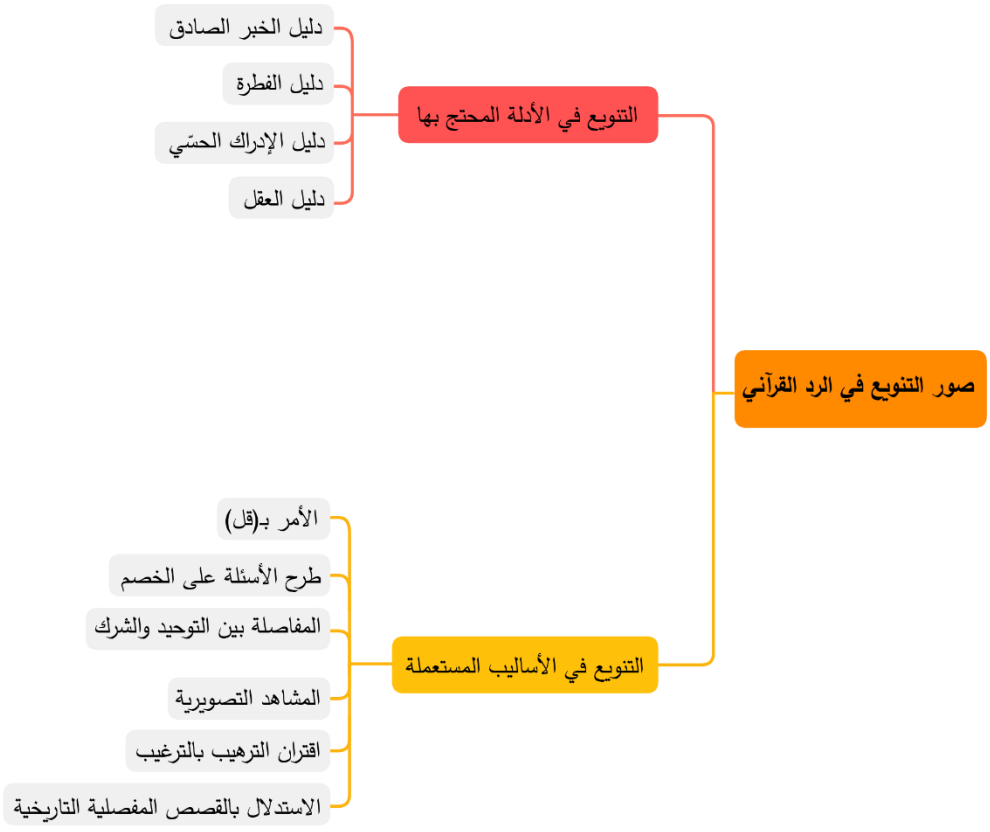

الشكل رقم 12 صور التنويع في الآيات.

المطلب الثاني: صور التنويع في الرد القرآني في الآيات

يمكن تقسيم التنوع في الاستدلال في الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد إلى قسمين: القسم الأول: التنويع في الأدلة المحتج بها، القسم الثاني: التنويع في الأساليب المستعملة؛

القسم الأول: التنويع في الأدلة المحتج بها: تنوعت الأدلة التي رد بها القرآن على شبهات الخصم، فمرة يحتج على التوحيد وإبطال الشبهات المتعلقة به بالمشاهدات المرئية في السماوات والأرض، ومرة بدلائل في نفس الخصم، ومرة بأحوال لأمم غابرة هالكة، ويمكن تصنيف الأدلة إلى أربعة أقسام، وهي تشكل الطرق التي يتوصل بها إلى المعرفة[1]:

1- **الرد على شبهات الخصم بدليل الخبر الصادق:** جاء ذلك في:[2] الأمر بعموم الإنذار بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿...وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...(19)﴾، والإنذار بأقوال معينة أُكد على ضرورة تبليغها بالأمر بـ(قل)[3]، وما صرحت به الآيات من الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، في الآيات (14، 19، 56، 71، 102، 163)[4]، وكذلك ما جاء من استدلال على الخصم بذكر قصص تاريخية لأمم مختلفة، منها: أمم حل بهم العذاب، في الآيات (42- 45)[5]، وقصة إبراهيم مع قومه، في الآيات (75- 83)[6].

---

[1] يُنظر: حبنكة الميداني، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، ص134؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج7، ص235.

[2] للتفصيل يرجع إلى: ص57 ص84، ص98 ص114 ص140، ص70، ص98.

[3] سيأتي تفصيل الكلام حول الأمر بـ(قل) واستعماله في الرد على الشبهات في هذا المبحث.

[4] قوله تعالى: ﴿...قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14)﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً...(19)﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...(56)﴾، وقوله تعالى:﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...(71)﴾، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ...(102)﴾، وقوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ...(163)﴾.

[5] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ ... وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(42- 45).

[6] قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(75- 83).

2- **الرد على شبهات الخصم بدليل الفطرة:**[1] تخاطب الآيات الخصم بما يجد في نفسه من معرفة فطرية يقينية بالله تعالى[2]، حتى قبل الاستدلال بالخلق على الخالق ووحدانيته، وهذه المعرفة فطرية "...ضرورية بديهية أولية"؛ لذلك لم تكن دعوة الرسل لقومهم حثهم على طلب الأدلة على معرفة الخالق، بل كانت دعوة تذكير لفطرهم التي عرض لها ما غيرها[3].

ومن أمثلة الاحتجاج بدليل الفطرة في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد:[4] ما جاء من مواجهة الخصم بمشاهد لبأس الله تعالى، التي يعلم من نفسه عجزه فيها وإخلاصه التوجه إلى الله تعالى لكشفها، في الآيات (40- 41، 46، 63- 64)[5]، كما تنبه الآيات إلى إمكان فساد هذه الفطرة وأسبابه: بحكاية نماذج لمن نزل عليهم بأس الله تعالى ولم يتضرعوا، وكان سبب فساد فطرهم قسوة قلوبهم وتزيين الشيطان لعملهم القبيح، في الآيات (42- 45)[6].

3- **الرد على شبهات الخصم بدليل الإدراك الحسّي:**[7] ردت الآيات على شبهات الخصم المتعلقة بالتوحيد بألوان من الأدلة الحسّية التي تدل على وحدانية الله تعالى وتبطل شبهات الخصم، من ذلك: ما يشاهده ويراه من تناسق الكون من حوله، وانتظامه وإتقان تفاصيله، في الآيات (1، 95- 99، 141-

---

(1) يُنظر: قطب، **ركائز الإيمان**، ص22- 21، 59، 41؛ والعريفي، **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، ص135؛ والعجيري، **شموع النهار**، ص9.

(2) سبق الإشارة إلى أن الله سبحانه معروف في فطرة الإنسان، وهو ما أشار إليه حديث الرسول ﷺ في قوله: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ج2، ص95، رقم (1358)، فكل إنسان يولد على الفطرة السوية، "...فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام ... وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة"، يُنظر: **مجموع الفتاوى**، ج4، ص245.

(3) يُنظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج16، ص338،324.

(4) للتفصيل يرجع إلى: ص63 ص77، ص64.

(5) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ... وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾(40- 41)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ...(46)﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(63- 64).

(6) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ ... وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(42- 45).

(7) للتفصيل يرجع إلى: ص37 ص47 ص70، ص106-107، ص80.

142)[1]، وخلق جسده وأعضائه، في الآيات (46، 98)[2]، وما يدرك بحواسه من العجز أمام قهر الله تعالى له بالنوم والموت، في الآيات (60- 61)[3].

4- **الرد على شبهات الخصم بدليل العقل**[4].

القسم الثاني: التنويع في الأساليب المستعملة، ومنها:

أولاً: تصدير الآيات بالأمر بـ(قل):[5] تميز الرد القرآني على شبهات الخصم المتعلقة بالتوحيد بكثرة استعمال الأمر بـ(قل)[6]، وقد نبه صاحب الأساس في التفسير إلى معالجة الآيات المصدّرة بـ(قل) لما وقع فيه الخصم من جحود وإنكار واقتراح للآيات، وضرورة أن ينتبه الدارس لما يلفت إليه السياق القرآني النظر،"...وأن ينتبه إلى الأوامر المصدرة بكلمة (قل) فإنّها تمثّل الموقف المداوي والمكافئ لمواقف الكافرين"[7].

ثانياً: توظيف أسلوب طرح الأسئلة على الخصم:[8] إن أهمية طرح الأسئلة في سياق الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد تكمن في عدة أمور، منها:

1. التنويع في أساليب إقامة الحجة على الخصم.

---

(1) قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ...(1)﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ... إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(95- 99)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ... كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(141- 142).

(2) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ...(46)﴾، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...(98)﴾.

(3) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ... حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾(60- 61).

(4) تفصيل الحديث عنه في مبحث العناية بالأدلة العقلية في هذا الفصل.

(5) للتفصيل يرجع إلى: ص83، ص53، ص95، ص136، ص125.

(6) تكرر الأمر بـ(قل) ثمانياً وثلاثين مرة.

(7) حوى، **الأساس في التفسير**، ج3، ص1575؛ وقطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص1131؛ وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج8- أ، ص153.

(8) للتفصيل يرجع إلى: ص83، ص68، ص50، ص139، ص126، ص111، ص172.

2. أداة ناجعة في العملية التعليمية فيها بيان لصحة الأفكار المطروحة[1].
3. تكثير المعاني[2].
4. التنبيه وإعداد السامعين لتلقي ما بعد الاستفهام[3].
5. إبراز ما في موقف الخصم من تناقضات وإشكالات: لأن "...أصحاب الشبهات على مختلف توجهاتهم لا تخلو مذاهبهم من إشكالات كبرى، يجب أن تُبرز للناس، وذلك عن طريق إثارة الأسئلة حولها، وطلب الإجابة من المدافعين عنها. والذي يسلكه الملحدون واللادينيون إنما هو إثارة الإشكالات على الإسلام دون نقد لمرتكزات أفكارهم وقواعد تصوراتهم"[4].

وفيما يأتي أمثلة تبيّن التنويع في أغراض الاستفهام في الآيات:

- **التقرير:**[5] في سؤال الخصم عمن يعيد إليه أجزائه إن سلبها الله منه، لتقريره أنه لا إله غير الله يملك إعادتها، في الآية (46)[6].
- **الإنكار:** في إنكار إبراهيم عليه السلام على قومه تخويفهم له من معبوداتهم، وعدم خوفهم من الله تعالى، في الآية (81)[1].

---

[1] استوعب التعليم الحديث أهمية طرح الأسئلة في العملية التعليمية؛ لذلك توصي الأبحاث الحديثة بالعناية بتصميم الأسئلة التي يطرحها المعلم، والتصميم الجيد للأسئلة المطروحة على المتعلم تساعده على الوصول لأهداف محددة في موضوع معيّن، كما أن الأبحاث توصي بالطرح المنظم للأسئلة الذي يساعد على تطوير العملية التعليمية للمتعلم، يُنظر: Orlich et al., Teaching Strategies: A Guide to Effective Instruction, 215.

[2] يرجع إلى مثال مفصل على هذا: ص51.

[3] يُنظر: الشقيرات: محمود عطية، **استراتيجية الأسئلة لتعليم التفكير**، رسالة المعلم، (وزارة التربية والتعليم، م46، ع2)، ص57.

[4] أحمد السيد، **سابغات**، ص62- 63.

[5] "إن استفهام التقرير وإن تظاهر بالاستفسار، فإنه لا يطلب الخبر بل يبحث في إقراره على المخاطب/الخصم ليضعه أمام تبعاته"، عادل: عبد اللطيف، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، (الرباط: دار الأمان، ط1، 2013م)، ص217؛ ويُنظر: الألمعي، **مناهج الجدل في القرآني الكريم**، ص76.

[6] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ(46)﴾.

- **التهكم والسخرية:** في مطالبة الخصم بالدليل على تحريمه لبعض الأنعام دون بعض مع انعدام وجود الدليل، في الآيات (143- 144)[2].
- **التبكيت**[3]: في مواجهة الخصم بحقيقة أن من يدعوه لا يملك نفعاً ولا ضرًّاً، في الآية (71)[4].

وقد تكرر إيراد الجواب بعد السؤال في الرد القرآني، ومن فوائد ذلك في الرد على الشبهات؛ أنه لما كانت الأجوبة من الظهور بمكان بحيث لا يملك الخصم إنكارها، جاء السياق القرآني بتقرير الخصم عليها، احتجاجاً بها في إبطال شبهاته، ومثال ذلك:[5] بعد سؤال الخصم عمن يملك السماوات والأرض أورد الإجابة مباشرة: بأن الله هو مالكهما، تبكيتاً وتوبيخاً له، في شركه بالله تعالى مع إقراره بأنه مالك السماوات والأرض وما فيها، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ...(12)﴾، ومثال آخر: بعد سؤال الخصم عمن ينجيه في ظلمات البر والبحر، أورد الإجابة بعد السؤال، إنكاراً عليه شركه بالله في الرخاء مع إخلاصه له وقت الشدة، في الآيات (63- 64)[6].

ثالثاً: المفاصلة بين التوحيد والشرك[7].

رابعاً: توظيف المشاهد التصويرية في إقامة الحجة:[8] إرشاداً إلى أهميتها في سياق الرد على الشبهات، ومن وجوه أهميتها: دورها في استثارة الفطرة ورجوعها إلى التوحيد، لأن الفطرة البشرية تدرك ما خلف تلك المشاهد من حقائق، وأيضاً قوتها في الإقناع والتأثير على الخصم، من ذلك أن المشاهد التصويرية تذكر الإنسان بجوانب العبرة فيما يألف من دلائل على قدرة الله ووحدانيته.

---

(1) قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ...(81)﴾.

(2) قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(143- 144).

(3) بمعنى: التقريع والتوبيخ وبكته بالحجة أي غلبه، يُنظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج2، ص11.

(4) قوله تعالى:﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا...(71)﴾.

(5) للتفصيل يرجع إلى: ص69، ص52، ص96، ص139، ص126، ص111.

(6) قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(63- 64).

(7) تفصيل الحديث عنه في مبحث المفاصلة على أساس العقيدة في هذا الفصل.

(8) للتفصيل يرجع إلى: ص82، ص67، ص111.

وقد جاءت المشاهد التصويرية في الرد القرآني على نوعين:

- تخييلية، مثال ذلك: مشهد نزول العذاب أو قيام الساعة، والاحتجاج على الخصم بأنه لا يلجأ إلا إلى الله تعالى، في الآيات (40- 41)[1]، ومشهد تخبطه في ظلمات البر والبحر، والاحتجاج على الخصم بأنه لا يدعو إلا الله تعالى، في الآيات (63- 64)[2].
- واقعية، مثال ذلك: مشاهد تاريخية لأمم هالكة لم تعتبر بآيات الله تعالى، في الآيات (42- 45)[3]، ومشاهد قدرة الله تعالى، منها: مشهد فلق الصبح ومشهد النجوم والاهتداء بها في الظلمات، في الآيات (96- 97)[4].

خامساً: اقتران الترهيب بالترغيب:[5] لما كانت بعض النفوس لا تستجيب للترغيب بالثواب، ولا للإطماع بالرحمة فقط، جاءت الآيات بالتنويع بين الترهيب والترغيب، وتغليب أسلوب الترهيب فيها ليتناسب مع حال الخصم المعرض المعاند، فيأتي التهديد يهز وجدانه، يذكره بضعفه أمام قدرة الله تعالى، يدفع به إلى التوحيد ونبذ الشرك؛ فتارة تأتي الآيات تطمع الخصم برحمة الله تعالى، كما في قوله تعالى:﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...(12)﴾، وتارة تهدده بنزع حواسّه، وأخرى تواجهه بالتهديد والوعيد باختصاص العذاب به إن استمر على الشرك، كما في الآيات (46- 47)[6]، وتارة تخوفه بإحاطة قدرة الله تعالى بذاته بقهره بالنوم والموت، وبرجوعه إلى الله للحساب، وتهديده بقدرة الله تعالى على إحاطته بالعذاب، كما في الآيات (60- 65)[7].

---

[1] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ ... وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾(40- 41).

[2] قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾(63- 64).

[3] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ ... وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(42- 45).

[4] قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ... قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(96- 97).

[5] للتفصيل يرجع إلى: ص83، ص69، ص53.

[6] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ... هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾(46- 47).

[7] قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ... انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾(60- 65).

سادساً: الاستدلال بالقصص المفصلية التاريخية المهمة في قضية التوحيد:[1] لما كان تأثر الناس بالمثال الحي أكثر من المثال المجرد، واجه السياق القرآني الخصم المنكر للتوحيد بالتجسيد الحي للقضية المجردة، المتمثل في الشخص القدوة، ليضعه أمام الناس فيقتدوا به، واختارت من يفتخر الخصم بالانتساب إليه، وهو إبراهيم عليه السلام، ليكون حجة عليه في انكاره للتوحيد، في الآيات (74- 83، 161)[2].

---

[1] للتفصيل يرجع إلى: ص97، ص137.

[2] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(74- 83)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ...(161)﴾.

المبحث الرابع: تقديم الأصول على الفروع

المقصود بالأصول والفروع: الأصول جمع أصل، وهو أساس الشيء أو أسفله، والفروع جمع الفرع، وفرع الشيء: أعلاه، ولما كان الأصل أساس الشيء وأسفله والفرع أعلاه، تبيّن أن الأصل هو ما يبنى عليه الفرع، وقد يكون الشيء أصلاً باعتبار معيّن، وفرعاً باعتبار آخر، فالغصن فرع عن الجذع، وأصل للثمر[1].

إن المقصود باستعمال هذين المصطلحيّن في هذا البحث، ليس للتفريق بين أجزاء الدين، وجعل بعضه فاضلاً وبعضه مفضولاً، وإنما استعمالها لفهم وتصنيف الرد القرآني على الشبهات بالنظر إلى سياق الآيات في بناء قضية على أخرى، وبحسب ما يفضي إلى الآخر في الاستدلال والاحتجاج[2].

المطلب الأول: أهمية تقديم الأصول على الفروع في الرد القرآني على الشبهات

يمكن تلخيص أهمية تقديم الأصول على الفروع في سياق الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في النقاط الآتية:

- إقامة الأساس الصحيح لقضية التوحيد: الابتداء بتقرير الأصول، وبناء قواعد قوية صلبة من الدلائل، ثم توظيفها لإثبات القضية المتنازع فيها، مما يزيد قوة الحجة، ويصبح الرد على الشبهات، وتصحيح الفروع أمراً يسيراً؛ مثال ذلك: أنه متى ما ثبت تفرده تعالى بصفات الرب من خلق وتدبير، لزِم من ذلك تفرده باستحقاق العبادة.
- إلزام الخصم الحجة باستدراجه من أصول يقرّ تفضي بدهياً إلى الفروع: يواجه الخصم تسلسلاً منطقياً لا يملك إنكاره، إذ إن إقراره على توحيد الربوبية يفضي به إلى الإقرار بتوحيد الألوهية، وإقراره على نفي عموم الشرك يفضي به إلى نفي خصوصه.

---

[1] يُنظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج1، ص109؛ وابن منظور، **لسان العرب**، ج11، ص16، ج8، ص246.

[2] الابتداء بالأصول قبل الفروع هو الترتيب المنطقي للموضوعات، وقد أشار إلى ذلك الجاحظ في قوله: "...ومن تناول الفرع قبل إحكام الأصل سقط"، وهذا ما ظهر في دراسة الرد القرآني في هذه السورة، الجاحظ: عمرو بن بحر، **رسائل الجاحظ**، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، 1964م)، ج3، ص227.

- تقديم الأصول على الفروع فيه تقديم للحجة العامة على الحجة الخاصة: منه تقديم الربوبية وهي الأعم على الألوهية؛ لأن الربوبية تعمّ وتشمل كل مربوب، فهي شاملة لكل مربوب، الكافر والمؤمن على السواء، والمؤمنون بالربوبية المقرون بها أكثر، "...وأخر الإلهية لخصوصها، لأنه سبحانه إنما هو إله من عبده ووحده واتخذه دون غيره إلها، فمن لم يعبده ويوحده فليس بإلهه، وإن كان في الحقيقة لا إلهَ لهُ سواه، ولكن ترك إلهه الحق واتخذ إلها غيره..."[1]، فتوحيد الألوهية خاص للمؤمنين، وعدد المؤمنون بتوحيد الألوهية أقل.

[1] ابن القّيم: محمد بن أبي بكر، **بدائع الفوائد**، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت)، ج2، ص247- 248.

الشكل رقم 13 صور تقديم الأصول على الفروع في الآيات.

المطلب الثاني: صور تقديم الأصول على الفروع في الآيات

يمكن تقسيم ظاهرة تقديم الأصول على الفروع في الآيات إلى قسميّن؛ القسم الأول: تقديم الإثبات على النفي، والقسم الثاني: تقديم بعض النفي على بعض.

القسم الأول: تقديم الإثبات على النفي، في تقديم إثبات التوحيد على نفي الشبهات المتعلقة به، ويتضمن:

أولاً: تقديم دلائل التوحيد قبل الرد على القول المخالف: إن القرآن الكريم يقيم الأدلة على التوحيد من خلال مسلكيّن؛ "الأول: الاستدلال على ذلك بانتظام الكون وسلامته من الاختلال والتصادم(التمانع)، الثاني: التركيز على إبطال معبودات المشركين وبيان تفاهتها وأنها لا تملك نفعاً،"[1] ولما كان المسلك الأول هو الأصل، إذ هو الأساس الذي ينطلق منه المسلك الثاني، ظهر تقديمه في السورة بابتداء السورة بأدلة الربوبية من اختصاص الله تعالى بالخلق والتدبير الذي يتجلى في خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور،[2] في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾، واختصاص الله تعالى بخلق الإنسان وتدبيره في تحديد آجاله واختصاصه تعالى بالقدرة على البعث، في قوله تعالى:﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ(2)﴾، واختصاصه بالملك وكمال القدرة والعلم، في الآيات (12- 13)[3]، حتى إذا أقيم الأصل بتقرير توحيد الربوبية، واستقرت الدلائل في النفوس، جاء الرد على الشبهة وإبطالها، في الآية (14)[4]، ومفاصلة الخصم وإشهاده على التوحيد والبراءة من الشرك، في الآية (19)[5]، وظهر في تقديم دلائل الربوبية من خلق الله تعالى لأصناف النبات ومن تدبيره وتسخير الكون

---

[1] ابن الحنبلي، **استخراج الجدال من القرآن الكريم**، ص84- 85.

[2] للتفصيل يرجع إلى: ص32، ص44.

[3] قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(12- 13).

[4] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ...(14)﴾.

[5] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ...(19)﴾.

للإنسان، في الآيات (95– 99)[1]، قبل نقض شبهة الخصم في شركه بالجن، ونسبة البنوة إلى الله تعالى، في الآيات (100– 102)[2].

ثانياً: تقديم دلائل توحيد الربوبية قبل إثبات توحيد الألوهية: إن الاستدلال بتوحيد الربوبية والاحتجاج به على توحيد الألوهية، سمة بارزة في جلّ الآيات التي تناولت الرد على الشبهات المتعقلة بالتوحيد في هذه السورة، وهي أشبه ما يكون بالقاعدة في القرآن، يشير إلى ذلك ابن القيم في قوله: "وهذه قاعدة القرآن؛ يقرّرُ توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية، فيقرّرُ كونه معبودًا وحدَهُ بكونه خالقًا رازقًا وحده"[3].

وقد قرر أن توحيد الربوبية "أعظم دليل على توحيد الإلهية، وقع الاحتجاج به فى القرآن أكثر مما وقع بغيره، لصحة دلالته وظهورها وقبول العقول والفطر لها، ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الربوبية..."[4].

أما عن طبيعة العلاقة بينهما: فإن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وإن الإقرار بالأول يوجب الإقرار بالثاني: "...فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره؛ وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له"، وإن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية؛ أي أن توحيد الربوبية يدخل ضمن توحيد الألوهية: "...فمن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئا؛ فلا بد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه وخالقه"، وفي السياق

---

[1] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ... إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(95– 99).

[2] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(100– 102).

[3] ابن القّيم: محمد بن أبي بكر، **التبيان في أيمان القرآن**، تحقيق: عبد الله البطاطي، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط1، 2008م)، ج1، ص648؛ كما عقد ابن تيمية فصلاً يبين أن إقرار الناس بتوحيد الربوبية أسبق وأكثر من الإقرار بتوحيد الألوهية، كما بيّن أن توحيد الربوبية سبب لتوحيد الألوهية، يُنظر: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة**، تحقيق: عبد الله البصيري، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1997م)، ص68؛ ويُنظر: ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج14، ص377؛ والفوزان: صالح بن فوزان، **عقيدة التوحيد**، (الرياض، مكتبة دار المنهاج، ط1، 2013م)، ص37؛ والعريفي، **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، ص204– 259).

[4] ابن القّيم: محمد بن أبي بكر، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، (مصر: دار السلفية، ط2، 1974م)، ص45.

القرآني إذا اجتمع توحيد الربوبية والألوهية فإنهما يفترقان في المعنى، وإذا تفرقا فإنهما يجتمعان في المعنى[1].

وهذا يعني أن علاقتهما علاقة تلازم، "...فإثبات الإلهية يوجب إثبات الربوبية ونفي الربوية يوجب نفي الإلهية؛ إذ الإلهية هي الغاية وهي مستلزمة للبداية..."[2]، وكلاهما يعرفان بالفطرة الضرورية وبالأدلة الشرعية والعقلية.

سلك الرد القرآني على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في سورة الأنعام هذا المسلك، الاستدلال بتوحيد الربوبية لإثبات توحيد الألوهية، ومن ذلك: تقديم دلائل توحيد الربوبية قبل إثبات توحيد الألوهية في مواضع كثيرة في السورة:[3] لما تقرر الأصل بوضوح توحيد الربوبية- كما في المثال السابق- وتهيأ الخصم بتلك الحقائق الناصعة، جاء الاحتجاج بها في إثبات القضية المتنازع فيها، وهي توحيد الألوهية؛ فإن الذي خلق السماوات والأرض ومن فيها، والذي ملك السماوات والأرض وما فيها، هو الملك، وكل ما في ملكه يخضع له بالعبودية، وصار بتلك الدلائل المستحق للألوهية دون ما سواه؛ لذلك يعقب السياق القرآني بعد إيراد دلائل توحيد الربوبية بالتصريح بتوحيد الألوهية في قوله تعالى: ﴿...قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19)﴾.

وهذا لا يعني أن تقديم دلائل الربوبية على إثبات الألوهية في كل أجزاء السورة، إنما المقصود أن السياق العام للرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في السورة يقدم دلائل الربوبية، وأن الأصل في السورة الاستدلال بتوحيد الربوبية للاحتجاج بها على توحيد الألوهية.

ثالثاً: تقديم إثبات التوحيد بدلائل الخلق قبل بقية دلائل الربوبية:[4] ذلك لأن "الخلق أعظم الأفعال فإنه لا يقدر عليه إلا الله. فالقدرة عليه أعظم من كل قدرة وليس لها نظير من قدر المخلوقين"[5]، ظهر

---

[1] الفوزان: صالح بن فوزان، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، (د.م: دار ابن الجوزي، ط4، 1999م)، ص34- 35.

[2] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج2، ص37.

[3] يرجع إلى: ص31.

[4] للتفصيل يرجع إلى: ص44، ص101.

[5] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج37، ص353.

ذلك في تقديم دليل خلق الله تعالى السماوات والأرض على بقية دلائل الربوبية من تدبير ورزق في الآية الأولى من السورة، وظهر في تقديمه لدليل الخلق على دليل الكمال الإلهي، في الآية (14)[1]، كما ظهر في تقديم دليل الخلق الخاص في اختصاص الله تعالى بخلق نوع النبات، ودليل الخلق العام في اختصاص الله تعالى بإخراج الحي من الميت والميت من الحي، على بقية دلائل الربوبية، التي جاءت في الآيات (95- 99)[2].

القسم الثاني: تقديم بعض النفي على بعض، في تقديم النفي العام على النفي الخاص: فيما يتعلق بنفي شبهات الخصم، فالسورة قدمت نفي الشبهات العامة المتعلقة بالتوحيد، وإبطال الأصول التي بنيت عليه، قبل الرد على شبهاته الخاصة أو الجزئية، ظهر في تقديم الشبهات التي تشكل عموم الشرك وأصل الانحراف لدى الخصم، منها:[3] تقديم التعريض بعموم الشرك في مساواة الخالق بالمخلوق، في قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾، وعموم الشك في قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ(2)﴾، وعموم عدم الإيمان في قوله تعالى: ﴿...الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(12)﴾، وعموم اتخاذ وليّاً غير الله تعالى، في قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا...(14)﴾، وعموم الشرك في قوله تعالى: ﴿...أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(19)﴾، على إبطال شبهات فرعية محددة، انتقالاً من إبطال العموم إلى إبطال الخصوص؛ بإبطال نسبة الألوهية إلى الأصنام والكواكب، في الآيات (74- 83)[4]، وإبطال الشرك بالجن ونسبة البنوة إلى الله تعالى، في الآيات (100- 102)[5]، وإبطال الشرك في التشريع والاحتكام، في الآيات (136- 153)[6].

---

[1] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ...(14)﴾.

[2] قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ... إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(95- 99).

[3] للتفصيل يرجع إلى: ص89 ص118، ص102.

[4] قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ... نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾(74- 83).

[5] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(100- 102).

[6] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ... ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(136- 153).

المبحث الخامس: المفاصلة على أساس العقيدة

المطلب الأول: أهمية المفاصلة على أساس العقيدة في الرد القرآني على الشبهات

- **أصل عقيدة التوحيد:** نفي الشرك أصل من أصول التوحيد.
- **المفاصلة بين التوحيد والشرك وضوح في رؤية الحق وتمييزه عن الباطل:** تمييزاً لا مداهنة فيه ولا هوادة، درءاً للالتباس الحق بالباطل، ومنعاً لخلط الأوراق وتمييع الدين.
- **هذا الإعلان الفاصل هو ركن ركين يفترق به الحق عن الباطل:** وهو جزء من الحجة التي تقام على الخصم، وجزء من علاج شبهاته، وهو تقوية لعقيدة المسلم[1].
- **المواجهة الفاصلة بين التوحيد والشرك، ضرورة يتميز بها أهل الحق عن أهل الباطل:** ولا يمكن للنصر أن يتحقق من غير أن يتميز الكافر من المؤمن، والعدو من الصديق، يوضح ذلك سيد قطب في قوله: "لا بد أن تستيقن العصبة المسلمة كذلك أنها لن تنصر ولن يتحقق لها وعد الله بالتمكين في الأرض، قبل أن تفاصل الجاهلية على الحق عند مفترق الطريق...وتعلنها هذا الإعلان، وتفاصلها هذه المفاصلة، وتتبرأ منها هذه البراءة"، ومنهج القرآن هو منهج للاتباع في كل زمان ومكان ولم يأتِ لمعالجة حدث تاريخي منعزل، "...إنما جاء منهجا مطلقا خارجا عن قيود الزمان والمكان. منهجا تتخذه الجماعة المسلمة حيثما كانت في مثل الموقف الذي تنزل فيه هذا القرآن"[2].

---

[1] يُنظر: حوى، **الأساس في التفسير**، ج3، ص1591.

[2] قطب، **في ظلال القرآن**، ج7، ص1055.

الشكل رقم 14 نماذج من مواقف المفاصلة المختلفة في الآيات.

المطلب الثاني: نماذج من مواقف المفاصلة المختلفة في الآيات

كانت مواقف المفاصلة مع الخصم على أساس العقيدة على النحو الآتي:[1]

1. إشهاد الخصم ومفاصلته على عموم الشرك، في الآية (19)[2].
2. مفاصلة الخصم على الشرك واتباع الهوى، في الآيات (56- 58)[3].
3. مفاصلة الخصم بإثبات تهمة التكذيب بالحق عليه وتهديده بالمستقبل، في الآيات (66- 67)[4].
4. إعلان إبراهيم عليه السلام التبرؤ من عقيدة الخصم الباطلة في عبادة الكواكب والأصنام وإعلانه للتوحيد، في الآيات (78- 79)[5].
5. نفي الشريك عن الله تعالى، وإثبات صفات الكمال له، وإعلان كلمة التوحيد، رداً على شبهة عبادة الجن ونسبة البنوة إلى الله تعالى، في الآيات (100- 102)[6].
6. إشهاد الخصم ومفاصلته على تحريمه لما أحلّ الله تعالى، في الآية (150)[7].
7. إعلان المفاصلة الختامية مع الخصم بإثبات التوحيد المطلق ونفي الشرك، في الآيات (161- 164)[8].

وقد اتسمت مواقف الإشهاد والمفاصلة في الرد على شبهات الخصم المتعلقة بالتوحيد بملامح مشتركة، منها:

أ. **التدرج في حدة التصريح بمخالفة الخصم للوصول إلى موقف الإشهاد والمفاصلة:** هذا التدرج مهم لئلا ينفر الخصم فلا يحصل سماعه لدلائل التوحيد التي تقيم الحجة عليه، مثال ذلك:

---

[1] للتفصيل يرجع إلى: ص54، ص82، ص96، ص111، ص126، ص136.

[2] قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...(19)﴾.

[3] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... لَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾(56- 58).

[4] قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ... لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(66- 67).

[5] قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ... حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(78- 79).

[6] قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾(100- 102).

[7] قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ... وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(150)﴾.

[8] قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ... ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(161- 164).

الابتداء بعرض شبهة الخصم في تحريمه لما أحلّ الله تعالى مع التعريض بالإبطال، ثم التصريح بالإبطال، في الآيات (136– 144)[1]، ثم إبطال شبهته في تعليق شركه على المشيئة الإلهية، ثم تهديده بما حلّ بالمكذبين من قبله في الآية (148)[2]، وصولاً إلى دعوة الخصم إلى الإشهاد والمفاصلة في الآية (150)[3].

ب. **تدرج الموقف نفسه:** مثال ذلك: الابتداء بتقرير الخصم على موقفه، ثم إعلان موقف معاكس له، ثم التصريح بكلمة التوحيد، ثم إعلان التبرؤ من شرك الخصم، في الآية (19)[4].

ج. **الوضوح في مضمون هذا الإعلان:** ليحصل الفصل بين التوحيد والشرك، وبين أهل الحق وأهل الباطل، مثال ذلك:

- عدم الاكتفاء بإعلان كلمة التوحيد وإنما التبرؤ من الشرك، في الآية (19).
- إعلان مفارقة الخصم، بالنهي الصريح عن اتباع أهوائهم، وإعلان الثبات على البيّنة التي يكذب بها، في الآيات (56– 57)[5].
- تكرار التبرؤ من الشرك في الآيات (78– 79)[6].
- التشديد على نفي الشرك: بنفيه عن إبراهيم عليه السلام، ونفي مطلق الشريك عن الله، ونفي الرسول ﷺ عن نفسه (161– 164)[7].

---

(1) قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(136– 144).

(2) قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ... إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ(148)﴾.

(3) قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ... وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(150)﴾.

(4) قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...(19)﴾.

(5) قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾(56– 57).

(6) قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ... حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(78– 79).

(7) قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ... ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(161– 164).

الخاتمة

انتهيت–بتوفيق الله– من دراستي لمنهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات إلى جملة من النتائج والتوصيات.

المطلب الأول: النتائج: وأُجمِلها في مجموعتين:

أولاً: ملخص الشبهات التي تناولتها الدراسة: وهي على ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: شبهات متعلقة بالألوهية:

1. مساواة الخالق بالمخلوق، في نسبة الشريك إلى الله تعالى، في قوله: ﴿...ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)﴾.
2. شبهة الشك في صحة التوحيد: في قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ(2)﴾.
3. اتخاذ غير الله وليّاً، في قوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا...(14)﴾، وقوله: ﴿...وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(14)﴾، وقوله ﴿...أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى...(19)﴾.
4. الشرك في الدعاء والالتجاء والتضرع إلى غيره تعالى، ممن لا يملك النفع والضر، في قوله تعالى:﴿...أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (41)﴾.
5. صرف العبادة إلى غيره، وفيها: شبهة خلط الشرك بالتوحيد، في المساومة على الدين بطلب المشركين من الرسول ﷺ عبادة آلهتهم ليعبدوا إلهه، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ الله قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ...(56)﴾.
6. شبهة الخلط بين مقام الألوهية والرسالة، وفيها: شبهة إنكار التوحيد بحجة تأخر العذاب الذي توعدهم به الرسول ﷺ، فصار إمهال الله لهم شبهة يتهمون فيها صدق القرآن، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...(58)﴾، ويتفرع منه: شبهة المبالغة في الأدلة الحسّية المادية: في مطالبتهم الرسول ﷺ بالإتيان بالخوارق الحسّية لتصديقه، قال تعالى: ﴿...مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ...(57)﴾.

7. شركهم بالله في الرخاء بعد أن نجّاهم من الشدّة، قال تعالى: ﴿...قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ(64)﴾.

8. اتخاذ الأصنام آلهة من دون الله تعالى في قوله: ﴿...أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً...(74)﴾.

9. عموم الشرك بالله في قوله: ﴿...قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ(78)﴾.

10. اتخاذ الكواكب والنجوم آلهة من دونه، في الآيات من (76– 78).

11. إشراك الجن مع الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ...(100)﴾.

12. شبهة نسبة البنين والبنات إلى الله تعالى في قوله: ﴿...وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ...(100)﴾.

13. التوجه إلى غير الله تعالى للاحتكام والتشريع، وتحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحلّ ونسبة ذلك إلى الله تعالى، وتولت الآيات الرد على نماذج من تلك التشريعات الباطلة، وهي:

أ. تشريعات في نتائج أموالهم: بتقسيم الحرث والأنعام بين الله تعالى وبين شركائهم، في قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ...(136)﴾، وبالتحريم والتحليل وفق الهوى في قوله: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا...(138)﴾، وقوله سبحانه:﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ...(139)﴾.

ب. تشريعات في ذرياتهم: بتشريع قتلهم أولادهم، في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ...(137)﴾.

14. شبهة الاحتجاج بالقضاء والقدر في تبرير الخصم لشركه وتبريره لتحريمه ما أحلّ الله تعالى، في قوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ(148)﴾.

15. شبهة نسبة الشريك لله تعالى، في قوله تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ...(163)﴾.

- القسم الثاني: شبهات متعلقة بالربوبية:

1. شبهة نسبة النفع والضر إلى غير الله تعالى، فتنفي الآيات أن تكون بيد غيره تعالى في قوله: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ...(17)﴾.
2. نسبة الخلق -من سمع وأبصار وأفئدة- إلى غيره تعالى، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ(46)﴾.
3. خوفهم من معبوداتهم الباطلة وعدم خوفهم من الله تعالى في قوله: ﴿...وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ... (80)﴾، وقوله:﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ...(81)﴾.
4. اتخاذ غير الله تعالى ربًّا، في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا...(164)﴾.

- القسم الثالث: شبهات متعلقة بالأسماء والصفات:

1. شبهة الشرك فيها، في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ...(59)﴾.

ثانياً: نتائج عامة:

1. معالجة القرآن الكريم للشبهات المثارة حول التوحيد تبدأ قبل صريح الإبطال للشبهة، بإقامة الدلائل على قضية التوحيد، أما رد الشبهات فهي مرحلة متأخرة عن إقامة الدلائل.
2. تعدد التصنيفات والاحتجاجات التي يمكن استنباطها من الرد القرآني على الشبهات يثبت أنه مادة غنية بما يرشد للطريقة المثلى للتعامل مع المخالف.
3. منهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات المثارة حول التوحيد في سورة الأنعام تتمثل في العناية بالأدلة العقلية، والتدرج في الإقناع، والتنويع في الاستدلال على القضية الواحدة، وتقديم الأصول على الفروع، والمفاصلة على أساس العقيدة.
4. إن العناية بالأدلة العقلية في الرد القرآني على الشبهات تعود إلى طريقين: أولهما طريقة الخطاب وأسلوبه، وثانيهما طريقة إبطال أقوال المخالفين، ولكلا الطريقين تفريعات وتطبيقات مختلفة ومتنوعة في الآيات.

5. إن التدرج في الرد القرآني على الشبهات تمثّل في التدرج في السياق العام للسورة، والتدرج في الرد على الشبهة الواحدة، والانطلاق من قضايا مشتركة يقرّها الخصم للرد على شبهته، والتدرج من الدليل الحسّي إلى الدليل العقلي.
6. أن تنوع الاستدلال على القضية الواحدة في الرد القرآني تمثّل في تنويع الأدلة المحتج بها وتنويع الأساليب المستعملة في الرد.
7. إن تقديم الأصول على الفروع في الرد القرآني تمثّل في تقديم الإثبات على النفي، بتقديم إثبات التوحيد على نفي الشبهات المتعلقة به، وذلك من خلال: تقديم دلائل التوحيد قبل الرد على القول المخالف، وتقديم دلائل توحيد الربوبية قبل إثبات توحيد الألوهية، وتقديم إثبات التوحيد بدلائل الخلق قبل بقية دلائل الربوبية، ثم تقديم بعض النفي على بعض، بتقديم النفي العام على النفي الخاص.
8. إن مفاصلة الخصم على أساس العقيدة ركن ركين في الرد القرآني على الشبهات المثارة حول التوحيد.

المطلب الثاني: التوصيات: أهمها ما يأتي:

- ضرورة الانطلاق في الدراسات والأبحاث التي تُعنى بالرد على الشبهات المتعلقة بالإسلام والقرآن الكريم من منطلق قرآني.
- أهمية مواجهة لوثة الإلحاد والتشكيك في الثوابت المنتشرة اليوم بالالتجاء إلى معين القرآن واستخلاص منهجيات واضحة وسهلة الفهم تُنشر بين الناس، وتذكرهم بمعالم الحق وتبين حقيقة الباطل بالأدلة والأساليب القرآنية.
- الاعتناء بدراسة منهجية القرآن الكريم في الرد على مختلف الشبهات بطرائق علمية منهجية منظمة بغية تأسيس منهجية واضحة للرد على الشبهات عند طالب الدراسات، وكذلك طلبة الجامعة.

- استكمال دراسة منهجية القرآن الكريم في الرد على الشبهات المتعلقة بالتوحيد في السور الأخرى التي تتميز بكثرة تناول الشبهات في الرسائل الجامعية التي تُعنى بالدراسات القرآنية.

وفي الختام أسأل الله أن يتقبل ما كتبت، ويجعله في موازين أعمالي، وأن يقيل العثرة، ويستر العيب، ويبارك في القليل، ويعفو عن التقصير، إنه جواد كريم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية

القرآن الكريم.

- أحمد: بن حنبل، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1999م).
- أحمد: عبد الرزاق حسين، **المكي والمدني في القرآن الكريم دراسة تأصيلية نقدية للسور والآيات– من أول القرآن إلى نهاية سورة الإسراء**، رسالة ماجستير، (القاهرة: دار ابن عفان، ط1، 1999م).
- ابن إسحاق: محمد بن إسحاق، **السيرة النبوية**، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1978م).
- الأطرش: عطية، "نزول سورة الأنعام جملة واحدة أو نزولها على أسباب متفرقة دراسة وتحليل"، **مجلة جامعة الخليل للبحوث**، المجلد الرابع، العدد الأول، 2009م.
- الألمعي: زاهر عواض، **مناهج الجدل في القرآني الكريم**، (الرياض: د.ن، ط3، 1984م).
- الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م).
- الباقلاني: محمد بن الطيب، **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، تحقيق: عماد الدين حيدر، (لبنان: مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1987م).

- البخاري: محمد بن إسماعيل، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد الناصر، (بيروت: دار طوق النجاة، ط1، 2001م).
- بدوي: عبد الرحمن، **مناهج البحث العلمي**، (الكويت: وكالة المطبوعات، ط3، 1977م).
- البغوي: الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1999م).
- البقاعي: إبراهيم بن عمر، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت).
- البيضاوي: عبد الله بن عمر، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1997م).
- التركي: عبد الله بن عبد المحسن، **مجمل اعتقاد أئمة السلف**، (المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط2، 1996م).
- التستري: سهل بن عبد الله، **تفسير التستري**، تحقيق: محمد باسل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2002م).
- التميمي: محمد بن خليفة، **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**، (الرياض: أضواء السلف، ط1، 1999م).
- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة**، تحقيق: عبد الله البصيري، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1997م).

.....، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي حسن، وعبد العزيز إبراهيم، حمدان محمد، (المملكة العربية السعودية: دار العاصمة، ط2، 1999م).

.....، **النبوات**، تحقيق: عبد العزيز الطويان، (الرياض: أضواء السلف،ط1، 2000م).

.....، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، (المملكة العربية السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 2005م).

.....، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد سالم، (المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1991م).

.....، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن محمد، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، 1995م).

- الثعلبي: أحمد بن محمد، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، ونظير الساعدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م).
- جابي: محمد مدهير، **فقه التدرج في التبليغ والتشريع في ضوء السنة النبوية**، أطروحة دكتوراه، (ماليزيا: جامعة المدينة العالمية، 2016م).
- الجاحظ: عمرو بن بحر، **رسائل الجاحظ**، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، 1964م).
- الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود شاكر، (القاهرة، مطبعة المدني بالقاهرة، ط3، 1992م).

- الجرجاني: علي بن محمد، **كتاب التعريفات**، (لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1983م).
- ابن جزي: محمد بن أحمد، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبد الله الخالدي، (بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1995م).
- الجصاص: أحمد بن علي، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد القمحاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، 1985م).
- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي، **تلبيس إبليس**، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 2001م).
- الجويني: عبد الملك بن عبد الله، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، تحقيق: فوقية محمود، (لبنان: عالم الكتب، ط2، 1987م).
- أبو حامد الغزالي: محمد محمد، **قواعد العقائد**، تحقيق: موسى محمد، (لبنان: عالم الكتب، ط2، 1985م).

.....، **إحياء علوم الدين**، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت).

- حبنكة الميداني: عبد الرحمن حسن، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، (دمشق: دار القلم، ط15، 2018م).
- حسن: عثمان علي، **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة**، (الرياض: مكتبة الرشد، ط5، 2006م).
- ابن الحنبلي: عبد الرحمن بن نجم، **استخراج الجدال من القرآن الكريم**، تحقيق: زاهر الألمعي، (د.م: مطابع الفرزدق التجارية، ط2، 1981م).
- حوى: سعيد، **الأساس في التفسير**، (القاهرة: دار السلام، ط1، 1985م).

- أبو حيان: محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، تحقيق: زهير جعيد، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 2010م).
- الخازن: علي بن محمد، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م).
- الخطابي: حمد بن محمد، **معالم السنن**، (حلب: المطبعة العلمية، ط1، 1932م).
- الخطيب: عبد الكريم يونس، **التفسير القرآني للقرآن**، (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).
- الخطيب الشربيني: محمد بن أحمد، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، (القاهرة: مطبعة بولاق، د.ط، 1868م).
- الخولي: يمنى طريف، **مفهوم المنهج العلمي**، (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، د.ط، 2020م).
- الداني: عثمان بن سعيد، **البيان في عدّ آي القرآن**، تحقيق: غانم قدوري، (الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ط1، 1994م).
- دبابش: منال، **منهج الرسول ﷺ في التربية من خلال السيرة النبوية**، رسالة ماجستير، (غزة: الجامعة الإسلامية، د.ط، 2008م).
- الرازي: محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار الفكر، ط1، 1981م).
- الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان الداودي، (بيروت: دار القلم، ط1، 1991م).

.....، **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد بسيوني، (مصر: كلية الآداب- جامعة طنطا، ط1، 1999م).

- عبد الرحمن: عبد الله بن الزبير، **من مرتكزات الخطاب الدعوي**، (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1997م).
- ابن رشد: محمد بن أحمد، **مناهج الأدلة في عقائد الملة**، تحقيق: محمود قاسم، (مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1964م).
- رضا: محمد رشيد، **تفسير المنار**، (القاهرة: دار المنار، ط2، 1947م).
- الزجاج: إبراهيم بن السري، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل شلبي، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1988م).
- الزحيلي: وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ط2، 1997م).

.....، **التفسير الوسيط**، (دمشق: دار الفكر، ط1، 2001م).

- الزرقاني: محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (د.م: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، د.ت).
- الزركشي: محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، (د.م: دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م).
- الزمخشري: محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1987م).

- ابن أبي الزمنين: محمد بن عبد الله، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: حسين بن عكاشة، ومحمد الكنز، (القاهرة: الفاروق الحديثة، ط1، 2002م).
- أبو زهرة: محمد أحمد، **تاريخ الجدل**، (د.م: دار الفكر العربي، ط1، 1934م).

.....، **زهرة التفاسير**، (د.م: دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).

- زين الدين الرازي: محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف محمد، (بيروت: المكتبة العصرية، ط5، 1999م).
- ابن السائب الكلبي: هشام بن محمد، **كتاب الأصنام**، تحقيق: أحمد باشا، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط4، 2000م).
- السعدي: عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن معلا، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م).
- أبو السعود: محمد بن محمد، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
- سليمان: تيسير محمد، **فقه التدرج في الدعوة**، أطروحة دكتوراه، (السودان: جامعة أم درمان، د.ط، 2012م).
- السمرقندي: نصر بن محمد، **بحر العلوم**، تحقيق: علي معوض، وعادل عبد الموجود، زكريا النّوتي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1993م). ج1، ص462).

- السميع: محمد علي، **الشيوعية في الميزان**، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة العاشرة، العدد الثاني، 1977م).
- السيد: أحمد، **سابغات**، (المملكة العربية السعودية: الدار العربية للطباعة والنشر، ط3، 2017م).
- السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، **أسرار ترتيب القرآن**، تحقيق: عبد القادر أحمد، ومرزوق علي، (القاهرة: دار الفضيلة، د.ط، د.ت).

.....، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1974م).

.....، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1988م).

- الشاطبي: إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، تحقيق: مشهور آل سلمان، (د.م: دار ابن عفان، ط1، 1997م).
- شاكر: أحمد، **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير–مختصر تفسير القرآن العظيم**، (مصر: دار الوفاء، ط2، 2005م).
- الشعراوي: محمد متولي، **تفسير الشعراوي**، (مصر: مطابع أخبار اليوم، د.ط، 1997م).
- الشقيرات: محمود عطية، **استراتيجية الأسئلة لتعليم التفكير**، رسالة المعلم، (وزارة التربية والتعليم، م46، ع2).
- الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد، **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**، تحقيق: خالد السبت، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط2، 2005م).

.....، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1995م).

- الشهاب الحفاجي: أحمد بن محمد، **عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت).
- الشهراني: محمد بن سعد، **أساليب الحجاج في القرآن الكريم في سورتي المائدة والأنعام**، (السودان: جامعة أم درمان الإسلامية، د.ط، 2011م).
- الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، تحقيق: عبد العزيز الوكيل، (القاهرة: مؤسسة الحلبي، د.ط، 1968م).
- الشوكاني: محمد بن علي، **فتح القدير**، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1993م).
- الصلابي: علي محمد، **المعجزة الخالدة**، (د.م: دار المعرفة، د.ط، د.ت).
- الصنعاني: محمد بن إسماعيل، **تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ويليه شرح الصدور في تحريم رفع القبور**، تحقيق: عبد المحسن البدر، (الرياض: مطبعة سفير، ط1، 2003م).
- ابن الضُريس: محمد بن أيوب، **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة**، تحقيق: عروة بدير، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1987م).
- الطباطبائي: محمد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط2، 2002م).

.....، **الميزان في تفسير القرآن**، (قم: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، د.ط، د.ت).

- الطبراني: سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي السلفي، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ط، د.ت).
- الطبري: محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: محمود وأحمد شاكر، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2، د.ت).
- الطوفي: نجم الدين، سليمان بن عبد القوي، **علم الجذل في علم الجدل**، تحقيق: فولفهارت هاينريشس، (الأردن: شقير وكشة، د.ط، 1987م).
- الطيالسي: سليمان بن داود، **مسند أبي داوود الطيالسي**، تحقيق: محمد التركي، (مصر: دار هجر، ط1، 1999م).
- ابن عادل: عمر بن علي، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م).
- عادل: عبد اللطيف، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، (الرباط: دار الأمان، ط1، 2013م).
- ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ت، 1984م).
- عامري: سامي، **براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم**، (المملكة المتحدة: تكوين، ط1، 2018م).
- ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله، **الاستذكار**، تحقيق: سالم محمد، محمد علي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2000م).

.....، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، 1967م).

- عبد الرزاق الصنعاني: عبد الرزاق بن همام، **تفسير عبد الرزاق**، تحقيق: محمود عبده، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م).
- ابن عبد الوهاب: محمد بن عبد الوهاب، **الرسائل الشخصية**، تحقيق: صالح الفوزان، ومحمد العيلقي، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، د.ط، د.ت).
- ابن عثيمين: محمد بن صالح، **تفسير القرآن الكريم- سورة الفرقان**، (القصيم: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط1، 2015م).
- العجيري: عبد الله بن صالح، **شموع النهار**، (المملكة المتحدة: تكوين للدراسات والأبحاث، ط1، 2016م).
- العريفي: سعود، **الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد**، (المملكة المتحدة: مركز تكوين، ط1، 2014م).
- ابن أبي العز: محمد بن علاء الدين، **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط10، 1997م).
- ابن عطية: عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز**، تحقيق: عبد السلام محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2001م).
- علاء الدين السمرقندي: محمد بن أحمد، **ميزان الأصول في نتائج العقول**، تحقيق: محمد عبد البر، (قطر: مطابع الدوحة الحديثة، ط1، 1984م).
- علي: جواد، **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام**، (د.م: دار الساقي، ط4، 2001م).

- عبد العليم: خضر، **الإنسان في الكون بين القرآن والعلم**، (جدة: عالم المعرفة، ط1، 1983م).
- عمر: أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (د.م: عالم الكتب، ط1، 2008م).
- العموش: بسام، **العقيدة سؤال وجواب**، (الأردن: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط1، 2020م).
- الغامدي: محمد بن عبد الله، **حماية الرسول صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد**، (المدينة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 2003م).
- الغماس: أفنان، **منهج القرآن الكريم في دحض شبهات الملحدين**، (الرياض: مركز دلائل، ط1، 2017م).
- ابن فارس: أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، (د.م: دار الفكر، د.ط، 1979م).
- الفراء: يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد النجاتي، ومحمد النجار، وعبد الفتاح الشلبي، (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، ط.ت).
- الفراهيدي: الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت).
- فضل الله: محمد حسين، **الحوار في القرآن**، (لبنان: دار الملاك، ط5، 1996م).
- الفوزان: صالح بن فوزان، **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، (د.م: دار ابن الجوزي، ط4، 1999م).

.....، **عقيدة التوحيد**، (الرياض، مكتبة دار المنهاج، ط1، 2013م).

- الفيروزآبادى: محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد النجار، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، 1996م).
- القاسم بن سلام: القاسم بن سلاّم بن عبد الله، **فضائل القرآن**، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1995م).
- القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م).
- القرطبي: محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1964م).
- القشيري: عبد الكريم بن هوازن، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، د.ت).
- قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، (القاهرة: دار الشروق، ط32، 2003م).
- قطب: محمد، **ركائز الإيمان**، (القاهرة: دار الشروق، ط1، 2001م).
- القنوجي: صديق بن حسن، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د.ط، 1992م).
- ابن القّيم: محمد بن أبي بكر، **التبيان في أيمان القرآن**، تحقيق: عبد الله البطاطي، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط1، 2008م).

.....، **بدائع الفوائد**، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت).

.....، **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، (مصر: دار السلفية، ط2، 1974م).

.....، **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**، تحقيق: علي محمد، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1988م).

.....، **إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها وبيان العلل المؤثرة**، تحقيق: أيمن الشوا، (دمشق: دار الفكر، ط1، 1996م).

.....، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق: محمد إبراهيم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1991م).

.....، **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان**، تحقيق: محمد شمس، (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ط1، 2011م).

.....، **الداء والدواء**، (المغرب: دار المعرفة، ط1، 1997م).

.....، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد البغدادي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1996م).

.....، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

- ابن كثير: إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، (د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999م).

- الكرمي: زهير، وصباريني، وعارف، سهام، **الأطلس العملي، فيزيولوجيا الإنسان**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، د.ط، د.ت).
- الماتريدي: محمد بن محمد، **تأويلات أهل السنة**، تحقيق: مجدي باسلوم، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 2005م).
- المجالي: محمد خازر، **الوجيز في علوم الكتاب العزيز**، (عَمان: جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط10، 2016م).
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصطفى: إبراهيم، والزيات: أحمد، وعبد القادر: حامد، والنجار: محمد، **المعجم الوسيط**، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2008م).
- مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د.ط، 1983م).
- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (مصر: مطبعة المصحف الشريف، ط3، 1992م).
- مسلم: مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد عبد الباقي، (بيروت: عيسى البابي الحلبي، ط1، 1991م).
- ابن المعتز: عبد الله بن محمد، **البديع في البديع**، (د.م: دار الجيل، ط1، 1990م).
- ابن معصوم: علي بن أحمد، **أنوار الربيع في أنواع البديع**، تحقيق: شاكر شكر، (النجف: مطبعة النعمان، ط1، 1969م).

- مكي بن أبي طالب: مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي– جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، (جامعة الشارقة: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط1، 2008م).
- ملكاوي: محمد أحمد، **عقيدة التوحيد في القرآن الكريم**، (د.م: مكتبة دار الزمان، ط1، 1985م).
- ابن منظور: محمد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1993م).
- النجار: زغلول، **تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**،(القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2007م).
- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بإشراف مصطفى مسلم، **التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، (الشارقة: جامعة الشارقة– كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1، 2010م).
- نوفل: عبد الرزاق، **الله والعلم الحديث**، (القاهرة: دار الشروق، د.ط، 1998م).
- النووي: يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1972م).
- النيسابوري: الحسن بن محمد، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلميه، ط1، 1995م).

الشبكة العنكبوتية (الانترنت)

1. عبد الكريم مطيع الحمداوي ، "سورة الأنعام جذع مشترك ومرجع لفهم أحكام العقيدة"، شبكة الألوكة، 2014/9/24م، https://www.alukah.net/sharia/0/76410/#ixzz6TMQgj1ws.

2. عصام فاروق، "المنهج والحاجة إليه في البحث العلمي"، شبكة الألوكة، 2017/12/28م، https://www.alukah.net/culture/0/124139/#ixzz6q0IexkTA، استعرض بتاريخ 2021/3/23م.

المراجع باللغة الانجليزية

Books

1. Davies, Paul. **God and the New Physics**. Penguin Books Ltd., 1990.
2. Orlich, Donald, Abbie Brown, Richard Callahan, Michael Trevisan, and Robert Harder. **Teaching Strategies: A Guide to Effective Instruction**. USA: Wadsworth Publishing Company, 2010.

Website content

1. Davson, Hugh. Edward S. Perkins. **Human eye | Definition, Structure, & Function**. Encyclopedia Britannica, Last Modified August 7, 2020. Accessed 28 March 2021, https://www.britannica.com/science/human-eye.